ستيفن كينج

كاري

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

STEPHEN KING

CARRIE

المحروسة

عنوان الكتاب: كاري Carrie
المؤلف: ستيفن كِينج Stephen King
ترجمة: عبد الرحيم يوسف
مراجعة لغوية: محمود شرف



t.me/t_pdf



قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت، ف:- 28432157 02 002

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٨٠٥٢/ ٢٠٢١
الترقيم الدولى: 978-977-313-880-6

رواية

مكتبة | 977
سُر مَن قرأ

كــاري

ستيڤن كِينج

ترجمة

عبد الرحيم يوسف



الطبعة الأولى 2022



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كينج، ستيفن، 1947 -.........

كاري: رواية/ ستيفن كينج؛ ترجمة/ عبدالرحيم يوسف.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021

285 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 978-977-313-880-6

1 - القصص الامريكية

أ- يوسف، عبد الرحيم (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2021/28052

إلى توبي، التي أدخلتني في التجربة...

وبعد ذلك أنقذتني منها.



الجزء الأول

رياضة دمويّة

خبرٌ من جريدة إنتربرايز الأسبوعية التي تَصدُر في بلدة ويستوفر (ولاية مين)[1]، بتاريخ 19 أغسطس 1966:

أنباءٌ عن مَطَرٍ من الحجارة

ورَدَت أنباء موثوقة من أشخاص عديدين بأن وابِلًا من الحجارة سقط من سماء زرقاء صافية على شارع كارلين في بلدة تشامبرلين في السابع عشر من أغسطس. سقطت الحجارة بشكل أساسي على منزل السيدة مارجريت وايت، مُسبِّبةً دمارًا شديدًا للسقف ومحطمة مزرابين وماسورة صرف بقيمة حوالي 25 دولارًا. تعيش وايت، وهي أرملة، مع ابنتها كاريتا البالغة من العمر ثلاثة أعوام.

(1) ويستوفر بلدة مُتخَيَّلة في ولاية مين بمنطقة نيو إنجلاند في الشمال الشرقي للولايات المتحدة الأمريكية، وهي الولاية التي وُلِد فيها ستيفن كينج، وتدور فيها أحداث رواياته. (المترجم نَقلًا عن موقع ستيفن كينج ويكي).

لم نتمكَّن من الوصول للسيدة وايت للإدلاء بأي تعليق.

لم يندهـش أحـدٌ في الحقيقـة عندمـا حـدث مـا حـدث، ليس بالفعـل، ليـس عـلى مسـتوى الـلا وعـي حيـث تنمـو الأشـياء الوحشـية. عـلى السـطح، كانـت كل الفتيـات في غرفـة الاسـتحمام مصدوماتٍ، أو منتشـيات، أو شـاعِراتٍ بالخجـل، أو ببسـاطة: سـعيدات؛ لأن ابنـة آل وايـت اللعينـة تلقَّـت ضربـة موجِعـة مـرَّة أخـرى. لعـلَّ بعضهـن أيضًـا ادَّعَـيْن الدهشـة، لكـن ادِّعاءَهـنَّ بالطبـع كان غـير صحيـح. كانـت كاري تذهـب إلى المدرسـة مـع بعضهـن منـذ الصَّـفِّ الأول، وكان هـذا يتراكـم منـذ ذلـك الوقـت، يتراكـم ببـطء ودون تغيـير، في توافُـق مـع كل القوانـين التـي تحكُـم الطبيعـة البشريـة، يتراكـم بـكل الثَّبـات الـذي يمتلكـه تفاعـل تَسلسُـلي يقـترب مـن الكتلـة الحَرِجـة.

مـا لم تعرفـه أي واحـدة منهـن، بالطبـع، أن كاري وايـت لديهـا القـدرة عـلى تحريـك الأشـياء عـن بُعـد.

كتابـة محفـورةً عـلى تختـة في المدرسـة الثانويـة بشـارع باركـر في بلـدة تشامبرلين:

كاري وايت تأكل الخراء.

كانـت غرفـة تغيـير الملابـس مليئـةً بالصَّيحـات والأصـداء والأصـوات المكتومـة لطرطشـة صنابـير الاسـتحمام عـلى البـلاط. كانـت الفتيـات قـد لعـبن الكـرة الطائـرة في الحصَّـة الأولى، وكان عَرقهـنَّ الصَّباحـي خفيفًـا وحـادًّا.

تمطَّت وتلوَّت الفتيات تحت الماء الساخن، وهُنَّ يزعقن، وينفضن الماء، ويتناقَلنَ قوالِبَ بيضاء من الصابون من يَدٍ إلى يَدٍ. وقَفَت كاري وسطهن ببلادة، ضفدعة وسط البَجَع. كانت فتاة مُكتنزة لديها بثور على رقبتها وظهرها وردفَيْها، شعرها المبتل عديم اللون تمامًا. استقرَّ على وجهها مخضلًا على نحو كئيب، واكتفت هي بالوقوف، برأسٍ مائل قليلًا، تارِكَةً الماء يضرب لحمها ويرتدُّ متدَحرجًا من عليه. بدت أقرب لكبش فداء، لأضحوكة دائمة، لهؤلاء الحمقى الذين يصدقون في وجود مفاتيح صواميل خاصَّة بالقرود العَسراء، بَدَت أقربَ لعُطلٍ أبديٍّ، وقد كانت كذلك. كانت تتمنى في بؤس وباستمرار لو كانت مدرسة إيوين الثانوية بها مقصورات استحمام فردية -وبالتالي خاصَّة- مثل المدارس الثانوية في ويستوفر أو لويستون. كن يُحدِّقن. دائما يُحدِّقن.

تنغلق الصنابير واحدًا بعد الآخر، تخطو الفتيات خارجًا، يخلعن قبَّعات الاستحمام الرقيقة، يضعن المناشف حول أجسادهن، يَقُمن برَشِّ مُزيلات العَرَق، يراجعن الساعة المعلَّقة فوق الباب. عُقِدَت حمَّالات الصدر، ورُفعت السراويل الداخليَّة فوق الأفخاذ. تعلَّق البخار في الهواء؛ لعل المكان كان ليغدو حمَّاما شعبيًّا مصريًّا لولا الدَّمدَمَة المستمرَّة لدوَّامة الجاكوزي في الرُّكن. تردَّدَت النِّداءات والصُّفَّارات مع كل الطَّرقعة والاضطراب اللَّذيْن تُحدِثهما كُرات البلياردو بعد ضربة بداية قوية.

- ... فقال تومي إنه يكره هذا الفستان عليَّ وأنا...

- ... سأذهب مع أختي وزوجها. إنه ينخر بإصبعه في أنفه لكنها تفعل مثله؛ لذا هما شخصان....

- ... دُش بعد المدرسة و...

- ... أرخص من أن أُنفِق بِنسًا لعينًا عليها؛ لذا أنا وسيندي...

دخلـت الآنسـة ديسـياردن، مُدرِّسـة الألعـاب الخاصـة بهـن، النحيلـة ذات الصـدر الممسـوح، مطَّـت عنقهـا ودارت بـه لوهلـة قصـيرة، وصفَّقَـت بيديهـا مـرَّةً واحـدة، بسرعـة.

- مـاذا تنتظريـن يـا كاري؟ يـوم القيامـة؟ سـيُدقُّ الجـرس خـلال خمـس دقائـق.

سروالهـا القصـير كان شـاهِقَ البَيـاض، ولم تكـن سـاقاها منحنيتـين أكـثر مـن الـلازم، بـل تَلفِتـا النظـر بعضلاتهـما غـير البـارزة. وتدلَّـت حـول عنقهـا صفَّـارة فضيـة، فـازت بهـا في مسـابقة الرمايـة الجامعيـة.

قهقهـت الفتيـات ورفعـت كاري رأسـها، بعينـين بطيئَتَـيْن وذاهلتـين بفعـل الحـرارة والهديـر ذي الإيقـاع الثابـت للـماء.

- أو.. هَه؟

كان صوتًـا ضفدَعيًّـا غريبًـا، يناسـبها عـلى نحـو عجيـب، وقهقهـت الفتيـات مـرة أخـرى. كانـت سـو سـنيل قـد جذبـت منشـفةً مـن حـول شـعرها بسرعـة سـاحرٍ يَـشرَع في عمـلٍ مـن الأعاجيـب الفـذَّة وبـدأت تُمشِّـط شَـعرَها بسرعـةٍ. أشـارت الآنسـة ديسـياردن نحـو كاري بإيمـاءة ملتويـة سـاخطة وخرجـت.

أغلقت كاري الصنبور. هَمَدَ صوتُه إلَّا من قطرة وبقبقة.

فقط عندما خَطَت خارِجةً رأى الجميع الدماء تسيل جارية على ساقها.

مـن كتـاب بعنـوان: "**وانفجـر الظِّـلُّ: حقائـق مُوَثَّقـة واسـتنتاجات مُحـدَّدة مُسـتقاة مـن حالـة كاريتـا وايـت**"، بقلـم ديڤيـد آر. كونجـرس (مطبعـة جامعـة تولـين: 1981) ص 34:

سـيكون مـن الصعـب التشـكيك في أن الفشـل في ملاحظـة الحـالات المحـدَّدة مـن التحريـك الذهنـي خـلال الأعـوام الأولى لفتـاة عائلـة وايـت

لا بُدَّ وأن يُعزى إلى النتيجة التي خلص إليها وايت وستيرنز في ورقتهما البحثية التي تحمل عنوان: "التحريك الذهني: إعادة النظر في موهبة برية"- بأن القدرة على تحريك الأشياء بجهد الإرادة وحدها تخرج إلى النور في لحظات التوتُّر الشخصي البالغ. هذه الموهبة مُخبَّأة جيِّدًا في الحقيقة؛ وإلا فكيف أمكنها أن تبقى محجوبةً لقرونٍ ولا يلوح منها إلا قِمَّة جبل الجليد أعلى بحر من الدجل؟

ليس لدينا إلا دليل هزيل من الأقاويل نُرسي عليه أساسنا في هذه الحالة، لكن حتى هذا كافٍ للتدليل على وجود احتمالية "تحريك ذهني" بمقدار هائل لدى كاري وايت. المأساة الكبرى هي أننا الآن جميعًا كمن يُحذِّر من البلاء بعد وقوعه...

"الدَّورة الشهرية!".

انطلق صفير الاستهجان في البداية من كريس هارجنسن. ارتطم بالجدران المكسوَّة بالقرميد، وارتدَّ، وارتطم مرَّةً أخرى. خرجت ضحكة سو سنيل من أنفها وشعرت بمزيج عجيب مُزعِج من الكراهية والاشمئزاز والحنق والشفقة. لقد بَدَت فقط غبيَّةً جدًّا، في وقفتها هناك، لا تعرف ما كان يجري. يا إلهي! سيظن من يراها أنها لا تعرف قطُّ...

"الدورة!".

كانت تتحول إلى ترنيمة، تعويذة. إحداهن في الخلفية (ربما هارجنسن مرة أخرى، لم تستطع سو أن تُميِّز وسط غابة الأصداء) كانت تصرخ: "سِدِّيها!" بحماس فظٍّ مستهتر. "الدورة، الدورة، الدورة!".

وقفت كاري ببلادة في مركز دائرة تتشكَّل، والماء يقطر حبَّاتٍ من فوق جلدها. وقفت كثَورٍ مريض، مُدرِكةً أن النكتة عليها (كما هو الحال دائمًا)، مرتبكة ببلادة لكن دون اندهاش.

أحسَّت سو بفورة من القرف عندما ارتطمت القطرات الداكنة الأولى من دم الحيض بالبلاط في نقاط بحجم القرش. صاحت:

- بحق الله يا كاري، جاءتك دورتك الشهرية! نظِّفي نفسك!

- أو.. هَه؟

نظرت حولها ببلادة البقر. شعرها ملتصق بوجنتيها على هيئة خوذة ملتوية. كان هناك تجمُّعٌ من حَبِّ الشباب على إحدى كتفيها. في سِنِّ السادسة عشرة، كانت دمغة الأذى المراوغة بالفعل مُتجلِّيةً بوضوح في عينيها.

"تظنُّها مناسِبةً لأحمر الشِّفاه!". صاحت روث جوجان فجأة بفرحة مُبهَمَة، وبعدها انفجرت في ضحكة رفيعة حادَّة. تذكَّرَت سو هذا التعليق لاحِقًا وركَّبته داخل صورة عامة، لكنه الآن كان مُجرَّد صوتٍ آخر بلا معنى وسط الفوضى. كانت تفكِّر: السادسة عشرة؟ لا بُدَّ أنها تعرف ما يحدث، هي...

المزيد من قطرات الدم، وكاري ما زالت ترمش بعينيها ناظِرةً حولها إلى زملاء فصلها في حيرة بطيئة.

التفتت هيلين شايرز وقامت بإيماءات تقيُّؤ زائف.

زعقت سو فجأة في غضب:

- أنتِ تنزفين! أنت تنزفين أيَّتُها الحلوة الكبيرة البليدة!

خفضت كاري عينيها ناظرة إلى نفسها.

صرخت.

كان الصوت عاليًا جدًّا في غرفة تغيير الملابس الرطبة.

ارتطمت سدَّادة قُطنيَّة بصدرها فجأةً وسقطت عند قدميها مع صوت مكتوم. اصطبغ القطن الماصُّ بوردة حمراء انتشرت فيه.

بعدها بدا أن الضحك، المشمئز، المحتقر، المرعوب، قد تصاعد واستحال شيئًا خَشِنًا وقبيحًا، وصارت البنات يقذفنها بالسَّدَّادات القطنية والفُوَط الصحية، بعضها من أكياس نقودهن، وبعضها من الموزِّع الأوتوماتيكي المكسور على الحائط. طارت مثل الجليد وأصبحت الترنيمة: "سِدِّيها، سدِّيها، سدِّيها، سدِّي...".

كانت سو تلقيها أيضًا، تلقي وتنشد مع البقية، غير واثقة تمامًا ممَّا كانت تفعله- سيطرت تعويذةٌ على عقلها وتوهَّجَت مثل النيون: **لا ضَرَرَ في ذلك فعلًا لا ضررَ في ذلك فعلًا لا ضرر**... كانت ما زالت تومض وتتوهَّج، بطريقة مطمئنة، عندما بدأت كاري فجأة تولول وتتراجع إلى الوراء، مُشيحةً بذراعيها وهي تنخر وتزوم.

توقَّفَت الفتيات، مُدرِكاتٍ أن الأمر وصل أخيرًا إلى حدِّ الانشطار والانفجار. عند النظر إلى الوراء، كانت تلك هي اللحظة التي ادَّعَت فيها بعضهن الدهشة. ومع ذلك مرَّت كل هذه الأعوام، كل هذه الأعوام من: فلنعبث بملاءات فِراش كاري في معسكر الشُّبَّان المسيحيين ووجدت هذه الرسالة الغرامية من كاري إلى المغني بوبي بيكيت فلننسخها ونمرِّرها ونخبِّئ سروالها الداخلي في مكان ما ونضع هذا الثعبان في حذائها ونلقي بها في الماء **مرة أخرى**، نلقي بها في الماء **مرة أخرى**، كاري تشترك بعناد دون أن يدعوها أحد في رحلات ركوب الدراجات، تُدعى ذات عام بالحلوة، وفي العام التالي تُدعى وجه المقطورة، دائمًا تفوح برائحة العَرَق، غير قادرة على اللحاق بهنَّ، تُصاب بطفح جلدي من اللبلاب السام نتيجة تبوُّلها بين الشجيرات، ويعرف بذلك الجميع (إيه! تهرشين مؤخِّرتَكِ، هل تَحُكُّكِ مُؤخِّرتُك؟)،

تضع بيلي بريستون زبدة الفول السوداني في شعرها تلك المرة التي سقطت فيها نائمة في قاعة الدراسة، القرصات، السيقان المفرودة بين صفوف المقاعد في المدرسة لإسقاطها أرضًا، الكتب المدفوعة لتسقط من فوق مكتبها، البطاقة البريدية البذيئة المدسوسة في كيس نقودها، كاري في نزهة تابعة للكنيسة تركع بطريقة خرقاء كي تصلِّي وينشقّ خَطٌّ وَصلَة تَنُّورتها القطنية القديمة بمحاذاة السحَّاب مُصدِرًا صوتًا أشبه بصوت إطلاق ريح، كاري دائمًا تفلت الكرة، حتى في لعبة الكيكبول، تسقط على وجهها في الرقص الحديث خلال عامهن الدراسي الثاني وتكسر واحدة من أسنانها، تصطدم بالشبكة خلال لعب الكرة الطائرة، ترتدي دائمًا جوارب ارتخت، أو مرتخية، أو على وشك أن ترتخي، دائمًا ما تظهر بُقَع عَرَق تحت ذراعي قميصها، حتى تلك المرة التي اتَّصَلَت بها فيها كريس هارجنسن بعد المدرسة من محل كيلي فروت في وسط البلدة وسألتها إن كانت تعرف أن براز الخنزير له نفس حروف هجاء اسمها: فجأة بعد كل هذا جاء الوصول إلى الكتلة الحرجة. لقد تمَّ العثور على التعامل الخرائي المطلَق، على الفعل المقرِف، على الإذلال الذي جرى البحث عنه طويلًا.

تراجَعَت إلى الوراء، وهي تُوَلوِل في الصمت الجديد، ساعداها السمينان متقاطعان أمام وجهها، وسدَّادة قطنية ملتصقة في منتصف شعر عانتها.

راقبتها البنات، وعيونهن تلمع في تَهيُّب.

تراجَعَت كاري بظهرها لتدخل في جانب واحدة من مقصورات الاستحمام الأربع الكبيرة وانهارت ببطء مُتَّخِذة وضع الجلوس. خرجت منها تأوُّهات مرتعشة بطيئة وعاجزة. دارت حدقتاها وسط بياض مُخضَلّ، كعينَيْ خنزير في قفص المذبح.

قالت سو ببطء وتردُّد: أعتقد أن هذه لا بُدَّ وأنها أول مرة على الإطلاق لها...

كان هذا عندما انفتح الباب بقوة مُصدِرًا صوت ارتطام عريض وسريع، ودخلت الآنسة ديسياردن كالإعصار لترى ما الأمر.

من كتاب "وانفجر الظل...". (ص 41):

يتَّفق الكُتَّاب المتخصِّصون سواء في الطب أو علم النفس على أن البداية المتأخِّرة بشكل استثنائي والصادمة للدورة الشهرية لدى كاري وايت ربما أطلقت كذلك عقال موهبتها الكامنة.

يبدو من المستحيل أنه في وقتٍ متأخِّر كعام 1979 لم تكن كاري تعرف شيئًا عن الدورة الشهرية للمرأة الناضجة. تقريبًا نفس استحالة تصديق أن أم الفتاة سمحت لابنتها ببلوغ سنِّ السابعة عشرة تقريبًا دون استشارة إخصَّائي أمراض نساء حول فشل الابنة في الحيض.

لكن لا جدال في الحقائق. عندما أدركت كاري وايت أنها تنزف من فتحة المهبل، لم تكن لديها أي فكرة عما كان يحدث. كانت بريئةً من معرفة مفهوم الحيض بأكمله.

تحكي واحدة من زميلات فصلها الناجيات، روث جوجان، عن دخولها غرفة تغيير الملابس في مدرسة إيوين الثانوية قبل عام من الأحداث التي تعنينا ورؤيتها لكاري وهي تستخدم سدَّادةً قُطنيَّة لتفرد بها أحمر شفاهها. في ذلك الوقت قالت الآنسة جوجان: "ماذا تفعلين بحق الجحيم؟"، فأجابتها الآنسة وايت: "أليس هذا صحيحًا؟"، عندئذ ردَّت عليها الآنسة جوجان: "بالطبع. بالطبع هو كذلك". حكت روث جوجان القصة لعدد من صديقاتها البنات (فيما بعد قالت لمن

أجـرى معهـا المقابلـة إنهـا اعتقـدت أن الأمـر كان "لطيفًـا نوعًـا مـا")، وعندمـا كان يحـاول أي شـخص في المسـتقبل أن يخـبر كاري بالغـرض الصحيـح مـمّا كانـت تسـتخدمه لتضـع زينتهـا، كانـت ترفـض بوضـوح هـذا التفسـير باعتبـاره محاوَلـةً لجَـرِّ رِجلهـا. كان هـذا جانبًـا مـن حياتهـا أصبحـت واعيـةً بـه إلى أبعـد حـدٍّ...

عندمـا انصرفـت الفتيـات إلى فصولهـن لحضـور الحصَّـة الثانيـة وصمت الجـرس (كان العديـد منهـن قـد انسـللن بهـدوء مـن البـاب الخلفـي قبـل أن تبـدأ الآنسـة ديسـياردن في أخـذ الأسـماء)، اسـتخدمت الآنسـة ديسـياردن التكتيـك الشـائع لمواجهـة حـالات الهيسـتريا: صفعـت كاري بسرعـة عـلى وجههـا. كان مـن الصعـب أن تعـترف بالمتعـة التـي منحهـا إيَّاهـا هـذا التـصرُّف، وكانـت بالتأكيـد سـتنكر أنهـا كانـت تعتـبر كاري كيسًـا سـمينًا ومُتذمِّـرًا مـن شـحم الخنزيـر. كمُعلِّمـة للعـام الأول، كانـت مـا زالـت تعتقـد أن كل الأطفـال في ظنِّهـا طيِّبـون.

تطلَّعَت إليها كاري ببلادة، ووجهها ما زال ملتويًا ومُتشنِّجًا.

- آآآنسة ددددديسد...

- انهضي...

قالتها الآنسة ديسياردن ببرود.

- انهضي واضبطي نفسك.

- أنا أنزف حتى الموت!

صرخـت كاري ورفعـت يـدًا عميـاء مُتخبِّطـةً وقبضـت عـلى سروال الآنسـة ديسـياردن الأبيـض القصـير. وتركـت بصمـة يـدٍ داميـة.

- أنا... أنت...

التـوى وجـه مدرسـة الألعـاب وتغضَّـن بالاشـمئزاز، وفجـأة دفعـت كاري لتنهـض متعـثِّرةً عـلى قدميهـا.

- غوري هناك!

وقفـت كاري مُترنِّحـةً بـين الصنابـير والحائـط بموزِّعِ فُوَطِـه الصحيـة مقابـل قطعـة بعـشرة سـنتات، منحنيـة إلى الأمـام، ونهداهـا يشـيران إلى الأرض، ذراعاهـا متدلِّيتـان في تـراخٍ. بَـدَت أشـبه بقـرد. كانـت عيناهـا لامعتَـيْن وخاليتـين مـن أي تعبـير.

قالت الآنسة ديسيارِدن بصوت كالفحيح، وبتأكيد قاتل:

- والآن خـذي واحـدة مـن هـذه الفُـوَط... لا، لا تُبـالي بفتحـة العُملـة، إنـه مكسـور عـلى أي حـال... خـذي واحـدة و... اللعنـة، ألا تفعلينهـا! تتصرَّفـين وكأن الـدورة لم تأتِـكِ مـن قبـل.

قالت كاري:

- الدَّورة؟

كان تعبيرهـا عـن الشـك التـام حقيقيًّـا للغايـة، مليئًـا للغايـة برُعـبٍ بليـد وعاجـز، بشـكل أكـبر مـن أن يجـري تجاهلـه أو إنـكاره. خطـرت في ذهـن ريتـا ديسـياردن معرفـة اسـتباقيَّةً مُزعِجَـة وسـوداء. هـذا مسـتحيل، لا يمكـن أن يكـون. هـي نفسـها بـدأت الحيض بعـد عيـد ميلادهـا الحـادي عـشر بقليـلٍ ومضـت إلى أعـلى الـدَّرَج لتصيـح بانفعـال ناظـرةً إلى أسـفل: "يـا مامـا، أنـا حائـض!".

والآن تقول:

- كاري؟

تقدَّمَت نحو الفتاة.

- كاري؟

جفلت كاري بعيدًا. في نفس اللحظة، سقط رفٌّ من مضارب السوفتبول في الرُّكن مُصدِرًا صوتَ ارتطام كبير ومُدوٍّ. تدحرجت المضارب في كل اتجاه، جاعِلةً ديسياردن تقفز.

- كاري، هل هذه هي دورتك الأولى؟

لكن الآن بعد أن جرى التسليم بالفكرة، لم يكن عليها أن تسأل. كان الدم قانيًا ومتدفِّقًا بثِقَلٍ مُريع. وكانت ساقا كاري ملطَّختَيْن ومُبقَّعَتيْن به، وكأنها خاضت نهرًا من الدماء.

توجَّعَت كاري:

- هذا يؤلم... بطني...

قالت الآنسة ديسياردن:

- سيمرُّ هذا.

اجتمعت الشَّفَقة مع الخزي من الذات فيها وامتزَجَا بصعوبة.

- عليكِ أن... آه، تُوقِفي تَدفُّقَ الدم. أنتِ...

التمع وميضٌ ساطع فوق رأسيهما، تبعته فَرقَعةٌ أشبه بطلقة رصاص عندما أزَّت لمبة كهربائية وانفجرت. صرخت الآنسة ديسياردن مفزوعة، وخطر لها...

(المكان اللعين بأكمله يسقط)

أن هذه الأشياء يبدو أنها تحدث دائمًا حول كاري عندما تنزعج، وكأن الحظُّ السّيِّئ يلازم كلَّ خطوة تخطوها. ذهبت الفكرة تقريبًا بنفس السرعة التي أتت بها. أخذت إحدى الفوط الصحية من الموزِّع وأزالت غُلافَها وقالت:

- انظري.. هكذا...

من كتاب "وانفجر الظلُّ...". (ص 54):

أنجبت والدة كاري وايت، مارجريت وايت، ابنتها، يوم 21 سبتمبر 1963، في ظروفٍ لا يمكن وصفها إلا بأنها عجيبة. في الحقيقة، أي نظرة عامَّة على حالة كاري وايت تترك لدى الباحث المهتم شعورًا واحدًا يرتقي فوق كل المشاعر الأخرى: أن كاري كانت المشكلة الوحيدة لأُسرَةٍ غريبة بشكل لا تُماثِله أي أسرة أخرى سُلِّط عليها الاهتمام الشعبي.

كما أشير من قبل، مات رالف وايت في فبراير من عام 1963 عندما سقطت عارضة فولاذية من حبال رافعة على مجموعة عمل في مشروع إسكاني في بورتلاند. استمرَّت السيدة وايت في العيش وحيدة في بيتهما البنغالي في ضاحية من تشامبرلين.

بسبب معتقدات آل وايت الدينية الأصولية شبه المتعصِّبة، لم يكن لدى السيدة وايت أي أصدقاء يراعونها خلال فترة حِدادها. وعندما جاءها المخاض بعد سبعة أشهر، كانت وحيدة.

حوالي الساعة 1:30 مساء يوم 21 سبتمبر، بدأ الجيران في شارع كارلين يسمعون صرخاتٍ آتيةً من بيت آل وايت. ومع ذلك، لم يتمَّ استدعاء البوليس إلى المكان إلا بعد الساعة 6:00 مساء. وليس أمامنا إلا بديلان مُزعِجان لتفسير هذا الفارق الزمني: إمَّا أن جيران السيدة وايت في الشارع لم يرغبوا في التورُّط في تحريات البوليس، أو أن النفور منها قد أصبح قويًّا جدًّا لدرجة أنهم تبنَّوا عن عَمدٍ موقِفَ: فلننتظر ونرى. السيدة چورچيا ماكلولين، الوحيدة من السكان الثلاثة الباقين الذين كانوا في الشارع وقتها والتي تحدَّثَت معي، قالت إنها لم تتصل بالبوليس لأنها اعتقدت أن الصرخات لها علاقة ما "بطقس ديني عاطفي".

عندما وصل البوليس في الساعة 6:22 مساء، كانت الصرخات قد صارت غيرَ عادية. عُثر على السيدة وايت في فِراشها بالطابق العلوي، وفي البداية اعتقد ضابط التحرِّيات توماس ج. ميرتون أنها ضحية لاعتداء. كان الفِراشُ غارقًا في الدماء، وعلى الأرضية ارتمت سكِّين جَزَّار. عندئذ فقط رأى المولودة، وهي ما زالت ملفوفةً جُزئيًّا بغشاء المشيمة، على صدر السيدة وايت. كان من الواضح أنها قطعت الحَبلَ السُّرِّيَّ بنفسها مُستَخدِمةً السكين.

ممَّا يُزعزع كُلًّا من الخيال والعقيدة أن تُطرح فرضية أن السيدة مارجريت وايت لم تكن تعلم أنها حامل، أو حتى تفهم ما تعنيه الكلمة، وهناك باحثون محدثون مثل ج. و. بانكسون وچورچ فيلدينج قدَّموا حُجَّةً أكثر منطقية لفرضية أن هذا المفهوم، المرتبط في ذهنها على نحوٍ لا رجعة فيه ب "خطيئة" الجماع، قد حيل بينه تمامًا وبين الوصول إلى عقلها. ولعلَّها ببساطة قد رفضت أن تصدِّق أن شيئًا كهذا يمكن أن يحدث لها.

لدينا سِجِلَّات تضّمُّ على الأقل ثلاثة خطابات إلى صديقة في كينوشا، ويسكونسن، يبدو أنها تثبت على نحو قاطع أن السيدة وايت اعتقدت، منذ شهرها الخامس فصاعدًا، أنها مصابة ب "سرطان الأعضاء النسائية" وأنها ستنضم قريبًا إلى زوجها في الجنة...

عندما صعدت الآنسة ديسياردن إلى المكتب مصطحبة كارين بعد خمس عشرة دقيقة، كانت القاعات خاليةً بشكل رحيم، والفصول مستمرة في العمل بشكل روتيني خلف الأبواب المغلقة.

كانـت صرخـات كاري قـد توقَّفَـت أخـيراً، لكنهـا اسـتمرت في البـكاء بانتظام ثابـت. وفي النهايـة وضعـت ديسـياردن الفوطـة بنفسـها، ونظَّفَـت الفتـاة بمناشِـفَ ورقيَّـةٍ مُبلَّلـة، وألبسـتها سروالهـا الداخـلي القطني السـادة.

حاوَلَـت مرتـين أن تـشرح الحيـض كحقيقـة عاديَّـة، لكـن كاري وضعـت يديهـا عـلى أذنيهـا واسـتمرَّت في البـكاء.

كان السـيد مورتـون، مسـاعد المديـر، خـارج مكتبـه للحظـة عندمـا دخلتـا. كان بيـلي دي لويـس وهـنري تريـنانـت، وهـما صبيـان ينتظـران المحـاضرة المسـتحقَّة لهـما عـلى تهرُّبهـما مـن حصَّـة اللغـة الفرنسـية الأولى، يحملقـان حولهـما مـن فـوق مقعديهـما.

قال السيد مورتون بخفَّة:

- ادخُلَا، ادخُلا مباشرة.

حـدَّق مـن فـوق كتـف ديسـياردن إلى الصبيَّـيْن، اللذيـن كانـا يُحدِّقـان في بصمـة اليـد الداميـة عـلى سروالهـا القصـير.

- إلامَ تنظران؟

- الدماء...

قالها هنري، وابتسم بنوع من الدهشة البلهاء.

ردَّ مورتون بعنف:

- حصَّتان حبس...

وألقى نظرة على بصمة اليد الدامية ورمش بعينيه.

أغلـق البـاب وراءهـما وبـدأ يفتـش في الـدرج العلـوي مـن خزانـة ملفاتـه بحثًـا عـن اسـتمارة حادثـة مدرسـية.

- هل أنت بخير؟ هه؟

قالت ديسياردن على سبيل المساعدة:

- كاري... كاري وايت.

أخيراً وجد السيد مورتون استمارة حادثة. كانت عليها بقعة قهوة كبيرة.

- لن تحتاج إلى هذه يا سيد مورتون.

- أظنُّ أن الترامبولين كان هو السبب. نحن للتوِّ... لن أحتاج؟

- لا. لكني أعتقد أن كاري ينبغي أن يُسمح لها بالعودة إلى البيت بقية اليوم. لقد مرَّت بخبرةٍ مُخيفَةٍ بعض الشيء.

التمعت عيناها بإشارة التقطها لكنه لم يتمكَّن من تفسيرها.

- نعم، لا بأس، إذا كان هذا رأيك. طيب. لا بأس.

كرمش مورتون الاستمارة وأعادها داخل خزانة الملفات، وصَفَقَها ليغلقها على إبهامه في الدُّرج، ونخر متألِّمًا. التفَتَ برشاقة نحو الباب، وجذبه بعنف ليفتحه، وحدَّق غاضِبًا في بيلي وهنري، ونادى:

- آنسة فيش، هل يمكن أن تأتي لنا بإذن مغادرة هنا من فضلك؟ كاري رايت.

قالت له الآنسة ديسياردن:

- وايت.

قال مورتون مُوافِقًا:

- وايت.

كتم بيلي دي لويس ضحكته.

عوى مورتون قائلًا:

- أسبوع حبس!

كانــت كدمــة دمويــة صغــيرة تتكــوَّن أســفل ظفــر إبهامــه. مؤلمــة كالجحيــم. اســتمرَّ بــكاء كاري الثابــت الرتيــب بــلا انقطــاع.

أحــضرت الآنســة فيــش إذن المغــادرة الأصفــر وخــطَّ مورتــون عــلى عَجَــلٍ حــروفَ اســمه الأولى عليهــا بقلمــه الرصــاص الفــضي، وهــو يجفــل عنــد الضغــط عــلى إبهامــه الجريــح.

تساءل:

- هــل أنــت بحاجــة إلى توصيلــة يــا كاسي؟ يمكننــا الاتصــال بســيارة أجــرة لــو كنــت تحتاجــين واحــدة.

هــزَّت رأســها. لاحــظ في نفــورٍ أن فقاعــة كبــيرة مــن المخــاط كانــت قــد تكوَّنَــت عنــد فتحــة أنــف واحــدة. تطلَّــع مورتــون مــن فــوق رأســها ناظِــرًا إلى الآنســة ديســياردن التــي قالــت:

- أنــا واثقــة أنهــا ســتكون بخــير. عــلى كاري فقــط أن تذهــب إلى شــارع كارلــين. ســيجعلها الهــواء النقــي تتحسَّــن.

أعطى مورتون للفتاة الإذن الأصفرَ وقال برحابة صدر:

- يمكنك الذهاب الآن يا كاسي..

- هذا ليس اسمي!

صرخت كاري فجأة.

تراجَــعَ مورتــون إلى الــوراء، وقفــزت الآنســة ديســياردن كــما لــو أن شــيئًا ضربهــا مــن الخلــف. أمَّــا منفضــة الســجائر الخزفيــة الثقيلــة عــلى مكتــب مورتــون (كانــت تمثــال المفكِّــر لــرودان وقــد تحوَّلَــت رأســه إلى وعــاء لأعقــاب الســجائر) فقــد ســقطت فجــأة عــلى البســاط، وكأنهــا تأخــذ ســاتِرًا مــن قــوة صرختهــا. تناثَــرَت الأعقــاب وقشــورٌ مــن تَبــغِ غليــون مورتــون عــلى البســاط الأخــضر الباهــت المصنــوع مــن النايلــون.

قال مورتون، مُحاوِلًا أن يحشد كل ما لديه من صرامة:

- اسمعي الآن، أعرف أنك مُنزَعِجَة، لكن هذا لا يعني أني سأتحمَّل...

قالت الآنسة ديسياردن بهدوء:

- من فضلك..

رمش مورتون بعينيه ناظِرًا إليها ثم أومأ باقتضاب. حاول أن يتمثَّل صورة شخصية الممثِّل المحبوب چون واين أثناء أدائه الوظائف الانضباطية التي كانت مَهمَّته الأساسية كمساعد مدير، لكنه لم ينجح تمام النجاح. كانت الإدارة (التي يُمثِّلها عادة الناظر هنري جرايل في حفلات عشاء أعضاء الغرف التجارية، ومهام جمعية أولياء الأمور والمعلمين، واحتفالات جوائز الفيلق الأمريكي) تطلق عليه عادةً لقبَ "مورت المحبوب". أمَّا الكيان الطُّلَّابي فكان أكثرَ مَيلًا لتسميته "ذلك اللوطي المجنون في الإدارة". لكن بما أن قليلًا من الطلبة مثل بيلي دي لويس وهنري تريننانت كانوا يتحدَّثون في اجتمعات أولياء الأمور والمعلِّمين أو في اجتماعات البلدة، مال النصر إلى جانب وجهة نظر الإدارة.

ابتسم الآن مورت المحبوب إلى كاري، كان ما زال يُهَدهِدُ سِرًّا إصبَعَه المرضوض، وقال:

- اذهبي إذًا إذَا شئتِ يا آنسة رايت. أم هل تودِّين أن تجلسي لتستريحي قليلًا وتُلَملِمي نفسك فقط؟

تمتمت قائلة:

- سأذهب...

وضربت بيدها على شَعرها. نهَضَت، ثم التفتت إلى الآنسة ديسياردن. كانت عيناها مفتوحتين على اتساعهما وقاتمتين من المعرفة.

- ضحكوا عليَّ. رموا أشياء. لقد ضحكوا دائمًا.

لم تستَطِع الآنسة ديسياردن إلا أن تنظر إليها في عجز.

انصرفت كاري.

للحظة ساد الصمت، راقبها مورتون وديسياردن وهي تنصرف. ثم انحنى السيد مورتون مُقَرفِصًا مع سُعالٍ مُحرَج يجلو به حلقه، وبدأ يجمع حُطام منفضة السجائر الواقعة.

- عمَّ كان كل هذا؟

تنهَّدَت ونظرت باشمئزاز إلى بصمة اليد الحمراء القانية بعد أن جفَّت على سروالها.

- جاءتها دورتها الشهرية. دورتها الأولى. في الحمَّام.

جلا مورتون حلقه مرَّةً أخرى وتورَّدَت وجنتاه. وتحرَّكَت الورقة التي كان يكنس بها بسرعة أكبر.

- أليست الفتاة آه... بعض الشيء؟...

- كبيرة السِّنِّ على أن تكون دورتها الأولى؟ بلى. وهذا ما جعل الأمر صادِمًا للغاية بالنسبة لها. رغم أني لا أستطيع أن أفهم لماذا أمها...

تلاشت الفكرة، صارت منسيَّةً للحظة.

- لا أعتقد أني تعامَلتُ مع الأمر بشكل جيد يا مورتي، لكني لم أفهم ماذا كان يجري. كانت تعتقد أنها ستنزف حتى الموت.

حدَّق فيها بجِدَّة.

- لا أصدق أنها كانت تعرف بوجود شيء اسمه الحيض حتى نصف ساعة مضت.

- ناوليني تلك الفرشاة الصغيرة هناك يا آنسة ديسياردن. نعم، تلك هي.

ناولتـه فرشـاة صغـيرة منقـوش عـلى مقبضهـا: **شركـة تشـامبرلين للمُعِـدَّات والأخشـاب لا تنفـض لـك أبـدًا.** بـدأ يكنـس بالفرشـاة كومـة رمـاده عـلى الورقـة.

- أظـنُّ أنـه سيظل هنـاك بعـض العمـل للمكنسـة الكهربائيـة. هـذه الكومـة العويصـة بائسـة. ظَنَنـتُ أني وضعـت تلـك المنفضـة أبعـد إلى الـوراء عـلى المكتـب. غريبـة الطريقـة التـي تسـقط بهـا الأشـياء.

اصطدمت رأسه بالمكتب واعتدل في جلسته بحدة.

- مـن الصعـب بالنسـبة لي أن أصـدِّق أن فتـاة في هـذه المدرسـة الثانويـة أو أي مدرسـة ثانويـة أخـرى يمكنهـا أن تجتـاز ثلاثـة أعوام وتظـلَّ في منـأى عـن حقيقـة الحيـض يـا آنسـة ديسـياردن.

- وهـذا أصعـب بالنسـبة لي. لكـن هـذا كل مـا يمكـن أن أفكِّـر فيـه لتفسـير ردِّ فعلهـا. وقـد كانـت دائمًـا كبـش فـداء لمجموعـة مـن الفتيـات.

- إمـمم...

أفـرغ القُمـعَ الـذي صنعـه بالورقـة مـن الرمـاد وأعقـاب السـجائر في سـلَّة النفايـات ونفـض يديـه.

- أعتقـد أني مَيَّزتهـا الآن. وايـت. ابنـة مارجريـت وايـت. لا بُـدَّ. هـذا يجعـل الأمـر أسـهل قليـلًا في تصديقـه.

جلس خلف مكتبه وابتسم معتذرًا.

- هنـاك الكثـير منهـم. بعـد خمسـة أعـوام أو نحـو ذلـك، يبـدؤون جميعًـا في الاندمـاج داخـل وجـهٍ جَماعـيٍّ واحـد. تجديـن نفسـك تناديـن الأولاد بأسـماء إخوتهـم، وهكـذا. إنـه أمـر صعـب.

- بالطبع هو كذلك.

- انتظري حتى تقضي في اللعبة عشرين عامًا، مثلي...

قالها بطريقة كئيبة، مُطرِقًا لينظر إلى كدمته الدموية.

- يأتيكِ أطفال يبدون مألوفين وتكتشفين أن والدهم كان تلميذًا لدَيكِ في العام الذي بدأت فيه التدريس. كانت مارجريت وايت في المدرسة قبل زمني، وأنا مُمتَنٌّ لهذا على نحو عميق. لقد قالت للسيدة بايسينتي -يرحمها الله- إن الرب يحتفظ بمقعدِ حَرقٍ خاصٍّ في الجحيم من أجلها لأنها أعطت الأطفال خطوطًا عامَّةً عن آراء داروين في النشوء والارتقاء. وقد تلقَّت طردين مؤقَّتَيْن عندما كانت طالِبةً هنا- أحدهما لضربها زميلة فصل بحقيبة يدها. ثمَّة حكاية خرافية أن مارجريت رأت زميلة فصلها تلك تُدخِّن سيجارة. آراء دينية غريبة. غريبة جدًّا.

فجأة خفت تعبيره المحاكي لجون واين.

- الفتيات الأخريات... هل ضحكن عليها فعلًا؟

- أسوأ من هذا. كُنَّ يصرخن ويُلقين الفوط الصِّحِّيَّة عليها عندما دخلت. يُلقينها مثل... مثل الفول السوداني.

- آه، آه يا إلهي.

اختفى جون واين. تحوَّل وجه السيد مورتون إلى اللون القرمزي.

- هل لديكِ أسماء؟

- نعم. ليس كلهن، رغم أن بعضهن يمكن أن يَشين بالبقية. بدا أن كريستين هارجنسن كانت زعيمةَ العصابة... كالمعتاد.

تمتم مورتون:

- كريس وعصابتها المورتيمر سنيردز[1].

---

(1) عصابة/ مجموعة من الفتيات/ المتنمِّرات بقيادة كريس هارجنسن، ويعشن جميعًا في

- نعم. تينا بليك، ريتشيل سبايز، هيلين شايرز، دونًا ثيبودو وأختها ماري ليلا جريس، جيسيكا آبشو. وسو سنيل.

قطبت حاجبيها وأكملت:

- لا يتوقَّع المرء فعلًا كهذا من سو. لم تبدُ قطُّ من النمط الذي يقوم بمثل هذا النوع من... الأفعال البهلوانية.

- هل تكلَّمتِ مع الفتيات المتورِّطات؟

أصدرت الآنسة ديسياردن نقنقة بائسة وقالت:

- طردتهن من المكان. كنتُ مُضطربةً أكثر من اللازم. وكانت كاري تعاني من أعراض هيستيرية.

- إممم.

شبك أصابع يديه وقال:

- هل تُخطِّطين للحديث معهن؟

- نعم.

لكنها بَدَت مُتردِّدةً.

- هل ألمح نغمة من...

قالت مُتجهِّمةً:

- ربما، صحيح. فأنا مكشوفة وكأني أعيش في بيت من الزجاج كما ترى. أفهم ما أحسَّت به هؤلاء الفتيات. لقد جعلني الأمر كله راغبة في أن أمسك بالفتاة وأرجَّها. ربما هناك نوع ما من الغريزة فيما يتعلَّق بالحيض يجعل النساء راغبات في العراك، لا أعرف. تطاردني صورة سو سنيل والطريقة التي بدت بها.

تشامبرلين بولاية مين (المترجم، نقلًا عن موقع ستيفن كينج ويكي) ومورتيمر سنيرد اسم دمية خشبية كان يستخدمها الممثِّل إدجار بيرجن في عروضه.

- إممم...

كرَّر السيد مورتون بطريقة حكيمة. لم يكن يفهم النساء ولم يكن لديه أي دافع على الإطلاق لمناقشة موضوع الحيض.

وعدته وهي تنهض:

- سأتحدَّث إليهن غدًا. سأوبِّخهنَّ من كافة الجوانب.

- حسنٌ. دعي العقاب يناسب الجريمة. وإذا أحسست أن عليك أن ترسلي، آه، إليَّ أي واحدة منهن، لك مطلق الحرية...

- سأفعل...

قالت بلطف...

- بالمناسبة، انكسرت لمبة أثناء محاولتي تهدئتها. جاءت ليكتمل المشهد.

- سأرسل عامل تنظيف حالًا...

قال واعِدًا.

- وشكرًا لبذلك أقصى ما لديك يا آنسة ديسياردن. هل يمكنك أن تجعلي الآنسة فيش تبعث إليَّ بيلي وهنري؟

- بالتأكيد.

وانصَرَفَت.

مال إلى الوراء في جلسته وترك الموضوع كله ينزلق خارج ذهنه. وعندما انسلَّ بيلي دي لويس وهنري تريننانت، المتهرِّبان الخارقان من الحصَّة، داخلين إلى المكتب؛ حملق فيهما بسعادة واستعدَّ للكلام بخشونة.

وكـما كان يقـول كثـيراً لهانـك جرايـل، أكل المتهرِّبـين مـن الحصَّـة عـلى الغـداء.

كتابة محفورة على تختة في مدرسة تشامبرلين الإعدادية:

الـورود حمـراء، البنفسـجات زرقـاء، السُّـكَّر حلـو، لكـن كاري وايـت تـأكل الخـراء.

قطَعَـت جـادَّة إيويـن وعبرتهـا إلى شـارع كارلـين عنـد إشـارة المـرور الحمـراء في الناصيـة. سـارت مُطرِقـةَ وهـي تحـاول ألَّا تفكـر في أي شيء. جـاءت التقلُّصـات وراحـت في موجـات مُقبِضَـة هائلـة، جعلتهـا تبطـئ وتُـسرِع كسـيارة لديهـا مشـكلة في الكاربراتـير. حدَّقَـت في الرصيـف. صخـور مـن الكوارتـز تلمع في الإسمنت. خانـات لعبـة الحجلـة مشـخبطة بخطـوط طباشـير شـبحية نَحَلَهـا المطـر. قِطَـع مُبَطَّطـة مـن اللبـان. مِزَق مـن ورق الألمونيـوم وأغلفـة الحلـوى الرخيصـة. **كلهـم يكرهـون ولا يتوقَّفـون قـطُّ. لا يتعبـون قـطُّ مـن ذلـك.** بنـس مسـتقرٌّ في شـقٍّ. ركلتـه. **تخيَّـلي كريـس هارجنسـن داميـة تمامًـا وتـصرخ طلبًـا للرحمـة. والجـرذان تزحـف عـلى وجههـا بأكملـه. حسـنٌ. حسـنٌ. سـيكون هـذا حسـنًا.** غائـط كلـب في منتصفـه أثـر قَـدَمٍ. لفافـة مـن كبسـولات البـارود المسـودَّة دَقَّهـا طفـل مـا بحجـر حتـى انبعجـت. أعقـاب سـجائر. **تتحطَّـم رأسـها بحجـر، بجلمـود صخـر. تتحطَّـم رؤوسـهن جميعًـا. حسـنٌ. حسـنٌ.**

(يسوع المخلِّص الوديع الحنون)

كان هــذا حسـنًا لمامـا، ولا بـأس بـه بالنسـبة لهـا. لم يكـن عليهـا أن تذهـب وسـط الذئـاب كل يـوم مـن كل عـام، لتدخـل في كرنفـال مـن

الضحـكات ومُطلِقـي النِّـكات والمشـيرين بأصابعهـم والهازئـين والهازئـات. وألم تَقُـل ماما إنـه سـيكون هنـاك يـوم حسـاب

(سيكون اسم ذلك الكوكب الأفسنتين وسيؤدَّبون بالعقارب)

وملاك معه سيف؟

فقـط لـو يكـون هـذا اليوم ويـأتي يسـوع ليـس بحَمَـلٍ وعصـا الراعـي، لكـن بجلمـود صخـر في كل يـدٍ ليُحطِّـم الضاحكـين والهازئـين، ليقتلـع الـشَّرَّ ويحكمـه صارِخًـا- يسـوع رهيـب دمـوي ومقيـم للعـدل.

فقط لو أمكنها أن تكون سيفه وذراعه.

لقـد حاوَلَـت أن تتأقلـم. لقـد تحـدَّت مامـا بمائـة طريقـة صغـيرة، وحاولـت أن تمحـو دائـرة الطاعـون الأحمـر التـي رُسِـمَت حولهـا مـن أول يـوم غـادرت فيـه البيئـة المحكومـة للبيـت الصغـير في شـارع كارلـين وسـارت إلى المدرسـة الابتدائيـة بشـارع باركـر وكتابهـا المقـدَّس تحـت ذراعهـا. كان مـا زال بمقدورهـا تذكُّـر ذلـك اليـوم، البحلقـات، والصمـت المباغـت الرهيـب عندمـا ركعـت عـلى ركبتيهـا قبـل الغـداء في مقصـف المدرسـة- لقـد بـدأ الضحـك في ذلـك اليـوم وتـردَّدَت أصداؤه عـبر السـنين.

كانـت دائـرة الطاعـون الأحمـر أشـبه بالـدَّمِ ذاتـه- يمكنـك أن تدعـك وتدعـك وتدعـك وسـتظل هنـاك، لا مَمحـوَّة، ولا نظيفـة. لم تركـع عـلى ركبتيهـا في مـكان عـام مـرة أخـرى قَـطُّ، رغـم أنهـا لم تخـبر مامـا بهـذا. ومـع ذلـك، بقيـت الذكـرى الأولى، معهـا ومعهـم. لقـد حارَبَـت مامـا بيدهـا وأسـنانها مـن أجـل معسـكر الشُّـبَّان المسـيحيين، واكتسَـبَت المـال الـلازم للذهـاب بنفسـها بالانخـراط في الخياطـة. أخبرتهـا مامـا مُنـذِرَةً أن هـذه خطيئـة، أنهـا تغـصُّ بطوائـف الميثوديِّـين والمعمدانيِّـين والأبرشـانيين وأنهـا خطيئـة وارتـداد. حرَّمـت عـلى كاري السـباحة في المعسـكر. لكـن رغـم أنهـا سـبحت وضحكـت عندمـا غطَّسـوها (إلى أن لم يَعُـد بمقدورهـا أن تتنفَّـس، واسـتمرُّوا يفعلـون ذلـك، وانتابتهـا نَوبَـةٌ مـن الهلـع وبـدأت

تـصرخ)، وحاوَلَـت أن تشـترك في أنشـطة المعسـكر، إلّا أن ألـف مقلـب جـرى لـكاري "المُصلِّيـة" القديمـة وعـادت إلى البيـت في البـاص قبـل أسـبوع مـن نهايـة المعسـكر، بعينـين حمراويـن وغائرتـين مـن البـكاء، لتلتقطهـا ماما عنـد المحطـة، وقالـت لهـا ماما بقسـوة إنهـا ينبغـي أن تحافـظ عـلى ذِكـرى تعذيبهـا كدليـلٍ عـلى أن ماما كانـت تعـرف، أن ماما كانـت عـلى حـقٍّ، أن الأمـل الوحيـد في الأمـن والخـلاص كان داخـل الدائـرة الحمـراء. "لأنـه مـا أضيـق البـاب وأكـرب الطريـق الـذي يـؤدِّي إلى الحيـاة" كـما قالـت ماما بقسـوة في التاكـسي، وفي البيـت حبسـت كاري في الخزانـة لسـت سـاعات.

بالطبـع كانـت ماما قـد حظَـرَت عليهـا الاسـتحمام مـع الفتيـات الأخريـات، وكانـت كاري قـد خبَّـأت أدوات اسـتحمامها في خزانتهـا بالمدرسـة، واسـتحمَّت عـلى أي حـال، مُشـارِكةً في طقـس عُـريٍ كان مُخزِيًـا ومُحرِجًـا لهـا عـلى أمـل أن تبهـت الدائـرة مـن حولهـا قليـلًا، قليـلًا فقـط...

(لكن اليوم آهٍ من اليوم)

كان تومـي إربـتر، البالـغ مـن العمـر خمسـة أعـوام، منطلِقًـا بدرَّاجتـه عـلى الجانـب الآخـر مـن الشـارع. كان وَلَـدًا صغـيرًا ذا مظهـر جـاد عـلى دراجـة ماركـة شـوين عشريـن بوصـة بعجلـة إضافيـة حمـراء زاهيـة. كان يُهَمهِـم بأغنيـة "سـكوبي دو، ويـر آر يـو؟" بصـوت خفيـض. رأى كاري، فـأشرق وجهـه، وأخـرج لهـا لسـانه.

- إيه يا ذات الوجه العجوز المقرف! يا كاري المُصلِّية القديمة!

حدجتـه كاري وهـي تستشـيط غضبًـا مُفاجِئًـا. ترنَّحَـت الدراجـة عـلى عجلتهـا الإضافيـة وانقلبـت فجـأة. صرخ تومـي. كانـت الدراجـة فوقـه. ابتسـمت كاري وتابعـت سـيرها. كان صـوت ولـولات تومـي في أذنيهـا أشـبه بموسـيقى عذبـة مجلجلـة.

فقط لو أمكنها أن تجعل شيئًا كهذا يحدث متى شاءت.

(فعلتها للتوّ)

توقَّفَت تمامًا قبل سبعة منازل من بيتها، مُحدِّقةً ببلادة في اللا شيء. خلفها، كان تومي يركب دراجته من جديد باكيًا، مُمسِكًا بركبة مخدوشة. صاح بشيء نحوها، لكنها تجاهَلَته. لقد صاح فيها من قبل أصحاب خبرة.

كانت تفكِّر:

(اسقُطْ من فوق هذه الدراجة يا وَلد... اسقُطْ من فوق تلك الدراجة ولتنشقَّ رأسُكَ العَفِنَة)

وحدث شيء ما.

حدث أن ذهنها ال... ال... فتَّشَت عن الكلمة. التوى. لم يكن هذا صحيحًا تمامًا، لكنها كانت كلمة قريبة جدًّا. لقد حدث التواء ذهنيٌّ غريب، تقريبًا مثل كوع يلتوي أثناء رفع دمبل. لم يكن هذا صحيحًا تمامًا أيضًا، لكنه كان كل ما أمكنها أن تفكر فيه. كوع بلا قوة. عضلة رضيع ضعيفة.

الْتِو.

فجأة حدَّقَت بشراسة في نافذة حجرة المعيشة الممتدَّة باتِّساع الحائط في بيت السيدة يوراتي. فكَّرَت:

(تلك العاهرة العجوز الغبية العتيقة فلتنكسر هذه النافذة)

لا شيء. التمعت نافذة حائط السيدة يوراتي بهدوء في وهج الساعة التاسعة صباحًا المنعش. قبض تقلُّصٌ آخر على بطن كاري واستمرَّت في سيرها.

لكن...

اللمبة. ومنفضة السجائر؛ لا تنسَيْ منفضة السجائر.

التفتت لتنظر

(العاهرة العجوز تكره ماما)

من فوق كتفها. مرَّةً أخرى بدا أن شيئًا ما التوى... لكن بضَعفٍ شديد. اهتزَّ تَدفُّق أفكارها وكأن هناك فَورانًا من ينبوع أعمق في الداخل.

بدا أن نافِذة الحائط تتموَّج. ولا مزيد. لعلها كانت عينيها. لعلها.

بدأت رأسها تشعر بالتعب والدُّوار، وخفقت مُنذِرَةً ببداية صداع. كانت عيناها ساخِنَتَيْن، كما لو أنها جلَسَت للتَّوِّ وقرأت سِفرَ رؤيا يوحنا كاملة.

استمرَّت في السير قاطعة الشارع نحو البيت الأبيض الصغير ذي الشبابيك الزرقاء. كان الشعور بالكراهية/ الحب/ الخوف المألوف يتماوج بداخلها. كان اللبلاب قد زحف فوق الجانب الغربي من البيت البنغالي (كانتا تُسمِّيانه دائِمًا البيت البنغالي لأن البيت الأبيض بدا أشبهَ بمَزحَةٍ سياسية وماما قالت إن كل السياسيين محتالون وآثِمون وسيُسلِّمون البلد في النهاية إلى الحُمر الملاحِدَة الذين سيضعون كل المؤمنين بيسوع -حتى الكاثوليك- في مواجهة الحائط)، وكان اللبلاب خلَّابًا، كانت تعرف هذا، لكنها كانت تكرهه أحيانًا. أحيانًا، مثل الآن، بدا اللبلاب أشبه بكَفٍّ عملاق بَشِعَة مُمتَلِئة بأَورِدَةٍ هائلة خرجت من الأرض لتقبض على المبنى. اقتربت منه وهي تجرُّ قدميها.

بالطبع، كانت هناك الحجارة.

توقَّفَت مرَّةً أخرى، وهي ترمش بعينيها في ضوء النهار ببلادة. الحجارة. لم تتحدَّث ماما قطُّ عن ذلك؛ بل إن كاري لم تعرف إن كانت أمها ما زالت تتذكَّر يوم الحجارة. من المدهش أنها هي نفسها ما زالت تتذكَّر ذلك اليوم. كانت بنتًا صغيرة جدًّا وقتها. كم كان عمرها؟

ثلاثة أعوام؟ أربعة؟ كانت هناك تلك الفتاة في ثوب الاستحمام الأبيض، وبعد ذلك جاءت الحجارة. وطارت الأشياء في البيت. ها هي الذكرى حَلَّت، ساطِعةً وواضحة فجأة. وكأنها كانت هنا طوال الوقت، تمامًا تحت السطح، تنتظر نوعًا ما من البلوغ العقلي.

تنتظر، ربما، هذا اليوم.

من مقال: **"كاري... الفجر الأسود للتحريك الذهني"** (مجلة إسكواير، 12 سبتمبر 1980) بقلم چاك جيڤر:

لقد عاشت إستيل هوران في ضاحية سان دييجو الأنيقة في بلدة باريش لمدَّة اثنتي عشرة سنة، وظاهريًّا كانت فتاةً كاليفورنية عادية: ترتدي قمصانًا مطبوعة زاهية وتضع نظارات شمس من الكهرمان المدخَّن، شعرها أشقر به خطوط سوداء، وتقود سيارة (ڤولكس ڤاجن فورمولا ڤي) كستنائية اللون بها مُلصَقٌ لوجه باسم على غطاء الغاز وملصق لراية البيئة الخضراء على النافذة الخلفية. زوجها موظَّفٌ إداري في فرع باريش من بنك أوف أميركا، وابنها وابنتها عضوان معتمَدان في نادي (صن آن فَن) بجنوبي كاليفورنيا، مخلوقان شاطئيَّان مصقولان باللون البني. هناك موقد هيباتشي[1] في الحديقة الخلفية الصغيرة التي تحظى برعاية جميلة، والجلاجل المُعلَّقة على الباب تعزف عبارةً رنَّانة من لازمة أغنية "هاي جود" لفريق البيتلز.

لكن السيدة هوران ما زالت تحمل التربة الناحلة الصعبة لنيو إنجلاند في مكان ما بداخلها، وعندما تتحدَّث عن كاري وايت يتَّخِذ

---

(1) موقد تسخين ياباني تقليدي. (المترجم)

وجهها مظهرًا غريبًا مُتوتِّرًا أشبه بشخصيات لافكرافت في قرية أركم من كيرواك في جنوبي كاليفورنيا.[1]

"بالطبع كانت غريبة..." تقول لي إستيل هوران، وهي تُشعِل سيجارة أخرى من علبة ڤيرچينيا سليمز بعد لحظة من إطفائها عُقب سيجارتها الأولى. "كانت العائلة كلها غريبة. كان رالف عامِلَ بناء، وكان الناس في الشارع يقولون إنه كان يحمل معه كتابًا مُقدَّسًا ومُسدَّسًا. 38 إلى العمل كل يوم. كان الكتاب المقدَّس لمصاحبته في استراحة القهوة والغداء. وكان المسدَّس معه في حالة إذا ما التقى بالمسيخ الدَّجَّال في العمل. يمكنني تَذَكُّر الكتاب المقدَّس عن نفسي. أمَّا المسدَّس... فمَن يدري؟ كان رَجُلًا ضخمًا زيتونيَّ البشرة، شَعرُه مَحلوق دائمًا في قَصَّة مُتدرِّجة ترتفع من أعلى وتكون حليقة تمامًا من الجانبين. كان يبدو دائمًا وضيعًا. ولم تكن لتنظر إلى عينيه قَطُّ. كانتا حادَّتَيْن للغاية، لدرجة أنهما في الحقيقة بدتا متوهِّجَتَيْن. عندما كنت تراه قادمًا تعبر الشارع ولا تُخرج لسانك قَطُّ في ظهره، أبدًا. إلى هذا الحَدِّ كان مُرعِبًا".

تتوقَّف لبرهة، نافِثةً سُحُبًا من دخان السيجارة نحو عوارض الخشب الأحمر الزائفة التي تقطع السقف. عاشت ستيلا هوران في شارع كارلين حتى بلغت العشرين، مُنتَقِلةً إلى فصول نهاريَّة في كلية لوين لإدارة الأعمال في موتون. لكنها تتذكَّر حادثة الحجارة بوضوح شديد.

---

(1) أركم مدينة خيالية في ولاية ماساشوستس في الولايات المتحدة من اختلاق الكاتب هوارد فيليبس لافكرافت (1890 - 1937) ذكرها في العديد من الروايات، وخاصة تلك المرتبطة بأسطورة كثولهو. من الخصائص المميِّزة لهذه المدينة أن بها مَعلَمَيْن مُميَّزَيْن، وهما: جامعة مسكاتونيك والمصحَّة النفسية التي يرسل إليها بأمان الأشرار المجانين. چاك كيرواك (1922 - 1969) كان شاعرًا وكاتبًا روائيًا أمريكيًا. يُعتبر مُحطِّمًا للتقاليد الأدبية كما أنه يُعَدُّ، إلى جانب كلٍّ من ويليام إس بوروز وألين جينسبيرج، رائِدًا من رُوَّاد مجموعة جيل بيت. (المترجم)

تقول: "هناك أوقاتٌ أتساءل فيها إن كنتُ قد تَسبَّبتُ فيها. كانت حديقتهم الخلفية مُجاوِرةً لحديقتنا، وكانت السيدة وايت قد وضعت سياجًا من شجيراتٍ لم تكن قد نَمَت بَعدُ. وكانت قد اتَّصلَت بأمي عشرات المرات بشأن "العرض" الذي كنتُ أُقدِّمه في حديقتي الخلفية. حسنٌ، كان ثوب استحمامي مُحتَشِمًا تمامًا -بل مُفرِط الاحتشام بمعايير اليوم- ولا يزيد عن ثوب استحمام قديم من قطعة واحدة ماركة جانتزن. اعتادت السيدة وايت على أن تطيل وتُسهِب في الحديث عن أنه كان فضائحيًا بالنسبة "لابنتها الطفلة". أمي... حسنٌ، تحاول أن تكون مُهذَّبةً، لكن أعصابها تفلت منها سريعًا. لا أعرف ما قالته مارجريت وايت كي تدفعها في النهاية من فوق الحافَّة -أظن أنها دعتني بعاهرة بابل- لكن أمي قالت لها إن حديقتنا هي حديقتنا، وأني يمكن أن أخرج فيها وأرقص رقصًا شرقيًا عاريةً تمامًا لو كان هذا يَسرُّها ويسرُّني. كما قالت لها إنها امرأة عجوز قذرة استبدلت رأسها بعلبة ديدان. كان هناك صياح أكثر بكثير، لكن كانت تلك ذروته.

أردت أن أتوقَّف عن أخذ حمَّامي الشمسي لحظتها على الفور. فأنا أكره المشاكل. تُسبِّب اضطرابًا في معدتي. لكن ماما- عندما تنتابها الحالة، تغدو مُرعِبةً. عادت إلى البيت من سلسلة متاجر جوردان مارش ومعها بيكيني أبيض صغير. وقالت لي إنني يمكنني أن أحصل على كل الشمس التي يمكنني الحصول عليها. قالت: في النهاية هي خصوصية ساحتنا الخلفية وكل ما إلى ذلك".

تبتسم ستيلا هوران قليلًا للذكرى وتسحق سيجارتها.

"حاوَلتُ أن أُجادِلَها، أقول لها إني لم أَعُد أريد المزيد من المشاكل، لم أرغب في أن أكون بَيدَقًا في حرب سياجهم الخلفي. لم يُجدِ هذا فتيلًا. إن محاولة إيقاف ماما عندما تجد نَحلةً تَطنُّ في قُبَّعتها أشبهُ بمحاولة إيقاف شاحنة من شاحنات ماك بدون فرامل تهبط تلًّا. في الحقيقة،

كان الأمر أعقدَ مِمًّا هو عليه. كنتُ مرعوبةً من آل وايت. المتعصِّبون المتدينون الحقيقيون ليسوا هم الأشخاص الذين يمكن أن تمزح معهم. بالطبع كان رالف وايت ميِّتًا، لكن ماذا لو كانت مارجريت ما زالت تحتفظ بالمسدس. 38 في مكانٍ ما؟

لكن هكذا كنتُ هناك في ظهيرة يوم سبت، مُتمدِّدةً على بطانية في الحديقة الخلفية، مُغطَّاة بكريم واقٍ من الشمس وأنا أستمع إلى برنامج توب 40 في الراديو. كانت ماما تكره هذه الأغاني، وعادةً ما كانت تزعق من الداخل مرَّتَيْن على الأقل كي أخفض الصوت قبل أن تُجَنَّ. لكنها ذلك اليوم رفعت الصوت مَرَّتَيْن بنفسها. بدأت أحسُّ وكأني عاهرة بابل أنا نفسي.

لكن لم يأتِ أحدٌ من بيت آل وايت. ولا حتى السيدة العجوز لتنشر غسيلها. وهذا موضوع آخر- فهي لم تكن تنشر قَطُّ أيَّ ملابس داخلية على الحبل الخلفي. ولا حتى ملابس كاري الداخلية، وكانت في الثالثة من عمرها فقط وقتها. دائمًا في البيت.

بدأت أسترخي. أظنُّ أني كنتُ أفكر في أن مارجريت لا بُدَّ قد أخذت كاري إلى المتنزَّه لتعبد الله على الطبيعة أو شيء من هذا القبيل. على أي حال، بعد قليل انقلَبتُ على ظَهري، ووضعتُ ذِراعًا على عينَيَّ، وغَفَوتُ.

عندما استيقظت، كانت كاري واقِفةً إلى جواري تنظر مُطرِقةً إلى جسدي".

ثم تتوقَّف، وتقطِّب ناظِرةً إلى الفضاء. في الخارج السيارات تنطلق في أزيزٍ بلا نهاية. يمكنني أن أسمع الأنين الثابت المنخفض الذي يُحدِّثه جهاز التسجيل الخاص بي. لكن كل هذا يبدو هَشًّا للغاية بعض الشيء، برَّاقًا للغاية، مجرَّد طبقة زائفة فوق عالم أكثر قَتامَة- عالم حقيقي تحدث فيه الكوابيس.

تعاود ستيلا هوران الحديث، مُشعِلةً سيجارة أخرى. "كانت فتاة جميلة جدًّا. لقد رأيتُ بعض صورها في المدرسة الثانوية، وتلك الصورة الأبيض والأسود الغائمة المرعبة على غلاف النيوزويك. أنظر إليها وكل ما يمكنني أن أفكِّر فيه هو: يا إلهي العزيز، أين ذهَبَت؟ ماذا فعَلَت بها تلك المرأة؟ ثم أشعر بالغثيان والأسف. كانت جميلة جدًّا، بوجنتين متورِّدَتَيْن وعينين بُنِّيَّتَيْن لامعتين، وشَعرها بتلك الدرجة من الشُّقرة التي تعرف أنها ستغمق وتصبح ما بين البُنِّيِّ والرمادي. الكلمة الوحيدة التي تناسبها أنها كانت حلوةً. حلوة ولامعة وبريئة. لم يكن داء أمِّها قد مَسَّها بعُمقٍ كبير، ليس عندئذ.

استيقظت مَفزوعةً بعض الشيء وحاوَلتُ أن أبتسم. كان من الصعب التفكير فيما يجب فعله. كنت في حالة تراخٍ بسبب الشمس وبدا ذهني خامِلًا وبطيئًا. قلت: هاي. كانت ترتدي فستانًا أصفر صغيراً، لطيف بعض الشيء لكنه طويل بشكل مُزعِج على فتاة صغيرة في الصيف. انسدل حتى قصبَتَيْ ساقيها.

لم تَرُدَّ لي الابتسام. فقط أشارت وقالت: ما هؤلاء؟

أطرَقتُ ورأيتُ أن الجزء العلوي من الثوب قد انزلق بينما كنتُ نائِمةً. لذا ثبَّتُّه وقلتُ: هذان ثدياي يا كاري.

عندئذ قالت بجدِّيَّة شديدة: أتمنى لو كان عندي البعض.

قلت: عليك أن تنتظري يا كاري. لن تبدئي في الحصول عليهما إلَّا بعد... آه، ثمانية أو تسعة أعوام أخرى.

قالت: لا، لن يحدث. ماما تقول إن الفتيات الصالحات لا يحصلن عليها.

بَدَت غريبة بالنسبة لسِنِّها كفتاة صغيرة، نصف حزينة ونصف مُعتَدَّة بنفسها.

لم يكن من السهل عليَّ أن أصدِّق هذا، وأول شيء خطر ببالي خرج مباشرة من فمي أيضًا. قلت: حسنٌ، أنا فتاة صالحة. وألَّا تملك أمك ثد يين؟

أطرَقَت برأسها وقالت شيئًا بطريقة هامسة للغاية، حتى أني لم أتمكَّن من سماعه. عندما طلبتُ منها أن تُكرِّره، نظَرَت إليّ بتحدٍّ وقالت إن أمها كانت سيِّئةً عندما حمَلَت بها؛ ولهذا أصبح لها ثديان. كانت تُسمِّيهما الوسائد الوسخة، وتنطقهما كأنهما كلمة واحدة.

لم أستَطِع أن أصدِّق هذا. كنتُ مَذهولةً فقط. لم يكن هناك أي شيء على الإطلاق يمكنني التفكير فيه لقوله. فقط حدَّقَت إحدانا في الأخرى، وما أرَدتُ أن أفعله هو أن أمسك بهذه الخُردَة الصغيرة الحزينة المتمثِّلة في هيئة فتاة وأهرب بها.

وكان هذا عندما خرجت مارجريت وايت من بابها الخلفي ورأتنا.

لم تفعل شيئًا طوال دقيقة غير أن حَملَقَت وكأنها لا تستطيع أن تُصدِّق ما تراه. ثم فتحت فمها ونعَقَت. كان هذا أقبحَ صوت سمعته في حياتي. كان أشبَهَ بالضَّجَّة التي يمكن أن يُحدثها تمساحٌ في مستنقع. فقط **نعقَت**. غضب. غضب مجنون تام. احمرَّ وجهُها تمامًا مثل جانب سيارة إطفاء والْتَوَت يداها وهي تضمُّهما في قبضتين وتنعق رافِعةً رأسها إلى السماء. كانت ترتجُ من قِمَّة رأسها إلى قدميها. ظَنَنتُ أنها تعاني من سكتة دماغية. كان وجهها بَشِعًا تمامًا، كأنه وجهُ مَنحوتةٍ قديمة مُرعِبَة.

ظنَنتُ أن كاري ستفقد الوعي- أو تموت في مكانها. انقطَعَت كل أنفاسها وتحوَّل ذلك الوجه الصغير إلى لون الجُبن الفلَّاحي.

زعَقَت أُمُّها: كاااارررييييي!

نَهَضتُ قافِزةً وزَعَقتُ فيها بدوري: إياكِ أن تصرخي فيها هكذا! يجب أن تخجلي من نفسك! أو أشياء غبية من هذا القبيل. لا أتذكّر. هَمَّت كاري بالعودة وبعد ذلك توقَّفَت ثم بدأت مرَّةً أخرى، وقبل أن تعبر من حديقتنا إلى حديقتهما تمامًا التفتت إليَّ وكانت هناك نظرة... آه، مُريعَة. لا يمكنني أن أقولها. راغِبَة وكارهة وخائفة... **وبائسة**. وكأن الحياة ذاتها قد سقطت عليها مثل الحجارة، كل ذلك في سِنِّ الثالثة.

خرجت أمي إلى الشرفة الخلفية وتغَضَّن وَجهُها عندما رأت الطفلة. ومارجريت... آه، كانت تصرخ بأشياء عن العاهرات والزانيات وخطايا الآباء التي تتكرَّر حتى الجيل السابع. أحسَستُ أن لساني أشبَهُ بنبتَةٍ صغيرة جافَّة تمامًا.

لِلَحظَةٍ واحِدَة وقَفَت كاري تتأرجح إلى الخلف والأمام بين الساحَتَيْن، وعندئذ رفعت مارجريت وايت ناظِرَيْها إلى أعلى وأقسم بيسوع الجميل أن هذه المرأة كانت تعوي نحو السماء. وبعد ذلك بدأت في... في إيذاء نفسها، في تعذيب نفسها. كانت تخدش رقبتها ووجنتيها، مُخلِّفةً علاماتٍ وخدوشًا حمراء. مزَّقَت فستانها.

صرَخَت كاري: "ماما!" وجَرَت إليها.

جلست السيدة وايت القرفصاء... نوعًا ما، كأنها ضفدعة، وانفتح ذراعاها على اتساعهما كأنهما فكَّان مبتَلِعان. ظَنَنتُ أنها ستسحقها، وصرختُ. كانت المرأة تبتسم ابتسامةً عريضة. تبتسم ويسقط لُعابُها على ذقنها. آه، شعرت بالغثيان. يا يسوع، كنت مشمئزة جدًّا.

ضمَّتها ورفعتها ودخَلَتَا البيت. أغلقت مذياعي وكان بمقدوري سماعها. بعض الكلمات، لكن ليست كلها. لم يكن عليك أن تسمع كل الكلمات لتعرف ما كان يجري. صلاة ونشيج وصراخ. أصوات مجنونة. ومارجريت تأمر الفتاة الصغيرة بالدخول في الخزانة والصلاة. الفتاة الصغيرة تبكي وتصرخ أنها آسفة، أنها نَسِيَت. ثم لا شيء. وأنا وأمي

لم نفعل شيئًا إلَّا النظر إحدانا إلى الأخرى. لم أرَ ماما قطُّ على هذا الحال من السوء، ولا حتى عندما مات بابا. قالت: الطفلة- ولم تَقُل شيئًا آخر. دخلنا البيت".

تنهض وتذهب إلى النافذة، امرأة جميلة في ثوب خفيف أصفر مكشوف الظَّهر. ثم تقول دون أن تلتفت: "الأمر أشبه بمعايشة الحكاية كلها مرة أخرى، كما تعرف. لقد ثار بداخلي الغضب من جديد". تضحك قليلًا وتُهَدهِدُ كوعَيْها في راحتيها.

"آه، كانت جميلة جدًّا. لم تكن لتعرف هذا أبدًا من تلك الصُّوَر".

تمرُّ السيارات في الخارج، جيئةً وذهابًا، وأنا جالس ومنتظر أن تكمل. تُذكِّرني بقافز زانَةٍ ينظر إلى الحاجز ويتساءل إن كان قد وُضِع أعلى من اللازم.

"صَنَعَت لنا أمي شايًا ثقيلًا قويًّا بالحليب، بالطريقة التي اعتادتها عندما كنتُ أتصرَّف كفتاة مُستَرجِلَة، ويدفعني أحدهم في قطعة أرض ينمو بها نبات القراص أو أسقط من فوق دراجتي. كان فظيعًا، لكننا شربناه على أي حال، جالِسَتَيْن في مواجهة إحدانا الأخرى في زاوية المطبخ. كانت ترتدي ثوبًا منزليًّا قديمًا تدلَّت حاشيته في الظهر، وكنت أرتدي ثوبَ استحمامي ذا القطعتين الخاص بعاهِرَة بابل. أرَدتُ أن أبكي، لكن الأمر كان أكثر واقعية من البكاء عليه، ليس مثل الأفلام. ذات مرَّة عندما كنتُ في نيويورك رأيت سِكِّيرًا عجوزًا يقود فتاة صغيرة ترتدي ثوبًا أزرق من يدها. كانت الفتاة قد بَكَت حتى احمرَّ أنفها. كان لدى السِّكِّير تَضخُّم في الغُدَّة الدَّرقيَّة وبَدَت عنقه أشبه بإطار داخلي لعجلة سيارة. كان هناك تورُّم أحمر في منتصف جبهته وخيط أبيض طويل على السُّترة الصوفية الزرقاء الخَشِنة التي كان يرتديها. ظلَّ الجميع يروحون ويجيئون لأنه، إذا لم تفعل ذلك، سرعان ما لن تراهما مرة أخرى. كان هذا حقيقيًّا، أيضًا.

أرَدتُ أن أحكي هذا لأمي، وما كِدتُ أفتح فمي حتى حدث ذلك الشيء الآخر... الشيء الذي تريد أن تسمع عنه، كما أظن. كان هناك ارتطام كبير في الخارج لدرجةٍ جعلت الأكواب تصلصل في خزانة الصيني. كان إحساسًا مثلما كان صوتًا؛ كثيفًا وصلبًا، وكأن شخصًا ما دفع خزانة حديدية مُخرِجًا إيَّاها من السقف".

تشعل سيجارةً جديدة وتبدأ في نفث دخانها بسرعة.

"ذهَبَت إلى النافذة ونظرت خارجًا، لكني لم أستطع أن أرى أي شيء. ثم.. عندما كنتُ أستعدُّ للالتفات عائدة، سقط شيء آخر. التمعت الشمس فوقه. ظنَنتُ لثانية أنها كانت كُرَةً زجاجية كبيرة. ثم ضرب سطح بيت آل وايت وتحطَّم، ولم يكن زُجاجًا على الإطلاق. كانت كتلة كبيرة من الثلج. كنت سألتفت وأخبر ماما، عندما بدأت تسقط كلها مرَّةً واحدة، في زَخَّةٍ واحدة.

كانت تسقط على سطح بيت آل وايت، على الحديقتين الأمامية والخلفية، على الباب الخارجي المؤدِّي إلى قبوهما. كان هذا الباب عبارة عن حاجز من الصفيح، وعندما ضربته الكتلة الأولى أصدر صوتًا مُجَلجِلًا عاليًا، كأنه جرس كنيسة. صرخنا أنا وأمي معًا. تشبَّثَت إحدانا بالأخرى كفتاتين وسط عاصفة رعديَّة.

ثم توقَّفَت. لم يكن هناك أي صوت على الإطلاق من بيتهما. كان بمقدورك أن ترى الماء يسيل من الثلج الذائب على ألواح سقفهما المائل الاردوازيَّة في ضوء الشمس. كانت هناك قطعة كبيرة من الثلج عالِقةً في زاوية السطح ومدخنتهما الصغيرة. كان الضوء عليها ساطِعًا جدًّا، لدرجة أن النظر إليها آلَمَ عينَيَّ.

بدأت أمي تسألني إن كان الأمر قد انتهى، وعندئذ صرخت مارجريت. جاءنا الصوت بوضوح شديد. بطريقة أسوأ من قبل؛ لأنه

كان هناك ذُعرٌ في ذلك الصوت. ثم تعالت أصوات قرقعة وارتطام، كأنها كانت تُلقي بكلّ قدر ومِقلاةٍ في البيت نحو الفتاة.

انصفق الباب الخلفي مفتوحًا ثم انصفق مُنغَلِقًا. لم يخرج أحد. مزيد من الصرخات. طلبت مني أمي أن أتَّصِل بالبوليس، لكني لم أستطع أن أتحرَّك. كنت عالِقةً في مكاني. خرج السيد كيرك وزوجته ڤيرچينيا إلى حديقتهما لينظرا. وآل سميث أيضًا. وسرعان ما خرج كلُّ مَن كان في بيته من أهل الشارع، حتى السيدة ووريك العجوز من أبعد بيت في مُربَّع البنايات، وكانت إحدى أذنيها صمّاء.

بدأت الأشياء في الاصطدام والجلجلة والتحطُّم. زجاجات، أكواب، لا أعرف ماذا كانت كلها. وبعد ذلك انفتحت النافذة الجانبية بعنف وسقطت منضدةُ المطبخ حتى منتصفها منها. والله على ما أقول شهيد. كانت منضدة كبيرة من خشب الماهوجني وأخذت معها الستار، ولا بُدَّ أنها كانت تَزِنُ ثلاثمائة رطل. كيف أمكن لامرأة -حتى لو امرأة ضخمة- أن ترميها؟".

أسألها إن كانت تشير إلى شيء ما.

"أنا أخبِرُكَ فقط.." تُصرُّ على كلامها، مضطربة على نحوٍ مفاجئ. "لا أطلب منك أن تصدِّق...".

تبدو وكأنها تلتقط أنفاسها ثم تستمر بطريقة حاسِمَة.

"لم يحدث أي شيء طوال خمس دقائق تقريبًا. كان الماء يسيل من المزاريب هناك. وكان هناك ثَلجٌ في كافَّة أنحاء حديقة آل وايت. كان يذوب بسرعة".

تطلق ضحكة قصيرة متقطِّعة وتهرس عُقبَ سيجارتها.

"لِمَ لا؟ لقد كان أغسطس".

تتمشَّى بلا هدف عائِدَة نحو الأريكة، ثم تُغيِّر اتجاهها فجأة. "بعد ذلك جاءت الحجارة. مباشرة من سماء زرقاء صافية. تصفر وتعول مثل القنابل. صرخت أمي: ما هذا بحق الله! ووضعت يديها على رأسها. لكنني لم أستطع التَّحرُّك. راقَبتُ الأمر كله ولم أستطع التحرُّك. لم يكن هذا يهمُّ على أي حال. فقد سقطت فقط على أرض آل وايت.

ضربت إحداها ماسورة صرف وأطاحت بها على عشب الحديقة. وصنعت أخرياتٌ ثقوبًا عبر السقف وداخل العليَّة. كان السطح يُصدِر فَرقعَةً قويَّة في كل مرة يضربه حجر، ويبخُّ سُحُبًا من الغبار. أمَّا الحجارة التي كانت تضرب الأرض فجعلت كلَّ شيء يرتجُّ. كان بمقدورك أن تحسَّ بدبيبها في قدميك.

كان طقمنا الصيني يُجَلجِلُ، وكانت خزانة المطبخ الفاخرة تهتزُّ، وسقط فنجان شاي ماما على الأرضية وانكسر.

صنعت حُفَرًا كبيرة في حديقة آل وايت الخلفية عندما ضربتها. فوَّهات بركانية. استأجرت السيدة وايت بائع روبابيكيا من الناحية الأخرى من البلدة ليحملها في عربة يد بعيدًا، ودفع له چيري سميث الساكن في الشارع دولارًا ليدعه يقتطع شريحةً منها. أخذها إلى جامعة براندون وفحصوها وقالوا إنها كانت جرانيتًا عاديًا.

واحدة من الحجارة الأخيرة ضربت منضدة صغيرة كانوا يضعونها في ساحتهم الخلفية وتحطَّمَت قِطَعًا.

لكن لا شيء، لا شيء لم يكن في أرضهم وسقطت عليه الحجارة".

تتوقَّف وتلتفت من النافذة لتنظر إليَّ، ووجهها شاحب من تَذكُّر كل هذا، وإحدى يديها تلهو ساهِيَةً بقَصَّة شَعرها الشعثاء على الموضة الشائعة. "لم يُنشر الكثير عن ذلك في الجريدة المحلية. قبل أن يصل بيلي هاريس -الذي كان يكتب أخبار تشامبرلين- كانت هي

قد أصلحت السَّطح بالفعل، وعندما أخبره الناس أن الحجارة اخترقته مباشرة، أعتقد أنه حسبنا جميعًا نخدعه.

لا يريد أحدٌ أن يُصدِّق الموضوع، ولا حتى الآن. أنت وكل الناس الذين سيقرؤون ما تكتبه ستستَخِفُّون بالأمر وتقولون عليَّ مجنونة أخرى جلست هنا في الشمس لوقت أطول من اللازم. لكنه حدث. كان هناك كثير من الناس في مُربَّع البيوت رأوا الأمر يحدث، وكان حقيقيًّا بالضبط مثلما كان ذلك السِّكِّير يقود الفتاة الصغيرة ذات الأنف الدامي. والآن هناك ذلك الشيء الآخر. لا يمكن لأحدٍ أن يَستَخِفَّ بهذا أيضًا. مات أشخاص أكثر من اللازم.

ولم يَعُد الأمرُ مُقتَصِرًا على بيت آل وايت فقط".

تبتسم، لكن دون نقطة من مَرَحٍ في ابتسامتها. تقول: "كان رالف وايت مؤمَّنًا عليه، وقد حصلت مارجريت على الكثير من المال عندما مات... تعويض مزدوج. وقد ترك البيت مُؤَمَّنًا عليه أيضًا، لكنها لم تحصل قطُّ على بِنسٍ من وراء ذلك. حدث الدمار بتدخُّلٍ إلهي. عدالة شِعريَّة، هه؟".

تضحك قليلًا، لكن دون أيِّ مَرَحٍ في ضحكها أيضًا...

وُجِدت مكتوبة بشكل متكرِّر على صفحة من إحدى كراسات مدرسة إيوين الثانوية المجمَّعة تعود ملكيتها إلى كاري وايت:

ظنَّ الجميع/ أن تلك الطفلة لا يمكن أن تكون مُبارَكَة/ إلى أن ترى في النهاية أنها مثل كل الآخرين...

دخلـت كاري البيـت وأغلقـت البـاب وراءهـا. اختفـى نـور النهـار السـاطع وحَلَّـت محلَّـه الظِّـلال البُنِّيَّـة، والـبرودة، والرائحـة الطاغيـة لبـودرة التلـك. كان الصـوت الوحيـد هـو تـكَّات سـاعة الوقـواق عـلى الحائـط ماركـة بـلاك فوريسـت في غرفـة المعيشـة. كانـت مامـا قـد حصلت عـلى سـاعة الوقـواق بالطوابـع الخضـراء.[1] ذات مـرَّة، في الصـف السـادس، انتـوت كاري أن تسـأل مامـا إن لم تكـن الطوابـع الخضـراء حرامًـا، لكـن شَـجاعَتها خانتهـا.

عـبرت الصالـة ووضعـت معطفهـا في الخزانـة. ثمَّـة لوحـة مضيئـة أعـلى مشـجب المعاطـف صـوَّرَت مسـيحًا طَيفيًّـا يحـوم متجهِّـمًا فـوق عائلـة جالسـة إلى مائـدة مطبـخ. أسـفل اللوحـة تعليـق (مـضيء أيضًـا) يقـول: الضيـف غـير المـرئي.

دخلـت غرفـة المعيشـة ووقفـت في منتصـف البسـاط الباهـت الناحـل. أغلقـت عينيهـا وراقبـت النقـاط الصغـيرة التـي تمـرُّ وامِضـةً في الظـلام. دمـدم الصـداع وراء صدغيهـا عـلى نحـو مثـير للغثيـان.

وحيدة.

كانـت مامـا تعمـل عـلى آلـة الـكَيِّ والطَّـيِّ السريـع في مغسـلة "الشريط الأزرق" في وسـط تشـامبرلين. عملـت هنـاك منـذ كانـت كاري في الخامسـة، عندمـا بـدأ التعويـض والتأمـين الناتجـان عـن حادثـة أبيهـا في النَّفـاد. كانـت سـاعات عملهـا مـن السـابعة والنصـف صباحًـا إلى الرابعـة بعـد الظهـر. كانـت المغسـلة كافِـرَة. لقـد أخبرتهـا مامـا بهـذا مـرَّاتٍ كثـيرة جـدًّا. وكان رئيـس العُـمَّال، السـيد إلتـون مـوت، عـلى وجـه الخصـوص كافِـرًا.

---

(1) خَـطٌّ مـن طوابـع التجـارة الشـائعة في الولايـات المتحـدة مـن الثلاثينيـات حتـى أواخـر الثمانينيـات. تـمَّ توزيعهـا كجـزء مـن برنامـج المكافـآت الـذي تديـره شركـة Sperry & Hutchin-son، التي تأسَّسَـت في عـام 1896، حيث يقـوم المشـتري بعـد حصولـه عـلى عـدد مـن الطوابـع مـع كل مُنتَـجٍ مـن منتجـات الشركـة باسـتبدال هـذا العـدد بمُنتَـجٍ كهديـة. (المترجـم)

قالت ماما إن الشيطان قد احتفظ بركنٍ أزرق مخصوص من الجحيم للسيد إلت؛ كما كان يُدعى في مغسلة الشريط الأزرق.

وحيدة.

فتحت عينيها. ضمَّت غرفة المعيشة مقعدَيْن لهما ظهر مستقيم. وكانت هناك منضدة خياطة مزوَّدة بمصباح حيث كانت كاري أحيانًا تصنع فساتين في المساء بينما ماما تُطَرِّز شراشف المائدة وتتحدَّث عن مجيء المسيح. ساعة الوقواق كانت على الحائط البعيد.

هناك الكثير من اللوحات الدينية، لكن اللوحة التي كانت كاري تُفضِّلها هي المُعَلَّقة على الحائط أعلى مقعدها. كانت ليسوع وهو يقود الحِملان على تلٍّ أخضر وناعم مثل مسار الجولف في مدينة ريڤرسايد. لم تكن اللوحات الأخرى بهذا الهدوء والطمأنينة: يسوع وهو يطرد الصيارفة من الهيكل، موسى وهو يلقي بالألواح على عابدي العِجل الذهبي، توما الشَّكَّاك وهو يضع يده في جانب المسيح الجريح (آه، يا للفتنة المُرعِبة لتلك اللوحة والكوابيس التي أثارتها لديها وهي طفلة!)، فُلك نوح وهو يطفو أعلى الآثِمين الغرقى المعذَّبين، لوط وأسرته وهم يَفِرُّون من الحريق الهائل لسدُّوم وعَمُّوريَّة.

على منضدة خشبية صغيرة كان هناك مصباح وكومة من أوراق الدعاية الدينية. أعلاها كُتيِّب صَوَّر آثِمًا (كان وضعه الروحي واضحًا من التعبير المعذَّب على وجهه) يحاول أن يزحف تحت جلمود صخر كبير. توهَّج العنوان مُدوِّيًا: **ولن يخفيه الصخر في ذلك اليوم أيضًا!**

لكن ما هيمن على الغرفة بالفعل كان تمثالًا ضخمًا من الجبس للمسيح مصلوبًا على الحائط الآخر، بارتفاع أربعة أقدامٍ كاملة. كانت ماما قد طلبته مخصوصًا بالبريد من مدينة سانت لويس. وكان المسيح المُخَوزَق فيه مُتجمِّدًا في تعبير أَلَمٍ بَشِع مشدود العضلات،

وقد تدلَّى فمه في التواءَةٍ مُتأوِّهَة. ومن أثر تاج الأشواك على رأسه نزفت خطوطٌ قُرمزيَّة سائلة على صدغيه وجبهته. وكانت العينان مرفوعَتَيْن في تعبيرٍ قروسطيٍّ من العذاب المائل. كانت اليدان أيضًا مُخضَّبَتَيْن بالدماء وتسمَّرَت القدمان إلى منصَّة صغيرة من الجبس. لطالما أثار هذا الجسد أيضًا كوابيس لا نهائية لدى كاري كان المسيح المشوَّه فيها يطاردها عبر ممرَّات الحلم، مُمسِكًا بمطرقة ومسامير، مُتوسِّلًا إليها أن تحمل صليبها وتتبعه. مؤخَّرًا فقط تطوَّرَت هذه الأحلام إلى شيء أقل قابلية للفهم لكنه أكثر شُؤمًا. لم يبدُ الموضوع قاتلًا، بل شيئًا أكثر فظاعة.

وحيدة.

كان الألم في ساقيها وبطنها وأعضائها الحميمة قد خفَّ قليلًا. لم تَعُد تعتقد أنها ستنزف حتى الموت. كانت الكلمة الصحيحة هي الحيض، وبَدَت فجأة منطقيَّةً وحتمية. كان "وقتها الشهري". أطلَقَت ضحكةً غريبة خائفة في السكون المهيب لغرفة المعيشة. بَدَت أشبهَ ببرنامج من برامج المسابقات. يمكنك أنت أيضًا أن تفوز برحلة مدفوعة التكاليف بالكامل إلى برمودا في "الوقت الشهري". مثل ذكرى الحجارة، بدت المعرفة بالحيض وكأنها كانت موجودةً هناك دائمًا، محجوبة لكنها تنتظر.

استدارت وسارت بتثاقُلٍ صاعِدَةً إلى الطابق العلوي. كانت للحمَّام أرضية خشبية جرى دَعكُها حتى صارت بيضاء تقريبًا "النظافة من الإيمان" وحوض استحمام على قاعدتين مخلبيَّتَيْن. تقاطَرَت بقع الصدأ سائلة على البورسلين أسفل الصنبور المصنوع من الكروم، ولم يكن هناك دُشٌّ مُرفَق. قالت ماما إن الدش حرام.

دخلت كاري، وفتحت خزانة المناشف، وبدأت تبحث بهِمَّةٍ لكن بحرص؛ حتى لا تترك شيئًا في غير مكانه. كانت عينا ماما حادَّتَيْن.

وجـدت العُلبَـة الزرقـاء في أقـصى المؤخَّـرة، خلـف المناشـف القديمـة التـي لم يَعُـد يسـتخدمها أحـد. عـلى أحـد جانبيهـا صـورة ظِلِّيَّـة مُبهَمَـة لامـرأةٍ ترتـدي ثوبًـا طويـلًا شـفَّافًا.

أخرجـت إحـدى الفـوط ونظـرت إليهـا بفضـول. كانـت قـد جَفَّفَـت بهـذه الأشـياء أحمـرَ الشـفاه الـذي كانـت تخفيـه داخـل حقيبـة يدهـا عـلى المـلأ تقريبـا- ذات مـرة عـلى ناصيـة شـارع. تذكَّـرَت الآن (أو تخيَّلَـت أنهـا تذكَّـرَت) النظـرات المتسـائلة المصدومـة. اشـتعل وجههـا. لقـد أخبروهـا. اسـتحالت حُمـرَةُ الوجـه إلى غضـب باهـت.

دخلـت غرفـة نومهـا الصغـيرة. كانـت هنـاك لوحـات دينيـة أكـثر بكثـير، لكـن كان هنـاك المزيـد مـن الحمـلان ومشـاهد أقـلّ مـن الغضـب الـوَرِع. ثمَّـة رايـة مُثلَّثـة تحمـل شـعار مدرسـة إيويـن مُعلَّقـة عـلى منضـدة زينتهـا. عـلى المنضـدة ذاتهـا كانـت هنـاك نسـخة مـن الكتـاب المقـدَّس وتمثـال بلاسـتيكي ليسـوع يتوهَّـج في الظـلام.

خلَعَـت ملابسـها- أوَّلًا بلوزتهـا، ثـم تنُّورتهـا الكريهـة التـي تصـل إلى ركبتهـا، وملابسـها الداخليـة، وحزامهـا، وسروالهـا القصـير، وحـزام أربطـة جواربهـا، وجواربهـا. نظـرت إلى كومـة الملابـس الثقيلـة، بأزرارهـا ومطَّاطها، بتعبـير مـن التعاسـة الشرسـة. في مكتبـة المدرسـة كانـت هنـاك كومـة مـن أعـداد قديمـة مـن مجلـة "سـيڤينتين"، وكثـيرًا مـا كانـت تُقلِّـب فيهـا، واضِعـةً عـلى وجههـا تعبـيرًا عفويًـا أبلـه. بَـدَت العارضـات مسـتريحاتٍ جِـدًّا وناعـمات في تنُّوراتهـن القصـيرة المثـيرة وجواربهـن الطويلـة وثيابهـن الداخليَّـة المُزَخرَفـة ذات النقـوش. بالطبـع كانـت كلمـة **مسـتريحات** مـن كلـمات مامـا الأليفـة (كانـت تعـرف مـاذا كانـت مامـا لتقـول دون شـك) لوصفهـن. وكان هـذا يجعلهـا خجـولًا عـلى نحـو مُخيـفٍ، كانـت تعـرف ذلـك. عاريـة، شريـرة، مسـودَّة بإثـم الافتضـاح، يهـبُّ النسـيم بشـكل داعِـرٍ صاعِـدًا عـلى ظهـر سـاقيها، مسـتثيرًا الشـهوة. وكانـت تعـرف أنهـن

كُـنَّ ليعرفـن مـا شـعرت بـه. لطالمـا فعلـن. كـنَّ ليُحرِجنهـا بطريقـةٍ مـا، ويدفعنهـا مـن جديـد إلى هـوَّة التهريـج. كانـت تلـك طريقتهـن.

كان بمقدورها، كانت تعرف أنه بمقدورها

(ماذا)

في مـكان آخـر. كانـت سـمينة الخـصر فقـط لأنهـا أحيانًـا كانـت تشـعر بالبـؤس الشـديد والفـراغ والملـل لدرجـة أن الطريقـة الوحيـدة لمـلء هـذه الحفـرة الصافـرة الفاغـرة فاهـا كانـت أن تـأكل وتـأكل وتـأكل- لكنهـا لم تكـن سـمينة الخـصر هكـذا. لم تكـن كيميـاء جسـدها لتسـمح لهـا بتجـاوُز نقطـة معيَّنـة. وكانـت تعتقـد أن سـاقيها جميلتـان بالفعـل، تقريبًـا في جـمال سـاقَيْ سـو سـنيل أو ڤيـكي هانسـكوم. كان بمقدورهـا

(ماذا آه ماذا آه ماذا)

أن تتوقَّـف عـن أكل الشـيكولاتة وسـتقلُّ بثورهـا. كانـت تفعـل هـذا دائمًـا. كان بمقدورهـا أن تضبـط شَـعرَها. أن تشـتري جـوارب طويلـةً وطماقـات[1] زرقـاء وخـضراء. أن تصنـع تنُّـورات وفسـاتين قصـيرة مـن باترونـات "باتيريـك وسيمبليسـيتي". بثمـن تذكـرة أوتوبيـس، تذكـرة قطـار. كان بمقدورهـا أن تكـون، بمقدورهـا أن تكـون، بمقدورهـا أن تكـون...

حيَّة.

فكَّـت حمَّالـة صدرهـا القطنيـة الثقيلـة وتركتهـا تسـقط. كان نهداهـا في بيـاض الحليـب، منتصبـان وناعـمان. وكانـت حلمتاهـا في لـون القهـوة الخفيفـة. مـرَّرَت يديهـا عليهـما واعترتهـا رعشـة خفيفـة. شريـرة، سـيئة، آه هكـذا كانـت. لقـد أخبرتهـا مامـا أن هنـاك شـيئًا مـا. هـذا الـشيء كان

---

(1) الطـماق كسـاء للسـاق مـن جلـد أو قـماش، وهـو لبـاس نسـوي ضيـق تلبسـه النسـاء، وقـد كان سـابقاً لباسـا داخليـا إلا أنـه في السـنوات الأخـيرة أصبحـت الفتيـات تخـرج بـه وأصبـح موضـة عالميـة. (المترجـم)

خطيرًا، قديمًا، شرِّيرًا بشكل لا يوصَف. يمكن أن يجعلك ضعيفة. قالت ماما: احترسي! إنه يأتي في الليل. سيجعلك تفكِّرين في الشر الذي يجري في باحات وقوف السيارات والنُّزُل.

لكن.. رغم أنها كانت التاسعة والثلث صباحًا فقط، إلا أن كاري اعتقدت أن هذا الشيء قد أتاها. مرَّرَت يديها على نهديها

(الوسائد الوسخة)

مرَّةً أخرى، وكان الجلد بارِدًا، لكنَّ الحلمتين كانتا ساخِنَتَيْن وصلبتين، وعندما قرصت إحداهما جعلها ذلك تحسُّ بالضعف والانحلال. نعم، كان هذا هو الشيء.

كان سروالها الداخلي مبقَّعًا بالدماء.

فجأة أحسَّت أنها لا بُدَّ أن تنفجر باكية، أو تصرخ، أو تنتزع الشيء من جسدها كله وتضربه، تسحقه، تقتله.

كانت الفوطة التي ثبَّتَتها الآنسة ديسياردن تذوي بالفعل فغيَّرَتها بحِرصٍ، مُدرِكَةً كم هي سيئة، كم هم سيئون، كم تكرههم وتكره نفسها. فقط ماما كانت جيِّدة. لقد صارَعَت ماما الرَّجُلَ الأسوَدَ وتغلَّبَت عليه. لقد رأت كاري هذا يحدث في حلم. لقد طردته ماما من الباب الأمامي بمكنسة، وفرَّ الرجل الأسود قاطِعًا شارع كارلين في الظلام، وقدماه المشقوقتان تقدحان شرارات حمراء من الإسمنت.

لقد انتزعت ماما الشيء من نفسها وكانت طاهرة.

كانت كاري تكرهها.

لمحت وجهها في المرآة الضئيلة التي علَّقتها على ظهر الباب، مرآة ذات إطار بلاستيكي أخضر رخيص، صالحة فقط لتمشيط الشَّعر.

كانـت تكـره وجهـا، وجههـا البليـد الغبـي البقـري، العينـان الواهنتـان، البثـور الحمـراء اللامعـة، أوكار الـرؤوس السـوداء. كان وجههـا هـو أكـثر مـا تكـره.

فجـأة انشـقَّ الانعـكاس بفعـل صَـدعٍ فـضِّيٍّ مُسـنَّن. سـقطت المـرآة على البـلاط وتحطَّمَـت شـظايا عنـد قدميهـا، تارِكـةً فقـط الحلقـة البلاسـتيكية لتحـدِّق فيهـا كعـين عميـاء.

من قاموس أوجيلڤي للظواهر النفسية:

التحريـك الذهنـي هـو القُـدرَة عـلى تحريـك الأشـياء أو إحـداث تغيُّرات في الأشـياء بقـوة الذهـن. أكـثر مـا ورد مـن التقاريـر الموثوقـة عـن الظاهـرة كان في أوقـات الأزمـات أو في مواقـف التوتُّـر، عندمـا كان يتمُّ رَفعُ السـيارات مـن الأجسـاد المدهوسـة أو الحطـام مـن المبـاني المنهـارة... إلخ.

كثـيراً مـا يتـمُّ خلـط الظاهـرة بعمـل الأرواح الشريـرة، وهـي أشـباح لَعـوبٌ. ينبغـي ملاحظـة أن الأرواح الشريـرة هـي كائنـات وهميَّـة ذات حقيقـة مشـكوك فيهـا، بينـما التحريـك الذهنـي يُعتقـد أنـه وظيفـة إمبيريقيـة للذهـن، ربمـا تكـون كهروكيميائيـة في طبيعتهـا...

عندمـا انتهيـا مـن ممارسـة الحـب، وعندمـا كانـت تضبـط ملابسـها في المقعـد الخلفـي مـن سـيارة تومـي روس.. الفـورد موديـل 1963، وجـدت سـو سـنيل أفكارهـا تعـود إلى كاري وايـت.

كانـت ليلـة الجمعـة وتومـي (الـذي كان يرنـو إلى الخـارج مـن النافـذة الخلفيـة متأمِّـلًا وسرواله مـا زال مُسـدَلًا حـول كاحليـه، منظـر كوميـدي

لكنـه مثـير بشـكل غريـب) قـد ضاجعهـا مـن الخلـف. كان هـذا بالطبـع تجـاوُزًا مَقبـولًا مـن الطرفـين. فقـد كان الزِّنـا ماثِـلًا في ذهنيهـما منـذ البدايـة.

كانـت تخـرج مـع تومـي بشـكلٍ ثابِـتٍ تقريبًـا منـذ أكتوبـر (وكان مايـو قـد حـلَّ الآن) وصـارَا عاشِـقَيْن منـذ أسـبوعين فقـط. سـبع مـرات، كـما قالـت مُصحِّحـةً. كانـت الليلـة هـي السـابعة. لم تكـن هنـاك ألعـاب ناريـة بعـدُ، ولا فرقـة موسـيقية تعـزف أغنيـة "نجـوم وخطـوط إلى الأبـد"[1]، لكـن الأمـر تحسَّـن قليـلًا.

كانـت المـرة الأولى مؤلمـة كالجحيـم. لقـد فعَلَتهـا مـن قبـل صديقتاهـا هيلـين شـايرز وچيـان جولـت، وكلتاهـما طمأنتاهـا أن العمليـة مؤلمـة لدقيقـة واحـدة فقـط -مثـل الحصـول عـلى جرعـة مـن البنسـلين- وبعـد ذلـك صـارت عَذبَـةً كالـورد. لكـن بالنسـبة لسـو، كانـت المـرة الأولى وكأن ذراعَ مَجرَفـةٍ قـد اخترقتهـا. وقـد اعـترف لهـا تومـي بعدهـا، بابتسـامةٍ عريضـة، أنـه وضـع الواقـي بالمقلـوب، أيضًـا.

كانـت الليلـة هـي المـرة الثانيـة فقـط منـذ بـدأت تشـعر بـشيء أقـرب إلى المتعـة، وبعـد ذلـك انتهـى الأمـر. كان تومـي قـد أمسـك نفسـه لأطـول وقـت يمكنـه، لكـن بعـد ذلـك انتهـى الأمـر... هكـذا. بـدا أشـبه بقـدرٍ كبـير رهيـب مـن الاحتـكاك مـن أجـل قليـل مـن الـدفء.

في أعقـاب ذلـك شـعرت بهبـوطٍ وكآبـة، وتحوَّلَـت أفكارهـا إلى كاري في ضـوء هـذا. اجتاحتهـا موجـةٌ مـن الشـعور بالذنـب مـع وَهَـنٍ لـكُلِّ دفاعاتهـا العاطفيـة، وعندمـا التفـت تومـي عـن منظـر محميَّـة بريكيـارد هِـل، كانـت تبـكي.

(1) Stars and Stripes Forever: هـي المـارش القومـي للولايـات المتحـدة، والإشـارة واضحـة إلى عَلَـم الولايـات المتحـدة (المترجـم)

قال مذعورًا:

- مرحى! آه، مرحى.

واحتضنها بشكلٍ أخرق.

قالت وهي ما زالت تبكي:

- كل شيء على ما يرام. لستَ أنتَ السبب. لقد فعلتُ شيئًا اليوم ولم يكن جيِّدًا للغاية. كنتُ فقط أفكر فيه.

- ماذا؟

وربت على مؤخِّرة عنقها برقَّة.

وهكذا وجدت نفسها تنطلق في رواية قصة حادثة ذلك الصباح، وهي بالكاد تصدِّق أنها تستمع إلى نفسها. وعندما واجَهَت الأمر بصراحة، أدرَكَت أن السبب الأساسي الذي جعلها تسمح لتومي بنيلها أنها كانت في حالة

(حب؟ افتتان؟ لا يهمُّ؛ فالنتائج كانت واحدة)

معه، والآن بوضعها لنفسها في هذا الوضع -شريكة في مقلب قذِرٍ في غرفة استحمام- لم تكن تلك هي الوسيلة المقبولة تمامًا لاصطياد شاب. كان تومي، بالطبع، ذا جماهيرية. وبما أنها كانت شخصيَّةً جماهيرية هي نفسها طوال حياتها، بدا مكتوبًا تقريبًا أن تلتقي وتقع في حبِّ شخصٍ جماهيري مثلها. كانا متأكِّدَيْن تقريبًا أنه سيجري التصويت لهما كمَلكٍ ومَلِكة في حفل الربيع بالمدرسة الثانوية، وقد انتخبهما طُلَّابُ السَّنَة النهائية بالفعل كثنائيٍّ الفصل من أجل الكتاب السنوي. لقد صارا نَجمًا ثابِتًا في السماء المتقلِّبة لعلاقات المدرسة الثانوية، روميو وچولييت المعترف بهما. وعرفت هي بكراهية مفاجئة أنه كان هناك ثنائي مثلهما في كل مدرسة ثانوية في ضاحية بيضاء في أمريكا.

وبعد أن امتلكت شيئًا طالما تاقت إليه -إحساس بالمكان، بالأمان، بالمكانة- وجدت أنه حمل معه مشاعِرَ قلقٍ كأنها شقيقة أكثر سوادًا. لم تتصوَّر الأمر هكذا. كانت هناك أشياء سوداء تحوم ببطء حول دائرتهما الدافئة من الضوء. فكرة أنها سمحت له بمضاجعتها

(هل يجب أن تقوليها بهذه الطريقة؟ نعم، يجب أن أقولها هكذا هذه المرة)

ببساطة لأنه ذو جماهيرية، على سبيل المثال. حقيقة أنهما يبدوان لائقين أحدهما على الآخر وهما سائران، أو أن بإمكانها النظر إلى انعكاس صورتهما في ڤاترينة متجر وهي تقول في عقلها: ها هو ثنائيٌّ بديع يسير. كانت واثقة إلى حدٍّ كبير

(أو طامحة فقط)

في أنها لم تكن بهذا الضعف، أنه لم يكن من المحتمل أن تسقط طواعيةً في شبكة التوقُّعات الراضية عن الذات للوالدين والأصدقاء وحتى نفسها. لكن هناك الآن موضوع غرفة الاستحمام تلك، حيث شارَكَت مع الأخريات ورفعت عقيرتها بمرحٍ وَحشيٍّ مُدَوٍّ. كانت الكلمة التي تتجنَّبها هي **التأقلم**، في صيغة المصدر، وكانت تستحضر في ذهنها صورًا بائسة لبَكَرات لَفِّ الشَّعر، والأمسيات الطويلة أمام منضدة كَيِّ الملابس أمام المسلسلات التليفزيونية بينما الزوج يُحقِّق فشلًا ذريعًا في مكتب مجهول الاسم... للانضمام إلى رابطة الآباء والمعلِّمين، وبعد ذلك النادي الريفي عندما يصل دخلهم إلى خمسة أرقام... لحبَّات الدواء في علب صفراء دائرية دون أرقام لضمان عدم تجاوُز مقاسات ملكات الجمال قبل أن يصبح الأمر ضروريًّا تمامًا، وللوقاية من تطفُّل الغُرَباء الصغار المنَفِّرين الذين يتبرَّزون في سراويلهم ويصرخون طلبًا للمساعدة في الثانية صباحًا... للنِّضال بلياقة يائسة لإبعاد الزنوج عن مناطق كلين كورنر، واقفة كتِفًا بكتف مع تيري سميث (ملكة جمال

زهرة البطاطس لعام 1975) وڤيكي جونز (نائبة رئيس الاتحاد النسائي) مُسلَّحاتٍ باللافتات والالتماسات والابتسامات العذبة، اليائسة قليلًا.

كاري، كانت كاري تلك اللعينة، كانت تلك غلطتها. ربما سمعت قبل اليوم وَقعَ أقدام بعيدة تدور حول مكانهم المضاء، لكن الليلة، وهي تسمع قِصَّتها الدنيئة الرخيصة بنفسها، رأت الظلال الحقيقية لكل هذه الأشياء، والعيون الصفراء التي تتوهَّج كومضات بارقة في الظلام.

كانت قد اشترت بالفعل فستانها من أجل الحفل الراقص للمدرسة. كان أزرق. كان جميلًا.

قال تومي عندما انتهت:

- أنت على حَقٍّ. خبر سيِّئ. لا يبدو الأمر خليقًا بكِ.

اتَّخذ وجهه سَمتًا رزينًا وأحسَّت بنَزْرٍ يسير بارد من الذُّعر. ثم ابتسم -كانت له ابتسامة مبهجة جدًّا- وتراجَعَ الظلام قليلًا.

- رَكلتُ طِفلًا في مؤخِّرته ذات مرة عندما سقط مهزومًا. هل قُلتُ ذلك لكِ من قبل؟

هزَّت رأسها.

- نعم.

حكَّ أنفه على سبيل التذكُّر، وارتعدت وجنته في انتفاضات صغيرة سريعة بنفس الطريقة التي اعترتها عندما اعترف بوضعه الواقي الذكري بالمقلوب في المرَّة الأولى.

- كان اسم الطفل داني باتريك. ضربني ضربًا مُبرحًا عندما كُنَّا في الصف السادس. كنت أكرهه، لكنني كنت مرعوبًا أيضًا. كنت أتربَّص به. تعرفين كيف يكون هذا؟

لم تكن تعرف، لكنها أومأت برأسها على أي حال.

- على أي حال، أخيرًا اختار الطفل الخطأ بعدها بعام أو نحو ذلك. بيتر تيبر. كان مجرَّدَ فتى صغير، لكن لديه الكثير من العضلات. شاكَسَه داني بسبب شيء ما، لا أعرف، كريات زجاجية أو شيء آخر، وأخيرًا ثار بيتر عن حقٍّ وضربه ضربًا مُبرحًا. كان هذا في ملعب مدرسة كينيدي الإعدادية القديمة. سقط داني واصطدمت رأسه بالأرض وغاب عن الوعي تمامًا. جرى الجميع. ظنَنَّا أنه قد يكون ميِّتًا. جَرَيتُ مُبتَعِدًا أيضًا، لكني أوَّلًا رَكَلتُه ركلةً جيدة في الضلوع. شعرت بالذنب فعلًا بعدها. هل ستعتذرين لها؟

بوغِتَت سو بالسؤال، وكل ما استطاعت أن تفعله هو أن تسأله في وهن:

- هل اعتذرتَ أنت؟

- هه؟ لا بالقطع! كان لديَّ أشياء أفضل لأفعلها بدلًا من إنفاق وقتي في جبر الكسور. لكنَّ هناك اختلافًا كبيرًا يا سوزي.

- حقًّا؟

- لم نَعُد في الصف الأول الإعدادي. وكان لديَّ سبب من نوع ما، حتى لو كان سببًا حقيرًا. ماذا فعَلَت لكِ أصلًا تلك العاهرة الحزينة السخيفة؟

لم تُجِب لأنها لم تستطع. فهي لم تتبادل أكثر من مائة كلمة مع كاري طوال حياتها، ومنها ثلاثون كلمة أو نحو ذلك اليوم. حصَّة الألعاب هي الحصَّة الوحيدة التي اشتركتا فيها منذ تخرَّجَتا في مدرسة تشامبرلين الإعدادية. كانت كاري تدرس مناهج التجارة وإدارة الأعمال. بينما كانت سو بالطبع في القسم المؤهِّل للجامعة.

فجأة رأت نفسها كريهةً.

لم تجد في نفسها القُدرَة على تحمُّل هذا؛ ولذلك قلبت الهجوم عليه.

- ومتى بدأتَ تتَّخِذ كل هذه القرارات الأخلاقية الكبيرة؟ بعد أن بدأتَ مضاجَعَتي؟

رأت المزاج الطيب يغيض من وجهه وأحسَّت بالأسف.

قال وهو يرفع سرواله:

- أظنُّ أنه كان ينبغي أن أبقى صامِتًا...

- ليس أنتَ، بل أنا.

ووضعت يدها على ذراعه.

- أنا أشعر بالخِزي، أتفهم؟

- أعرف. لكن لا ينبغي أن أقدِّم النُّصح. لستُ ماهرًا في ذلك.

- تومي، هل تكره أبدًا كونَكَ صاحِبَ... حسَنًا، شعبيَّة كبيرة؟

- أنا؟

ارتسَمَت الدهشة على وجهه من ذلك السؤال.

- هل تقصدين كرة القدم ورئيس الفصل وما إلى ذلك؟

- نعم.

- لا. هذا ليس موضوعًا شديد الأهمية. المدرسة الثانوية ليست مكانًا شديد الأهمية. عندما ترتادينها تظنِّين أنها حكاية كبيرة، لكن عندما تنتهي لا يعتقد أحدٌ في الحقيقة أنها كانت عظيمةً إلَّا إذا أكثر من شُرب البيرة. هكذا يكون أخي وأصحابه، على أي حال.

لم يُخفِّف هذا عنها؛ بل جعل مخاوفها تزداد سوءًا. تشكيلة وتجميعة سوزي الصغيرة من مدرسة إيوين الثانوية، قطعة الكَبْ

كيك الرئيسية في فرقة الكَبْ كيك بأكملها. فستان حفل المدرسة الراقص يبقى إلى الأبد في الخزانة، ملفوفًا في البلاستيك الواقي.

تكاثَفَت ظُلمَةُ الليل على نوافذ السيارة المكسوَّة قليلًا ببخار الماء.

قال:

- سينتهي بي الأمر ربما بالعمل في معرض أبي للسيارات. سأقضي ليلتَيْ الجمعة والسبت خاصَّتي في مطعم أنكل بيلي أو خارجًا في ملهى كافاليه أشرب البيرة وأتحدَّث عن ظهيرة السبت التي ظفرت فيها بتلك الرمية الكبيرة من فريق سوندرز وكيف أزعجنا فريق دورشستر. أتزوَّج من امرأة مزعجة، أشتري دائمًا سيارة موديل العام الماضي، أصوِّت للديمقراطيين...

- توقَّف..

قالتها، وقد امتلأ فمها فجأةً برُعبٍ أسود عذب. جذبته نحوها.

- مارِس الحُبَّ معي. رأسي في حالة سيئة جدًّا الليلة. مارِسْ الحُبَّ معي. مارس الحب معي.

لذا مارس الحب معها، وكانت هذه المرة مختلفة؛ هذه المرة بدا أخيرًا أن هناك حَيِّزًا مُتَّسِعًا، ولم يكن هناك احتكاك مزعج، بل حَكَّة لذيذة تصاعدت وتصاعدت.. اضطرَّ لأن يتوقَّف مرتين، لاهثًا، وأن يكبح نفسه، وبعد ذلك عاود من جديد

(كان بَتولًا قبلي، واعترف بذلك، وأنا كنتُ أعتقد أنها كذبة)

وعاود بقوَّة، وخرجت أنفاسها في شهقات قصيرة متلاحقة، وبعد ذلك بدأت تصرخ وتتشبَّث بظهره، عاجِزةً عن أن تتوقَّف، متعرِّقة، وقد تلاشى الطَّعمُ السيِّئ، وبَدَا أن كلَّ خلِيَّة تصل إلى ذروتها الخاصَّة بها، وامتلأ الجسد بنور الشمس، وتردَّدَت النغمات الموسيقية في ذهنها، وتطايَرَت الفراشات خلف جمجمتها في قفص عقلها.

فيما بعد، في طريق العودة إلى البيت، سألها بشكلٍ رَسميٍّ إن كانت ستذهب معه إلى حفل الربيع الراقص. قالت إنها ستفعل. سألها إن كانت قرَّرَت ما ستفعله مع كاري. قالت إنها لم تفعل. قال إن هذا لا يشكِّل فارقًا، لكنها كانت تعتقد أنه يُشكِّل فارقًا. كان هذا الموضوع قد بدأ يبدو وكأنه يعني كل الفارق.

من "التحريك الذهني: التحليل والعواقب" (كتاب العلوم السنوي، 1981) بقلم: دين د. ل. ماكجوفين:

ما زال هناك بالطبع هؤلاء العلماء اليوم -للأسف في مُقدِّمتهم أساتذة جامعة ديوك- الذين يرفضون الآثار الأساسية الرائعة لحالة كاري وايت. مثل مجتمع فلاتلاند، أو أعضاء جماعة الصليب الوردي، أو الكوريليون في أريزونا[1] الذين يؤمنون أن القنبلة الذرية لا تعمل، يفرُّ هؤلاء البائسون من مواجهة المنطق بدفن رؤوسهم في الرمال- وأستميحكم عُذرًا في هذا المجاز المعقَّد.

بالطبع يمكن للمرء أن يفهم الذُّعر والأصوات المرتفعة والخطابات والمجادلات الغاضبة في الاجتماعات العلمية. لقد كانت فكرة التحريك الذهني نفسها حبَّةَ دواءٍ مُرَّة يصعب على المجتمع العلمي ابتلاعها، بزخارفها القادمة من أفلام الرعب مثل ألواح ويجا والوسطاء والدَّقَّات

(1) "مجتمع فلاتلاند" إشارة إلى نوفيلا الكاتب الإنجليزي إدوين أبوت الساخرة "فلاتلاند.. رواية متعددة الأبعاد"، والتي تشير إلى المجتمع الإنجليزي الفيكتوري "المسطح" ونُشِرَت عام 1884، أما "جماعة الصليب الوردي" أو "الروسينكروزيين" فهو نظام نشأ في القرن السابع عشر على يد الراهب الألماني كريستيان كروسينيوز، مُكوِّنًا مدرسةً سِرِّيَّة لمساعدة التطوُّر الروحي للبشر، أما "الكوريليون" في أريزونا فهي جماعة وهمية من ابتكار ستيفن كينج نفسه (المترجم)

التي سمعها المُتحلِّقون حول المنضدة والأكاليل الطائرة؛ لكن الفهم رغم ذلك لن يكون عذرًا لانعدام المسؤولية العلمية.

تثير حصيلة حالة كاري وايت أسئلة عميقةً وصَعبَةً. لقد ضرب زلزالٌ تَصوُّراتنا المُرتَّبة للطريقة التي من المفترض أن يسير عليها العالم الطبيعي ويتفاعل بها. هل يمكنك حتى أن تلوم فيزيائيًّا شهيرًا مثل چيرالد لوبونيه على زعمه أن الأمر كله خدعة واحتيال، حتى في مواجهة دليل كاسِحٍ مثل ذلك الذي قدَّمَته حالة كاري؟ لأنه لو كانت كاري وايت هي الحقيقة، فماذا عن نيوتن؟...

جلستا في غُرفة المعيشة، كاري وماما، تستمعان إلى تينيسي إيرني فورد يغني "دَعْ أضواء الفنار السُّفليَّة تشتعل" على فونوغراف ماركة ويبكور (كانت ماما تُسمِّيه ڤيكترولا، أو لو كانت في مزاج رائق على نحو خاص: ڤيك). جلست كاري إلى ماكينة الخياطة، وقدماها تدقَّان بينما تخيط أكمام فستان جديد. جلست ماما أسفل تمثال المسيح المصلوب تطرز شراشف المائدة وتدقُّ بقدَمَيْها مع إيقاع الأغنية، التي كانت واحِدةً من المُفضَّلات لديها. كان السيد ب. ب. بليس الذي كتب هذه الترنيمة، وأخريات بلا حصر على ما يبدو، واحدًا من الأمثلة المُشرِقَة لدى ماما لبديع صنع الله على وجه الأرض. كان بحَّارًا وآثِمًا (كلمتان كانتا مترادِفَتَيْن في قاموس ماما) ومُجدِّفًا كبيرًا، ضحكة ساخرة في وجه القدير. ثم أتت عاصِفةٌ هائلة في البحر، وتعرَّض القارب لخطر الانقلاب، وخرَّ السيد ب. ب. بليس على ركبتيه المثقلتين بالخطيئة وفي خياله رؤيا للجحيم يفغر فاه أسفل سطح المحيط ليتلقَّاه، وصلى لله. وعد السيد ب. ب. بليس اللهَ أنه لو أنقذه، سيكرِّس بقية حياته له. بالطبع انجلت العاصفة على الفور.

رحمة أبينا تُشعُّ ساطِعةً

من فناره دائمًا أبدًا،

لكنه يمنحنا مَهمَّة الحفاظ

على الأضواء بامتداد الشاطئ...

كل ترنيمات السيد ب. ب. بليس بها نكهة بحرية.

كان الفستان الذي تخيطه جميلًا إلى حَدٍّ كبير، لونه نبيذيٌّ غامق -أقرب ما يمكن أن تسمح لها به ماما للون الأحمر- وكانت الأكمام منفوشةً. حاولت أن تُبقي ذهنها مُركَّزًا بصرامة على خياطتها، لكنه بالطبع كان يشرد.

كان المصباح المثبَّت أعلى رأسها قويًّا وقاسيًا وأصفر، وكانت الأريكة الصغيرة الوثيرة المغبرة بالطبع مهجورة (لم تستقبل كاري قَطُّ وَلَدًا ليجلِسَا عليها) وعلى الحائط الآخر البعيد كان هناك ظِلٌّ توأم: المسيح المصلوب، وأسفله ماما.

كانت المدرسة قد اتَّصَلَت بماما في المغسلة وعادت إلى البيت عند الظهر. راقبتها كاري وهي تقطع الممشى، وارتجف جوفها.

كانت ماما امرأةً شديدة الضخامة، وترتدي قُبَّعةً دائمًا. مؤخَّرًا بدأت ساقاها تتورَّمان، وبدت قدماها دائمًا على وشك الخروج من حذائها. كانت ترتدي معطفًا من قماش أسود له ياقة من الفرو الأسود. لها عينان زرقاوان ومتضخِّمَتا الاتساع وراء نظارة بلا إطار ثنائية البؤرة. وكانت تحمل دائمًا حقيبة يد كبيرة سوداء وفيها كيس نقودها الفَكَّة ومحفظة نقودها (وكلاهما أسود) ونسخة الملك جيمس من الكتاب المقدَّس (أسود أيضًا) على غلافها الأمامي اسمها مطبوعًا بالذهب، وكومة من المنشورات الدعائية محفوظة برباط مطاطي. كانت المنشورات برتقالية اللون في العادة، ومطبوعة بحروف مُلطَّخة.

عرفت كاري على نحوٍ مُبهَم أن ماما وبابا رالف كانا مِعمدانِيَّيْن ذات مرَّة لكنهما تركا الكنيسة عندما صارا مقتنعين أن المعمدانيِّين يقومون بأفعال المسيخ الدجال. منذ ذلك الوقت، كانت كل العبادات تتمُّ في البيت. تقيم ماما الصلوات أيام الأحد والثلاثاء والجمعة. وكانت هذه الأيام تدعى بالأيام المقدَّسة. كانت ماما هي القسُّ، وكاري هي جماعة المصلِّين. وكانت القدَّاسات تستمر من ساعتين إلى ثلاث.

فتحت ماما الباب ودخلت ببرود. حدَّقَت هي وكاري إحداهما في الأخرى عبر الامتداد القصير للصالة الأمامية للحظة، مثل متبارزين بالمسدَّسات قبل إطلاق النار. كانت واحدة من تلك اللحظات القصيرة التي تبدو

(خوف. هل كان من الممكن بالفعل أن يكون ما في عينَيْ ماما خوفًا؟)

أطول بكثير عند تذكُّرها في وقت لاحق.

أغلقت ماما الباب وراءها. وقالت بصوت خفيض:

- أنتِ امرأة...

أحسَّت كاري بوجهها يلتوي ويتجعَّد، ولم تتمكن من تجنُّب الصراخ:

- لماذا لم تخبريني؟ آه يا ماما! كنتُ مرعوبةً جدًّا! وكل البنات سخرن مني وألقين أشياء و...

كانت ماما تسير نحوها، وارتفعت يدها في سرعة خاطفة مباغتة، يدٌ صلبة، كَسَتها المغسلة بالصلابة والعضلات. ضربت بظهر يدها فكَّ كاري التي سقطت أرضًا في المدخل بين الصالة وغرفة المعيشة، باكيةً بصوت عال.

قالت ماما:

- وخلق الرَّبُّ حوَّاء من ضلع آدم...

كانـت عيناهـا كبيرتـين جـدًّا في النظـارة التـي بـلا إطـار؛ بَدَتَـا أشـبه ببيضتَـيْن مسـلوقتين. ركلـت كاري بجانـب قدمهـا وصرخـت كاري.

- انهـضي يـا امـرأة. فلندخـل ونُصـلِّي. فلنُصلِّي ليسـوع مـن أجـل أرواحنـا الآثمـة الشريـرة ذات الضَّعـف النسـائي.

- ماما...

كانـت النهنهـات أقـوى مـن أن تسـمح بالمزيـد. لقـد خرَجَـت التشـنُّجات الهيسـتيرية الكامنـة مُهَلوِسَـةً ومُكشِّرة عـن أنيابهـا. لم تتمكـن مـن الوقـوف. لم تستَطِع إلَّا أن تزحـف إلى داخـل غرفـة المعيشـة وشَعرها مُتـدَلٍّ عـلى وجههـا، زاعقـة بنهنهـات خَشِـنة هائلـة. ومـن وقـت لآخـر كانـت مامـا تؤرجـح قدمهـا راكِلـةً. هكـذا سـارتا عـبر غرفـة المعيشـة نحـو مـكان المذبـح، الـذي كان في وقـت سـابق غرفـة نـوم صغـيرة.

- وكانت حوَّاء ضعيفةً و... قوليها يا امرأة. قوليها!

- لا يا ماما، من فضلك ساعديني...

تأرجَحَت القدم. صرخت كاري.

تابَعَت ماما:

- وكانـت حـوَّاءُ ضعيفـةً وأطلقـت الغُـراب عـلى العـالم، وكان الغـراب يُدعـى بالخطيئـة، وكانـت الخطيئـة الأولى هـي الجِـماع. وزار الـرَّبُّ حـوَّاءَ بلعنـةٍ، وكانـت اللعنـة لعنـةَ الـدم. وطُـرد آدم وحـواء مـن الجنـة وجـاءا إلى العـالم ووجـدت حـواء أن بطنهـا صـارت كبـيرة وبهـا طفـل.

تأرجحـت القـدم وضربـت مؤخِّـرَة كاري. احتـكَّ أنفهـا بالأرضيـة الخشـبية. كانتـا تدخـلان مـكان المذبـح. كان هنـاك صليـب عـلى منضـدة مغطَّـاة بمفـرش حريـري مطـرَّز. عـلى جانِبَـيْ الصليـب كانـت هنـاك شـموع بيضـاء. خلـف هـذا كانـت هنـاك مستنسـخات مبتذلـة ليسـوع وحَوارييـه.

وإلى اليمين كان أسوأ مكان على الإطلاق، بيت الرعب، الكهف الذي ينطفئ فيه كل أمل، كل مقاومة لإرادة الرب- وإرادة ماما. انفتح باب الخزانة كأنه يبتسم ظافِرًا. في الداخل، أسفل مصباح أزرق شنيع كان مضاءً دائمًا، تَصَوُّر الفنان ديرو لموعظة جوناثان إدواردز الشهيرة: **الخُطاة بين يدَيْ رَبٍّ غاضب**.

- وكانت هناك لعنة أخرى، وهي لعنة الولادة، وأتت حواء بقابيل بالعَرَق والدم.

الآن كانت ماما تجرُّها، نصف واقفة ونصف زاحفة، نحو المذبح، حيث خَرَّتا هما الاثنتان راكِعَتَيْن. قبضت ماما على رسغ كاري بإحكام.

- وبعد قابيل وَلَدَت حوَّاءُ هابيل، حيث لم تَتُب عن خطيئة الجماع. ولذا زار الرَّبُّ حوَّاءَ بلَعنَةٍ ثالثة؛ وهي لعنة القتل. قام قابيل وقتل هابيل بصخرة. ومع ذلك لم تَتُب حواء، ولا كل بنات حواء، وبفضل حواء وجَدَت الحيَّةُ الماكرة مملكةً من البغاء والوباء.

صرخت كاري:

- ماما! ماما، من فضلك اسمعي! لم تكن غلطتي!

- احني رأسَكِ، هيَّا نصلي.

- كان ينبغي عليكِ أن تخبريني!

هبطت ماما بيدها على قفا كاري، ووراءها كل العضلات الثقيلة التي نَمَت بفِعلِ أحد عشر عامًا من رفع أكياس غسيل ثقيلة ونقل أكوام من الملاءات المبتَلة. اندفع وجه كاري جاحظة العينين إلى الأمام وارتطَمَت جبهتها بالمذبح، تارِكَةً علامَةً وجاعِلَةً الشُّموع ترتعش.

قالت ماما بهدوء وعناد:

- هيا نصلِّي.

أحنت كاري رأسها وهي تبكي وتشهق. تدلَّى خَيطٌ من المخاط متأرجِحًا من أنفها ومسحته

(لو حصلتُ على نِكلَةٍ مقابل كل مرة جعَلَتني أبكي فيها هنا)

بظهر يدها.

تكلَّمَت ماما بطريقة خَطابيَّةٍ مُفخَّمة، ورأسها مُلقى إلى الوراء:

- يا مولاي، ساعِد هذه المرأة الخاطئة إلى جواري هنا كي ترى خطيئة أيامها وطُرُقها. أرِها أنها لو بقِيَت بلا خطيئة لَمَا حَلَّت عليها أبدًا لعنة الدم. ربما ارتكبت خطيئة التفكير الشهواني. ربما كانت تستمع إلى موسيقى الروك آن رول في الراديو. ربما تكون قد تعرَّضَت للإغواء من المسيخ الدَّجَّال. أرِهَا أن تلك هي يدك العطوف المنتقمة تقوم بعملها و...

- لا! اتركيني!

حاوَلَت أن تقاوم وتقف وأجبرتها يد ماما، القوية وعديمة الشفقة كقيدٍ من حديد، على العودة راكعة.

- ... وعلامة منك على أنها يجب أن تسير على الصراط المستقيم والضيق من هنا وإلى الخارج باستمرار لو كان لها أن تتجنَّب العذابات الملتهبة للحفرة الأبدية. آمين.

أدارت عينيها اللامعتين المكبَّرَتَيْن نحو ابنتها.

- اذهبي إلى خزانتك الآن.

- لا!

أحسَّت بأنفاسها تختنق من الرعب.

- اذهبي إلى خزانتك. صلِّي في صمت. اطلبي العفو عن خطيئتك.

- لم أرتكب خطيئةً يا ماما. أنتِ مَن أخطأت. لم تخبريني وضحكن جميعًا.

مرَّةً أخرى بدا أنها رأت ومضةً من الخوف في عينَيْ ماما، اختفت بسرعة ودون صَوتٍ مثل برق الصيف. بدأت ماما تدفع كاري بالقوة نحو وهج الخزانة الأزرق.

- صلِّي لله وربما تنمحي خطاياكِ.

- ماما، اتركيني.

- صلِّي يا امرأة.

- سأجعل الحجارة تأتي مرَّةً أخرى يا ماما.

توقَّفَت ماما.

حتى أنفاسها بدا أنها توقَّفَت في حلقها للحظة. وبعد ذلك ضاقت قبضة اليد على رقبتها، ضاقت حتى رأت كاري نقاطًا حمراء متوهِّجةً أمام عينيها وشعرت بمُخِّها يغيم وينأى بعيدًا.

سبحت عينا ماما المكبَّرتان أمامها.

قالت هامسة:

- أنتِ يا نَسلَ الشيطان، لماذا حَلَّت عليَّ كل هذه اللعنة؟

جاهد عَقلُ كاري الدائخ كي يعثر على شيء ضخم بما يكفي للتعبير عن عذابها، خِزيها، ذُعرها، كراهيتها، خوفها. بدا أن حياتها بأكملها قد ضاقت إلى هذه النقطة البائسة المهزومة من التمرُّد. جحظت عيناها في جنون، وانفتح فمها المملوء بالبصاق على اتساعه.

صرخت:

- عاهِرَة!

فَحَّت ماما كقِطَّةٍ محترقة وصاحت:

- خطيئة! أيَّتها الخطيئة!

وبدأت تضرب ظهر كاري وعنقها ورأسها. كانت كاري تُدفَع، مثل البَكَرة، إلى داخل الوهج الأزرق القريب للخزانة. صرخت كاري:

- مومس!

(ها ها هي تخرج صريحةً، وإلا كيف تعتقدين أنها جاءت بكِ. آه! يا إلهي. آه! يا رحيم)

دُفِعَت بهذه الحركة الدائرية إلى داخل الخزانة برأسها أوَّلًا، واصطدمت بالحائط المواجه وسَقَطَت على الأرض شبه غائبة عن الوعي. انصفق الباب ودار المفتاح.

صارت وحيدةً مع إله ماما الغاضب.

توهَّجَ الضوء الأزرق فوق لوحةٍ لِيَهْوَه ضخمٍ ومُلتَحٍ يلقي بحشود من البشر ليهبطوا عبر أعماق غائمة داخل هوَّة من النار. أسفلهم، تجاهد أجساد سوداء بَشِعَة من خلال ألسنة لهب جهنَّم بينما جلس الرجل الأسود على عرش ضخم بلون اللهب وفي إحدى يديه رُمحٌ ذو ثلاث شُعَبٍ. كان جسده جسدَ رَجُل، لكن لديه ذيلٌ شائِكٌ ورأس ابن آوى.

لن تنهار هذه المرة.

لكنها انهارت بالطَّبع. استغرق الأمر سِتَّ ساعات، لكنها انهارت، باكيةً ومُنادِيةً ماما كي تفتح الباب وتسمح لها بالخروج. كانت الحاجة للتَّبوُّل فظيعة. ابتسم الرجل الأسود ابتسامةً عريضة لها بفم ابن آوى الذي لديه، وعرفت عيناه القرمزيتان كل أسرار الدم النسائي.

بعد ساعة من بدء كاري في النداء، سمحت لها ماما بالخروج. هرولت كاري بجنون نحو الحمَّام.

فقط الآن، بعد ثلاث ساعات من هذا، وهي جالسة برأس مُنحَنٍ على ماكينة الخياطة مثل شخصٍ تائب، تذكَّرَت الخوف في عينَيْ ماما واعتقدت أنها تعرف السبب وراءه.

كانت هناك مرَّات أخرى أبقتها فيها ماما داخل الخزانة لوقتٍ قد يصل إلى اليوم طولًا دون انقطاع -عندما سرقت ذلك الخاتم البالغ ثمنه تسعة وأربعون سنتا من محل (شوبر فايڤ آند تِن)، والمرة التي وجدت فيها صورة المغني بوبي بيكيت تحت وسادة كاري- وقد أغمي على كاري مرة بسبب نقص الطعام ورائحة برازها. وهي لم تَرُدَّ لها الكلام أبدًا أبدًا كما فعَلَت اليوم. بل إنها اليوم قالت الكلمة التي تبدأ بحرف العين. ومع ذلك سمحت لها ماما بالخروج بمجرد أن انهارت تقريبًا.

ها هو الفستان قد انتهى. رفعت قدميها عن الدوَّاسة ورفعتها لتنظر إليها. كانت دواسة طويلة. وقبيحة. كانت تكرهها.

كانت تعرف لماذا سمحت لها ماما بالخروج.

- ماما هل يمكن أن أذهب إلى الفراش؟

- نعم.

لم ترفع ماما عينيها عن شرشفها.

طوت الفستان على ذراعها. رَنَت إلى ماكينة الخياطة. وفجأة ضغطت الدوَّاسة نفسها. بدأت الإبرة تغطس هابطة صاعدة، عاكِسَةً الضوء في ومضات معدنية. أزَّ المكوك واهتزَّ. ودارت العجلة الجانبية.

انتفضت رأس ماما مرتفعة، واتَّسَعَت عيناها. والمصفوفة المشتبكة عند حافَّة منديلها، المعقَّدة على نحوٍ رائع، وفي نفس الوقت الدقيقة والمستوية، سقَطَت فجأةً مُتَبعثِرَةً.

قالت كاري بصوتٍ خفيض:

- فقط كنتُ أسلك الخيط...

- اذهبي إلى الفراش...

قالتها ماما باقتضاب، وقد عاد الخوف في عينيها.

- حاضر

(كانت خائفة من أن أطيح بباب الخزانة مقتَلِعَةً إيَّاه من مفصَّلاته

يا ماما.

(وأعتقد أني أستطيع أعتقد أني أستطيع نعم أعتقد أني أستطيع)

من "وانفجر الظل..." (ص 58)

وُلِدَت مارجريت وايت وتربَّت في موتون؛ وهي بلدة صغيرة تتاخم تشامبرلين وتبعث تلامذتها إلى مدارس تشامبرلين الإعدادية والثانوية. كان والداها ميسوري الحال؛ حيث امتلكا ملهًى ليليًّا ناجحًا خارج حدود بلدة موتون بالضبط اسمه "چولي رودهاوس". قُتل والد مارجريت، چون بريجهام، في حادث إطلاق نار داخل حانة في صيف عام 1959.

بدأت مارجريت بريجهام، التي كانت وقتها في حوالي الثلاثين، تحضر اجتماعات صلاة أصوليَّة. كانت أمها قد أصبحت على علاقة برَجُلٍ جديد (هارولد أليسون، الذي تزوَّجَته لاحِقًا) وكلاهما أراد أن تخرج مارجريت من البيت- كانت تعتقد ان أمها، جوديث، وهارولد أليسون كانا يعيشان في الخطيئة وأعلنت رأيها مرارًا. توقَّعَت جوديث

بريجهـام أن ابنتهـا سـتظلُّ عانِسًـا بقيَّـة حياتهـا. أو بالعبـارات اللاذعـة علـى نحـوٍ أكـبر لـزوج أمهـا الوشـيك: "كان لمارجريـت وجـهٌ أَشـبَه بطـرف مؤخِّـرة شـاحنة البنزيـن وجسـد يليـق بـه". كـما أشـار إليهـا بعبـارة: "يسـوع المصلِّي الصغـير".

رفضـت مارجريـت أن تغـادر البيـت حتـى عـام 1960، عندمـا التقـت رالـف وايـت في اجتـماع إحيائيٍّ. في سـبتمبر مـن ذلـك العـام غـادرت منـزل بريجهـام في موتـون وانتقلـت إلى شـقَّة صغـيرة في وسـط تشـامبرلين.

انتهـت العلاقـة العاطفيـة بـين مارجريـت بريجهـام ورالـف وايـت بالـزواج في 23 مـارس 1962. وفي 3 أبريـل 1962 دخلـت مارجريـت وايـت لوقـت قصـيرة مستشـفى أطبـاء ويسـتوفر.

قـال هارولـد أليسـون: "لا، لم تكـن لتخبرنـا بالمشـكلة. المـرة الوحيـدة التـي ذهبنـا لزيارتهـا فيهـا قالـت لنـا إننـا نعيـش في الزِّنـا رغـم أننـا كُنَّـا مُتزوِّجَـيْن، وأننـا سـنذهب إلى الجحيـم. قالـت إن اللـه قـد وضـع علامـاتٍ غـير مرئيـة عـلى جبهتَيْنـا، لكنهـا كانـت تسـتطيع رؤيتهـا. بالفعـل كانـت تتـصرَّف بجنـونٍ كخُفَّـاش في حظـيرة دجـاج. حاوَلَـت أمُّهـا أن تكـون لطيفة، حاوَلَـت أن تتبـيَّن مـا مشـكلتها. انتابتهـا نوبـة هيسـتيرية وبـدأت تهـذي حـول مَـلاكٍ معـه سـيف سيسـير عـبر سـاحات صـفِّ السـيارات الخاصـة بالنُّـزُل ويقطـع رؤوس الأشرار. غادرنـا".

ومـع ذلـك، جـاءت أخـيرًا فكـرة لجوديـث أليسـون حـول مـا يمكـن أن تكـون المشـكلة لـدى ابنتهـا؛ اعتقـدت أن مارجريـت قـد مـرَّت بتجربـة إجهـاض. لـو كان الأمـر هكـذا، فقـد جـرى الحمـل بالجنـين قبـل الـزواج. التأكُّـد مـن هـذا سـيلقي ضـوءًا مثـيرًا عـلى شـخصية والـدة كاري.

في رسـالة طويلـة وهيسـتيرية بعـض الـشيء إلى أمهـا بتاريـخ 19 أغسـطس 1962، قالـت مارجريـت إنهـا ورالـف كانـا يعيشـان بـلا خطيئـة، بـدون "لعنـة الجِـماع". وحثَّـت هارولـد وجوديـث عـلى أن يُغلِقَـا "دار

الشر" الخاصَّة بهما ويفعلا مثلها. قرب نهاية رسالتها تعلن مارجريت "إنها الطريقة الواحدة [كذا] التي يُمكِنُكِ بها أنتِ وذلك الرجل أن تتجنَّبا وابل الدم الذي سيأتي. أنا ورالف، مثل مريم ويوسف النجار، لن نعرف أو نُلوِّث [كذا] جَسَدَ أحدنا الآخر. لو أن هناك مشكلة، فلتَكُن مع الله".

بالطبع يُنبِئُنا التقويم أنها حملت بكاري في وقتٍ لاحق من نفس العام...

ارتدت الفتيات ثيابهن في هدوء استعدادًا لحصَّة الألعاب، الحصة الأولى لهنَّ يوم الاثنين، دون أي ضجيج أو صفَّارات استهجان قصيرة زاعقة، ولم تندهش أيٌّ منهن كثيراً عندما فتحت الآنسة ديسياردن باب غرفة الخزانات بقوة ودخلت. تدلَّت صفارتها الفضية بين ثدييْها الصغيرين، وإذا كان سروالها الرياضي القصير هو نفسه الذي كانت ترتديه يوم الجمعة، فلم تبقَ عليه أيُّ آثار لبصمة يد كاري الدامية.

استمرَّت الفتيات في ارتداء ثيابهن مُتجهِّمات، دون النظر إليها.

قالت الآنسة ديسياردن بهدوء:

- ألستُنَّ المجموعة المستعدَّة للتخرُّج؟ متى ذلك؟ بعد شهر؟ وسيكون حفل الربيع الراقص قبل ذلك حتى. أغلبكن لديهنَّ مواعيدهن وفستانيهن بالفعل، أراهن على ذلك. سو، ستذهبين مع تومي روس. هيلين مع روي إيڤارتس. كريس، أتصوَّر أن بإمكانك الانتقاء. من الشاب المحظوظ؟

- بيلي نولان.

قالتها كريس هارجنسن في تجهُّم.

- طيب، أليس هو بالشاب المحظوظ؟

قالتها ديسياردن على سبيل الملاحظة، وتابَعَت:

- ماذا ستقدِّمين له كهدية للحفل يا كريس؟ فوطة كوتيكس دامية؟ أو ماذا عن بعض ورق المرحاض المستخدَم؟ أرى أن هذه الأشياء تبدو وكأنها غنيمتك هذه الأيام.

احمرَّ وجه كريس وقالت:

- سأنصرف. ليس عليَّ أن أستمع إلى هذا.

لم تتمكَّن ديسياردن من إخراج صورة كاري من ذهنها طوال عطلة نهاية الأسبوع. صراخ كاري، انتحابها، فوطة صحِّيَّة مُبتلَّة ملتصقة بشكلٍ مباشر في منتصف شَعر عانَتِها- وردُّ فِعلها الغاضب المثير للغَثَيان.

والآن، بينما كانت كريس تحاول المرور بجوارها في خروجها العاصف، مدَّت ديسياردن ذراعها ودفعتها نحو صفٍّ من الخزانات المنبعجة زيتونيَّة اللون إلى جوار الباب الداخلي. اتَّسَعَت عينا كريس بشعور من عدم التصديق المصدوم. ثم امتلأ وجهها بنوعٍ ما من الغضب المجنون. وصرخت:

- لا يمكنك ضربنا! سيتمُّ فَصلُك على ذلك! سترين بنفسك إن لم يحدث ذلك أيتها العاهرة!

جفلت الفتيات الأخريات وحبسن أنفاسهن وحدَّقن في الأرض. كان الأمر يخرج عن السيطرة. لاحَظَت سو بطرف عينها أن ماري ودونًا ثيبودو كانتا تمسكان بيدَيْ إحداهما الأخرى.

قالت ديسياردن:

- لا يهمني بالفعل يا هارجنسن، لو أنك -أو أيًّا من فتياتك- تعتقدين أني أضع قُبَّعَة المعلِّمة الآن، فأنت ترتكبين خطأ مُزرِيًا. فقط أريدكنَّ جميعًا أن تعرفن أنَّكُنَّ فَعَلتُنَّ شيئًا خَرائيًّا يوم الجمعة. شيء خرائي فعلًا.

كانـت كريـس هارجنسـن تبتسـم سـاخِرةً ناظـرة إلى الأرض. وبقيـة الفتيـات كُـنَّ ينظـرن ببـؤس إلى أي شيء باسـتثناء معلِّمة الألعـاب خاصتهن. وجـدت سـو نفسـها تنظـر داخـل كابينـة الـدُّشّ -مـسرح الجريمـة- وتُحـوِّل نظرهـا إلى مـكان آخـر. لم تسـمع واحـدةٌ منهـن أبـدًا مـن قَبـلُ مُعلِّمـة تصـف أي شيء بأنـه خَـرائيٌّ.

- هـل توقَّفَـت أَيٌّ واحِـدَةٍ منكـنَّ لتُفكِّـر في أن كاري وايـت لديهـا مشـاعر؟ هـل تتوقَّـف أي واحـدة منكـنَّ لتُفكِّـر أصـلًا؟ سـو؟ فـين؟ هيلـين؟ چيسـيكا؟ أي واحـدة منكـن؟ تعتقـدن أنهـا قبيحـة. طيـب، كلُّكـنَّ قبيحـات. رأيـت ذلـك صبيحـة الجمعـة.

كانت كريس هارجنسن تُتَمتِم بشيء عن كون والدها محاميًا.

صرخت ديسيادرن في وجهها:

- اخرسي!

تراجعـت كريـس فجـأة لدرجـة أن رأسـها ارتطمـت بالخِزانـات خلفهـا. بـدأت تنـوح وتدعـك رأسـها.

قالت ديسياردن بهدوء:

- ملاحظـة واحـدة أخـرى منـك وسـأُلقي بـك عـبر الغرفـة. أتريديـن أن تعـرفي إن كنـت أقـول الحقيقـة؟

كريـس -التـي أيقَنَـت عـلى مـا يبـدو أنهـا تتعامـل مـع امـرأة مجنونـة- لم تنطـق بكلمـة.

وضعت ديسياردن يديها على فخذيها وقالت:

- لقـد قـرَّرَت الإدارة عقابًـا لَكُـنَّ يـا بنـات. ليـس عقـابي أنـا. آسـفة لقـول ذلـك. كانـت فكـرتي فَصلكـنَّ ثلاثـة أيـام ورفـض تذاكـر حفلكـن الراقـص.

تبادَلَـت العديـد مـن الفتيـات النظـر وتمتمـن بكلـماتٍ مـا وعـلى وجوههـن التعاسـة.

تابعت ديسياردن:

- كان هـذا ليصيبكـن في الصميـم. للأسـف، الجنـاح الإداري في إيويـن يشـغله بالكامـل فريـق عمـل مـن الرجـال. لا أعتقـد أن لديهـم أي تصـوُّر حقيقـي لِكَـمْ كان مـا فعلتـوه قَـذِرًا تمامًـا؛ لـذا فالعقوبـة سـبعة أيـام مـن الاحتجـاز.

تنهُّدات ارتياح فورية.

- لكن... سيكون الاحتجاز مسؤوليَّتي. في صالة ألعابي. وسأهلككنَّ.

- لن آتي.

قالتها كريس وهي تزمُّ شفتيها.

- الأمـر إليـك يـا كريـس. الأمـر يعـود إليكـن جميعًـا. لكـن عقوبـة التهـرُّب مـن الاحتجـاز سـتكون الفصـل لثلاثـة أيـام ورفـض تذاكـر حفلكـنَّ الراقـص. هـل اتَّضَحـت الصـورة لكـن؟

لم تَقُل واحدةٌ منهنَّ شيئًا.

- تمام. غَيِّرنَ ثيابَكنَّ. وفَكِّرنَ فيما قلته.

وانصرفت.

سـاد صمـتٌ تـامٌّ للحظـة طويلـة ومكروبـة. ثـم قالـت كريـس في زعقـة مدوِّية وهيسـتيرية:

لا يمكنها أن تفلت بهذا!!

فتحـت بـاب خزانـة بشـكل عشـوائي، وأخرجـت زوجًـا مـن الأحذيـة الرياضيـة وألقـت بـه عـبر الغرفـة.

- سأنال منها! اللعنة على هذا! اللعنة على هذا! سترون إن لم أَنَلْ منها! لو وقفنا جميعًا معًا سيُمكِنُنا...

- اخرسي يا كريس. فقط اخرسي.

قالتها سو، وصدمها أن تسمع في صوتها جمودًا بالِغًا مَيِّتًا.

- لم يَنتَهِ هذا...

قالتها كريس هارجنسن وهي تفتح سحَّاب تَنُّورتها بحركة خشنة وتمدُّ يدها لتتناول سروالها الرياضي القصير الأخضر الباهت على الموضة.

- لم يَنتَهِ هذا إلى حد بعيد.

وكانت على حقٍّ.

من "وانفجر الظل..." (ص 61-60)

في رأي هذا الباحث، فإن عددًا كبيرًا جدًّا من الناس الذين بحثوا موضوع كاري وايت -سواء من أجل المجلَّات العلميَّة أو من أجل الصحافة الشعبية- قد أولوا اهتمامًا خاطِئًا للبحث العقيم نسبيًّا عن حوادث تحريك ذهنيٍّ في طفولة الفتاة. ولو أنه تشبيهٌ قاسٍ، إلَّا أن هذا يشبه إنفاق سنوات في البحث عن حوادث الاستمناء الأولى في طفولة مُغتَصِب.

حادثة الحجارة المذهلة تعمل كدليلٍ كاذب من نوعٍ ما في هذا الصَّدَد. لقد تبنَّى كثير من الباحثين ذلك المعتَقَد الخاطئ أنه حيثما كانت هناك حادثة واحدة، فلا بُدَّ من وجود حوادث أخرى. ولنضرب مثلًا آخر؛ يشبه هذا إيفاد فريق من مراقبي النيازك إلى متنزَّه كريتر ناشيونال بارك لأن نَيزَكًا ضرب هذه البقعة منذ مليون عام.

على حَدٍّ علمي، لا توجد أي حالات أخرى مُسجَّلة للتحريك الذهني في طفولة كاري. لو لم تَكُن كاري طِفلَةً وحيدة، فلربَّما كان لدينا على الأقل تقارير إشاعات بالعشرات عن وقائع أخرى أصغر.

في حالة أندريا كولينتز (انظر الملحق II للحصول على تاريخ أكبر) يُقال لنا إنه بعد عَلقَةٍ على الأرداف عقابًا على الزحف فوق سطح البيت: "انفتح باب خزانة الأدوية طائِرًا، وسقطت الزجاجات على الأرض أو بدا أنها تُلقي بنفسها عبر الحمَّام، وانفتحت الأبواب وانصفقت منغلقة، وفي ذروة التجلِّي، سقطت خزانة أشرطة ستيريو على وجهها وتطايَرَت التسجيلات في كافة أنحاء غرفة المعيشة، ساقِطَة كالقنابل على الموجودين ومتحطِّمة عند اصطدامها بالجدران".

الجدير بالذكر، أن هذا التقرير من واحدٍ من أشِقَّاء أندريا، كما ورد في عدد 4 سبتمبر 1955 من مجلة "لايف". وليست مجلة "لايف" بالمصدر الأكثر عِلميَّة أو الذي لا يرقى إليه الشك، لكن هناك مقدارا كبيرا من التوثيق الآخر، وأعتقد أن نقطة الشهادة المألوفة مُغطَّاة.

في حالة كاري وايت، الشاهدة الوحيدة على أي افتتاحية مُحتَمَلَة للأحداث الأخيرة صاحبة الذروة كانت هي مارجريت وايت، وهي -بالطبع- ميتة...

كان هنري جرايل، ناظر مدرسة إيوين الثانوية، يتوقَّع قدومه طوال الأسبوع، لكن والد كريس هارجنسن لم يظهر حتى الجمعة- اليوم التالي على تهرُّب كريس من حصَّة احتجازها مع الآنسة ديسياردن الجبارة.

- نعم يا آنسة فيش؟

تحدَّث بطريقة رسمية في جهاز الاتصال الداخلي، رغم أنه تمكَّن من رؤية الرجل في المكتب الخارجي عبر نافذته، وبالتأكيد كان يعرف وجهه من الصور في الجريدة المحلية.

- چون هارجنسن قادم لرؤيتك يا سيد جرايل.

- أدخليه من فضلك. عليكِ اللعنة يا فيش، أكان يجب عليك أن تبدين بكل هذا الانبهار؟

كان جرايل لديه عادة من المتعذِّر كَبتُها في لَيِّ مشابك الورق وتمزيق المناديل وطي أركان الصفحات. من أجل چون هارجنسن، النبراس القانوني البارز للبلدة، كان قد أعدَّ ذخيرته الثقيلة: علبة كاملة من المشابك شديدة التحمُّل في منتصف مكتبه.

كان هارجنسن رجُلًا طويلًا مُثيرًا للإعجاب لديه طريقة واثِقَة بالنفس في التحرُّك وذلك النوع من الملامح الواثقة المتقلِّبة التي تنبئ بأنه رجُلٌ مُتفوِّق في لعبة التفاعل الاجتماعي الاستباقي.

كان يرتدي بدلة بنية من محلَّات سافيل رو ذات زخارف لامعة دقيقة باللونين الأخضر والذهبي تتخلَّل النسيج، وضعت بدلة جرايل المصنوعة محليًّا في مقارنة مُخزِية. كانت حقيبة أوراقه من جِلدٍ طبيعي رقيق، ومطوَّقة بفولاذ لامع مضادٌ للصدأ. كانت ابتسامته لا شائبة فيها ومليئة بأسنان كثيرة متوَّجة- ابتسامة تجعل قلوب المحلَّفات تذوب مثل الزُّبد في مقلاةٍ دافئة. وكانت قبضته في المصافحة حليفًا أساسيًّا لكل هذا- قوية ودافئة وطويلة.

- سيد جرايل. أرَدتُ أن أقابلك منذ فترة.

- يسعدني دائمًا أن أقابل الآباء المهتمِّين...

قالها جرايل بابتسامةٍ جافَّة.

- لهذا ننظم لقاء بعنوان "بيت الآباء المفتوح" كُلَّ أكتوبر.

- بالطبع.

وابتسم هارجنسن.

- أتصوَّر أنك رجل مشغول، وأنا لا بُدَّ أن أكون في المحكمة بعد خمس وأربعين دقيقة من الآن. هل ندخل في الموضوع؟

- بالتأكيد.

غاصت أصابع جرايل داخل علبة المشابك وبدأت تلوي المشبك الأول.

- أظنُّ أنَّكَ هنا بشأن التصرُّف الانضباطي المُتَّخَذ ضد ابنتك كريستين. ينبغي إبلاغك بأن سياسة المدرسة بشأن الموضوع قد تقرَّرَت. وكرَجُلٍ مُهتَمٍّ بأعمال العدالة أنتَ نفسك؛ ينبغي أن تدرك أن خرق القواعد ليس مُمكِنًا وإلَّا...

أشاح هارجنسن بيده نافِدَ الصبر.

- من الواضح أنك واقِعٌ في أَسْر فِكرَةٍ خاطئة يا سيد جرايل. أنا هنا لأن ابنتي تعرَّضَت لتَعامُلٍ يَدويٍّ خَشِنٍ من جانب مُعلِّمة الألعاب الخاصة بكم، الآنسة ريتا ديسياردن. وأخشى أنها تعرَّضَت لاعتداء لفظي. أعتقد أن الكلمة التي استخدمتها مُعلِّمَتُكم الآنسة ديسياردن فيما يتعلَّق بابنتي كانت "خرائية".

تنهَّد جرايل في داخله وقال:

- لقد تمَّ توجيه اللوم للآنسة ديسياردن.

بردت ابتسامة چون هارجنسن بمقدار ثلاثين درجة.

- أخشى أن اللوم لن يكون كافيًا. أعتقد أن هذا كان العام الأول في مسيرة التدريس للـ.. آه، السيدة الشابة؟

- نعم. وقد وجدناها مُرضِيَة على نحوٍ بارز.

- من الواضح أن تعريفكم لما هو مُرضٍ على نحو بارز يتضمَّن دفع الطالبات للاصطدام بالخزانات والقُدرة على إلقاء الشتائم كالبَحَّارة؟

بادله جرايل الضربة:

- كمحامٍ، لا بُدَّ أنك على معرفة بأن هذه الولاية تعترف للمدرسة بلقب "ولي الأمر"- ومع المسؤولية الكاملة، نحصل على الحقوق الولائية الكامِلَة خلال ساعات الدراسة. إذا لم تكن على معرفة بهذا الكلام، أنصحك بمراجعة قضية **مديرية تعليم مونودوك الموحَّدة** ضد **كرينبول** أو...

- أنا على معرفة بهذا المفهوم. وأنا أيضًا على معرفة بأنه لا قضية كرينبول التي تُغرَمون أيُّها الإداريون بالاستشهاد بها أو قضية فريك تُغطِّي أي شيء يتعلَّق من بعيد بالاعتداء البدني أو اللفظي. ومع ذلك هناك **مديرية التعليم #4** ضد **ديڤيد**. هل أنتَ على معرفة بها؟

كان جرايل على معرفة بها. كان چورچ كرامر، المدير المساعد في المدرسة الثانوية الموحَّدة في ساوث داكوتا 4، لاعب بوكر. ولم يعد چورچ يلعب البوكر كثيراً. كان يعمل في شركة تأمين بعد أن أخذ على عاتقه أن يقصَّ شَعر طالب. في النهاية دفَعَت مديرية التعليم سبعة آلاف دولار تعويضًا عن الأضرار، أو حوالي ألف دولار كحدٍّ أدنى.

بدأ جرايل يلوي مشبكَ وَرقٍ آخر.

- دعنا لا نستشهد بالقضايا ضد أحدنا الآخر يا سيد جرايل. نحن رجلان مشغولان. وأنا لا أريد الكثير من الإزعاج. لا أريد أي فوضى. ابنتي في البيت، وستظلُّ هناك يومَيْ الاثنين والثلاثاء. سيكمل هذا عقوبةَ فَصلِها لثلاثة أيام. هذا لا بأس به.

ثم تلويحة أخرى لا مبالية.

(التَقِطْها يا فيدو... كلبٌ مطيع! ها هي عَظْمَة لطيفة)

وتابع هارجنسن:

- ما أريده هو كالتالي: أوّلًا، تذاكر الحفل الراقص لابنتي. حفل تخرُّج أي فتاة مهمٌّ بالنسبة لها، وكريس قَلِقَة جدًّا. ثانيًا، عدم تجديد عقد تلك المرأة ديسياردن. هذا بالنسبة لي. أعتقد أني لو اهتَمَمتُ بمقاضاة إدارة المدرسة، سأخرج بكلٍّ من قرار فصلها وتعويضٍ كبير عن الأضرار في جيبي. لكني لا أريد أن أكون مُحِبًّا للانتقام.

- إذًا فالمحكمة هي البديل إذا لم أوافق على مطالبك؟

- أفهم أنه سيسبق ذلك جلسة استماع في المدرسة، لكن هذا إجراء رسمي فقط. لكن نعم، ستكون المحكمة هي النتيجة النهائية. وهو شيء مُضِرٌّ لكم.

مشبك ورق آخر.

- بسبب الاعتداء البدني واللفظي، هل هذا صحيح؟

- بشكل أساسي.

- سيد هارجنسن، هل أنتَ على عِلمٍ بأن ابنتك وحوالي عشرة من رفيقاتها ألقين فُوَطًا صِحِّيَّة على فتاة كانت تمرُّ بدورة حيضها الأولى؟ فتاة كانت تحت انطباع أنها تنزف حتى الموت؟

غضَّنَت تقطيبة خفيفة ملامح هارجنسن، كما لو أن أحدًا قد تحدَّث في حُجرَة نائية.

- لا أعتقد حقيقةً أن مثل هذا الادعاء يَمُتُّ بصِلَةٍ للموضوع. أنا أتكلَّم عن أفعال تالية...

- لا تبـالِ. لا تبـالِ بمـا كنـت تتحـدَّث عنـه. هـذه الفتـاة، كاريتـا وايـت، كانـت تنـادَى بــ "العصيـدة البليـدة"، وكان يُقـال لهـا أن "تسـدَّها"، وخضعـت لإيمـاءات بذيئـة عديـدة. لم تحـضر إلى المدرسـة هـذا الأسـبوع عـلى الإطـلاق. هـل يبـدو ذلـك كاعتـداء بـدنيٍّ ولفظـي بالنسـبة لـك؟ فهـو يبـدو كذلـك لي.

- لا أنـوي أن أجلـس هنـا وأسـتمع إلى سلسـلة مـن أنصـاف الحقائـق أو محاضَرَتـك المعتـادة كناظـر مدرسـة يـا سـيد جرايـل. أعـرف ابنتـي جيِّـدًا بمـا يكفـي لأن...

- هنا.

مـدَّ جرايـل يـده داخـل السَّـلَّة المعدنيـة بجـوار الـورق النَّشَّـاف وألقـى بحزمـة مـن البطاقـات الورديـة عـبر المكتـب.

- أشـكُّ كثـيرًا في أنـك تعـرف الابنـة المتمثِّلـة في هـذه البطاقـات نصـف المَعرِفـة الجيـدة التـي تعتقـد أنهـا لديـك. لـو أنَّـكَ كُنـتَ تعرفهـا، لربمـا أدركـتَ أنـه الوقـت المناسـب لأن تنـال عقابًـا. الوقـت الـذي كان يجـب أن تُوبِّخهـا فيـه قبـل أن تتسـبَّب في ضرر كبـيرٍ لشـخص مـا.

- لستَ...

قاطعه جرايل:

- إيويـن، أربـع سـنوات. التَّخـرُّج مُقـرَّرٌ لـه يونيـو 1972؛ الشـهر القـادم. اختبـار مُعـدَّل الـذكاء مـن مائـة وأربعـين. المتوسـط ثلاثـة وثمانـون. ومـع ذلـك، أرى أنـه تَـمَّ قبولهـا في أوبرلـين. أظـنُّ أن أحدهـم -ربمـا أنـت يـا سـيد هارجنسـن- يجـذب بعـض الخيـوط الطويلـة إلى حـدٍّ مـا. أربعـة وسـبعون احتجـازًا مُحـدَّدًا. قـد أضيـف أن عشريـن منهـم كانـوا بسـبب مضايقـة التلاميـذ الأقـل كفـاءة.

العجلات الاحتياطية. أفهم أن عصابة كريس تُسمِّيهم مورتيمر سنيردز. يجدون الأمر مُضحِكًا تمامًا. لقد تهرَّبَت كريس من واحد وخمسين احتجازًا من هذه الاحتجازات المُوَقَّعة. في مدرسة تشامبرلين الإعدادية، قرار فصل لوضعها مُفرقَعَة نارية في حذاء فتاة... تقول الملحوظة المكتوبة في البطاقة أن مَقلَبًا صغيرًا كاد يكلِّف فتاة صغيرة اسمها إيرما سووب إصبعَيْ قَدَم. لدى هذه الفتاة، إيرما، شَفَةٌ أرنبية، كما أفهم. أنا أتحدَّث عن ابنتك يا سيد هارجنسن. هل تفهم من هذا أي شيء؟

- نعم...

قالها هارجنسن وهو ينهض. كانت حُمرَةٌ خفيفة قد خضَّبَت ملامحه.

- أفهم من ذلك أني سأراك في المحكمة. وعندما أنتهي منك، ستكون محظوظًا لو حصلت على وظيفة بيع موسوعات متنقِّلًا من باب لباب.

نهض جرايل أيضًا، غاضِبًا، وواجه الرَّجُلان أحدهما الآخر عبر المكتب. وقال جرايل:

- فلتكن المحكمة إذًا.

لاحظ رفَّةَ دَهشَة خفيفة على وجه هارجنسن، فشبك أصابعه، وتابع فيما أمل أن تكون ضربة قاضية- أو على الأقل ضربة قاضية فنية يمكن أن تحفظ وظيفة ديسياردن وتطرح أرضًا ابن العاهرة ذا المؤخرة الحريرية ذاك.

- من الواضح أنك لم تدرك جميع الآثار المترتِّبة على أهلية ولي الأمر في هذا الموضوع يا سيد هارجنسن. نفس المظلَّة التي تغطي ابنتَك تُغطِّي أيضًا كاري وايت. وفي اللحظة التي ترفع فيها دعوى تعويض عن الأضرار بسبب الاعتداء البدني

واللفظي، سنرفع دعوى مقابلة ضدَّ ابنتك على نفس هذه الأرضية من أجل كاري وايت.

تدلَّى فم هارجنسن مفتوحًا، ثم انغلق.

- لا يمكنك أن تُفلِتَ بحيلَةٍ رخيصة مثل هذه، أيها...

- المحامي المخادع؟ هل هذه هي العبارة التي كنت تبحث عنها؟

ابتسم جرايل ابتسامة كالِحَة وتابع:

- أعتقد أنَّك تعرف طريقك إلى الخارج يا سيد هارجنسن. العقوبات ضدَّ ابنتك قائمة. إذا كنت مُهتمًّا بأخذ الأمر إلى مدى أبعد، فهذا من حَقِّك.

عبر هارجنسن الغرفة مُتصلِّبًا، وتوقَّف قليلًا كما لو أنه سيضيف شيئًا ما، ثم غادر مانِعًا نفسه بالكاد من شعور الرضا الذي كان يمكن أن يحسَّه لو صفق الباب بقوة.

تنفَّس جرايل الصعداء. لم يكن من الصعب تَبيُّن من أين جاءت كريس هارجنسن بعنادها الحرون.

دخل مورتون بعد دقيقة قائِلًا:

- كيف مضى الأمر؟

- سنعرف مع الوقت يا مورتي.

نظر جرايل ماطًّا شفتيه إلى كومة مشابك الورق الملتوية.

- على أي حال استحقَّ سَبعَة مشابك. هذا رقم قياسي نوعًا ما.

- هل سيجعل المسألة دعوى مدنية؟

- لا أعرف. اهتزَّ عندما قلتُ إننا سنرفع دعوى مقابلة.

- أراهن أنه اهتزَّ.

ألقى مورتون نظرة على الهاتف فوق مكتب جرايل.

- حان الوقت لنورِّط المدير في هذا الكيس من القمامة، أليس كذلك؟

- بلى...

قالها جرايل وهو يلتقط سماعة الهاتف.

- الحمد لله لأن تأمين بطالتي مدفوع.

- وأنا كذلك...

قالها مورتون بإخلاص.

من "وانفجر الظل..." (ملحق III):

سلَّمَت كاريتا وايت القصيدة القصيرة التالية كتكليفٍ في مادة الشِّعر في الصف السابع. يقول السيد إدوين كينج، الذي كان يدرس الإنجليزية لكاري في الصف السابع: "لا أعرف لماذا احتفظت بها. هي بالتأكيد لا تلتصق بذهني كتلميذة متفوِّقة، وهذه ليست قصيدةً ممتازة. كانت هادِئةً جدًّا ولا أتذكَّرها أبدًا ترفع يدها حتى ولو مرَّة واحدة في الفصل. لكنَّ شيئًا ما في هذه القصيدة بدا وكأنه يصرخ".

يراقبني يسوع من الجدار
لكنَّ وَجهَه بارِدٌ كالحَجَر
وإذا كان يُحبُّني
كما تخبرني هي
لماذا أشعر بأني وحيدة تمامًا هكذا؟

إطـار الورقـة التـي كُتِبَـت عليهـا هـذه القصيـدة القصـيرة مُزخـرَفٌ بعـدَدٍ كبـير جـدًّا مـن الأشـكال الصليبيَّـة التـي تبـدو وكأنهـا ترقـص...

كان تومـي في تدريـب البيسـبول يـوم الاثنـين بعـد الظهـر، وذهبـت سـو إلى محـلّ كيـلي فـروت كومبـاني في وسـط المدينـة لتنتظـره.

كان كيـلي أقـرب شيء إلى مـزار مدرسـة ثانويـة يمكـن لمجتمع تشـامبرلين مترامـي الأطـراف أن يزهـو بـه منـذ أغلـق المأمـور دويـل المركـز الترفيهـيَّ بعـد حملـة ضخمـة ضـدَّ المُخـدِّرات. كان يُـدار بواسـطة رَجُـلٍ سـمين مُتجهِّـم يُدعَـى هربـرت كيـلي صبـغ شـعره باللـون الأسـود وكان يشـكو دائمًـا مـن أن مُنظِّـم ضربـات القلـب الإلكـتروني الخـاص بـه عـلى وشـك أن يصعقـه بالكهربـاء.

كان المـكان خليطًـا مـن محـلٍّ بقالـة ومتجـر مشروبـات غازيـة ومحطَّـة بنزيـن- كانـت هنـاك مضخَّـة بنزيـن صدئـة ماركـة چينـي في الواجهـة الخارجيـة لم يكلِّـف هربـرت نفسـه عنـاء تغييرهـا عندمـا اندمجـت الشركـة. وكان يبيـع أيضًـا البـيرة والنبيـذ الرخيـص والكتـب القـذرة ومجموعـة واسـعة مـن السـجائر الغامضـة مثـل مـرادز وكينـج سـانو ومارڤـل سـتريتس.

كان متجـر المشروبـات الغازيـة عبـارة عـن لـوح مـن الرخـام الأصـلي، وكانـت هنـاك أربـع أو خمـس مقصـورات مـن أجـل الأولاد الذيـن لديهـم مـا يكفيهـم مـن سـوء الحـظ أو قِلَّـة الأصدقـاء كي لا يجـدوا مكانًـا يذهبـونَ إليـه ويسـكرون أو يتناولـون المخـدرات. ثمـة جهـاز عتيـق للعبـة الكـرة والدبابيـس ينحـرف دائمًـا عنـد الكـرة الثالثـة وتتلعثـم أضـواؤه مُشـتَعِلَة ومنطفئـة في آخـر المـكان بجـوار رفِّ الكُتُـب القـذرة.

عندما دخلت سو رأت كريس هارجنسن على الفور. كانت تجلس في إحدى المقصورات الخلفية. وكان عشيقها الحالي، بيلي نولان، يُطالِع العدد الأخير من بوبيولار ميكانيكس عند رف المجلات. لم تكن تعرف ما الذي تراه فتاة غنيَّة لها شعبية مثل كريس في نولان، الذي كان أشبَهَ بمُسافِرٍ غريب في الزمن قادم من الخمسينيات بشَعرِه المدهون بالزيت وسُترَتِه الجلدية السوداء المرصَّعَة بالسحَّابات، وسيارته الشيفروليه بهديرها الرجراج.

صاحت كريس:

- سو! تعالي!

أومأت سو برأسها ورفعت يدها بالتحية، رغم أن الاشمئزاز تصاعد في حلقها كثعبان ورقي. كان النظر إلى كريس أشبه بالنظر عبر باب موارب إلى مكان جثمت فيه كاري وايت ويداها فوق رأسها. ومن المتوقَّع أنها وجدت رياءها (المتمثِّل في تلويحة اليد والإيماءة) غير مفهوم ومثيراً للغثيان. لماذا لم تستطع أن تكتفي بتجاهلها تمامًا؟

قالت لهربرت:

- روتبير[1] بعشر سِنتات.

كان لدى هربرت روتبير أصلي يُصَبُّ من البرميل، وكان يُقدِّمه في أقداح بلَّوريَّة كبيرة من تسعينيات القرن التاسع عشر. كانت تتطلَّع لتَجَرُّع قدح على مهل أثناء قراءتها لرواية رخيصة وانتظارها لتومي- بالرغم من الضَّرَر الذي يُسبِّبه الروتبير لبشرتها، كانت مُدمِنَةً له. لكنها لم تندهش عندما وجدت أنها فقدت إحساسها بطعم ذلك القدح.

(1) الروتبير مشروب أميركي انبثق من مشروب تقليدي في مجتمعات السُّكَّان الأصليِّين. وهو مشروب غازي حلو، مصنوع غالبًا من العرقسوس. بالرغم من الاسم، إلا أنه عامَّةً غير كحولي، وقد يحوي الكافيين وفقَّاعات الكربونات أو لا، على حسب النوع. وعامَّةً يكتسب رغوةً عند صَبِّه. (المترجم)

تساءلت:

- كيف حال قلبك يا هوبي؟

قال هوبي وهو يكشط الرغوة من سطح مشروب سو بسكّين مائدة ويملأ القدح إلى آخره:

- أنتم أيها الصغار... لا تفهمون أي شيء. لقد شغّلت ماكينة حلاقتي الكهربائية هذا الصباح وتلقّيتُ مائة وعشرة ڤولت عبر مُنظّم ضربات القلب ذاك. أنتم أيها الصغار لا تعرفون ما يعنيه هذا، ألستُ على حقٍّ؟

- لا أظن.

- لا. يُحرِّم يسوع المسيح أن تعرفوا ذلك أصلًا. إلامَ يستطيع قلبي العجوز أن يتحمَّل هذا؟ ستعرفون أيها الصغار كلكم عندما أشتري المزرعة ويُحوِّل حمقى التجديد الحضري هؤلاء المكان إلى موقف انتظار سيارات. هذا كأس بعشرة سنتات.

دفعت قطعة بعشرة سنتات عبر لوح الرخام.

- خمسون مليون ڤولت عبر الصمامات العجوز...

قالها هوبي بصوتٍ كئيب، وأطرق مُحدِّقًا في النتوء الصغير في جيب صدره.

مضت سو وانزلقت بحِرصٍ داخل الجانب الخالي من مقصورة كريس. كانت تبدو جميلةً على نحوٍ استثنائيٍّ، شَعرُها الأسود مرفوع برباط أخضر برسيميٍّ وبلوزتها الضيِّقة القصيرة أبرزت نهديها المتماسِكَيْن النَّاهِضَيْن.

- كيف حالك يا كريس؟

- بخير على نحو زريٍّ...

قالتها كريس بلا مبالاة زائدة بعض الشيء.

- هـل سـمعتِ آخـر الأخبـار؟ أنـا خـارج حفـل التخـرُّج. ومـع ذلـك أراهـن عـلى أن جرايـل الحقـير ذاك سـيفقد وظيفتـه.

كانـت سـو قـد سـمعت آخـر الأخبـار. مثلهـا مثـل جميـع مَـن في مدرسـة إيويـن.

تابعت كريس:

- دادي يقاضيهم...

ثم التفتت ونادت من فوق كتفها:

- بيلي! تعال هنا وقُلْ أهلًا لسو.

ألقـى مجلتـه وسـار الهوينـى، شـابِكًا إبهاميـه داخـل ثنايـا حزامـه الجلـدي، وتدلَّـت أصابعـه بـتراخٍ فـوق الخـاصرة البـارزة لبنطلونـه الچينـز الليڤايـس المشـدود. أحسَّـت سـو بموجـة مـن الـلا واقعيَّـة تجتاحهـا وقاوَمَـت الرغبـة في وضـع يديهـا عـلى وجههـا والقهقهـة بجنـون.

قال بيلي:

- هاي سو...

وانزلـق إلى جـوار كريـس وبـدأ عـلى الفـور في تدليـك كتفهـا. كان وجهه خاليًـا تمامًـا مـن أي تعبـير. لعلَّـه كان يتـذوَّق قطعـة مـن اللحـم البقري.

قالت كريس:

- أعتقـد أننـا سـندمِّر الحفـل عـلى أي حـال عـلى سـبيل الاحتجـاج أو مـا إلى ذلـك.

- هل هذا صحيح؟

كانت سو مفزوعةً على نحو واضح.

ردَّت كريس، صارِفةً النَّظَر عن ذلك:

- لا، لا أعرف.

التوى وجهها فجأةً في تعبير عن غضب مستشيط، حاد ومدهش أشبه بقُمع الإعصار.

- كاري وايت اللعينة تلك! أتمنى أن تأخذ أورادها المقدَّسة اللعينة وتحشو بها مؤخِّرتها مباشرة!

قالت سو:

- ستتجاوزين هذا...

- فقط لو خرجت معي بقيَّتُكنَّ... يا يسوع! لماذا لم تخرجي معي يا سو؟ كان من الممكن لنا أن نقبض عليهم من خصياتهم. لم أتخيَّلكِ قَطُّ كبيدقٍ للمُؤسَّسة.

شعرت سو بوجهها يشتعل سخونة.

- لا أعرف شيئًا عن أي أحد آخر، لكني لم أكن بيدقًا لأحد. لقد تقبَّلتُ العقاب لأني اعتقدتُ أني أستحقُّه. لقد فعلنا شيئًا مُقرِفًا. انتهى الكلام.

- خراء. تلك اللعينة كاري تدور قائِلةً إن الجميع إلَّاها وأمها الغالية سيذهبون إلى الجحيم، وأنتِ ما زال بإمكانك أن تدافعي عنها؟ كان ينبغي أن نأخذ هذه الخِرَق ونحشو بها حلقها.

- طبعًا. نعم. أراك قريبًا يا كريس.

واندفعت خارجة من المقصورة.

كانت كريس هي مَن احمرَّت هذه المرة؛ اندفع الدم إلى وجهها في فورة مفاجئة، كما لو أن غَيمَةً حمراء مرَّت فوق شمس داخلية ما.

- لن تكوني چان دارك هنا! يبدو أني أتذكر أنك كنت ترمين الأشياء مع بقيتنا.

- نعم... لكني توقَّفتُ.

قالتها سو وهي ترتعد.

تعجَّبَت كريس.

- آه، أهكـذا؟ عَجبًـا! نعـم. خُـذي شَرابَـكِ مَعَـكِ. أخـشى أن ألمسـه وأتحـوَّل إلى ذهــب.

لم تأخـذ مشروبهـا معهـا. التفتـت وخرجـت مـا بـين السَّـير والتَّعـثُّر. كان الاضطـراب بداخلهـا هائِـلًا جـدًّا، أكـثر هَـولًا مـع ذلـك مـن أن تبـكي أو تغضـب. كانـت فتـاة مهادنـة، وكان هـذا أول شِـجار تدخـل فيـه، سـواء بدنيًّـا أو لفظيًّـا، منـذ جـذب الضفائـر في المدرسـة الابتدائيـة. وكانـت تلـك هـي المـرة الأولى في حياتهـا التـي تُنـاصر فيهـا بحـماس ناظـر مدرسـة.

وبالطبـع أصابتهـا كريـس في مقتـل، ضربتهـا بالضبـط حيـث كانـت أكـثر ضَعفًـا: أنهـا كانـت مُنافِقَـة، بـدا أنـه ليـس هنـاك مـن سـبيل لتجنُّـب هـذا، وفي العمـق كانـت معرفتهـا -المُغمَـدَة بداخلهـا والكريهـة- بـأن أحـد الأسـباب التـي جعلتهـا تذهـب إلى سـاعة الآنسـة ديسـياردن المليئـة بالتماريـن الرياضيـة والجـري المتعـرِّق حـول أرضيـة الصالـة الرياضيـة لا علاقـة لـه بالنُّبـل. فلـم تكـن لتفـوِّت حفلهـا الربيعـي الأخـير بـأي ثمـن. ولا مقابـل أي شيء.

لم يظهر تومي في أي مكان.

بـدأت تسـير عائِـدةً إلى المدرسـة، ومعدتهـا تتقلَّـص في تعاسـة. ملكـة الجـمال الصغـيرة لنـادي الطالبـات. سـوزي الجـبن بالكريـم. البنـت اللطيفة التـي لا تفعلهـا إلَّا مـع الولـد الـذي تُخطِّـط للـزواج منـه- مـع التغطيـة الملائمـة لملحـق الأحـد بالطبـع. طفـلان. اضربهـما بقسـوة لـو أظهـرا أي علامـات للاسـتقامة: الخـداع أو الشـجار أو رفـض الابتسـام في كل مـرَّة يـصرخ فيهـا قائِـدٌ أسـطوري بكلمـة "ضفـدع" متنمـرًا عـلى أحـد.

حفـل الربيـع الراقـص. الفسـتان الأزرق. طـوق الزهـور محفـوظ طـوال فـترة مـا بعـد الظهـيرة في الثلاجـة. تومـي في سـترة سـهرة بيضـاء، ووشـاح خـصر عريـض، وبنطـال أسـود، وحـذاء أسـود. الآبـاء يلتقطـون الصـور الفوتوغرافيـة لهـما متمَوضِعـيِن بالقـرب مـن أريكـة غرفـة المعيشـة بكامـيرات كـوداك سـتارفلاش وبولارويـد للقطـات العريضـة. ورق الكريـب الهفهـاف يغطـي عـوارض صالـة الألعـاب الرياضيـة الصلبـة. فرقتـان موسـيقيَّتان: واحـدة للـروك، والثانيـة للموسـيقى الناعمـة. لا حاجـة لاسـتخدام عجـلات احتياطيـة. يـا عصابـة مورتيمـر سـنيرد، مـن فضلكـم ابقـوا خارجًـا. مسـموح فقـط بأعضـاء النـادي الريفـي الطموحـين والسُّـكَّان المسـتقبليِّين لمناطـق كلـين كورنـر.

أخيراً جاءت الدموع وبدأت تسيل.

من "وانفجر الظل..." (ص 60):

المقتطـف التـالي مـن رسـالة إلى دونًـا كيلـوج كتبتهـا كريسـتين هارجنسـن. انتقلـت دونًـا مـن تشـامبرلين إلى مدينـة بروفيدنـس في رود آيلانـد، في خريـف عـام 1978. كانـت عـلى مـا يبـدو واحـدة مـن صديقـات كريـس هارجنسـن القليـلات المقرَّبـات وكاتمـة سِرِّهـا. الرسـالة عليهـا ختـم البريـد بتاريـخ 17 مايـو 1979:

"هكـذا أنـا مطـرودة مـن الحفـل الراقـص وأبي الجبـان يقـول إنـه لـن يعطيهـم مـا يسـتحقُّونه. لكنهـم لـن يفلتـوا بذلـك. لا أعـرف بالضبـط مـا سـأفعله حتـى الآن، لكنـي أؤكِّـد لـك أن الجميـع سـينالون مفاجـأةً كبـيرة لعينـة...".

كان اليوم السابع عشر. السابع عشر من مايو. شَطَبَت على اليوم في التقويم المعلَّق في غرفتها بمجرد أن انزلقت داخل ثوب نومها الأبيض الطويل. كانت تشطب على كل يوم بعد أن يمرَّ بقلم أسود ثقيل، وظنَّت أن هذا يُعبِّر عن موقف سيئ جدًّا تجاه الحياة. لم تكن تبالي في الحقيقة. الشيء الوحيد الذي كانت تبالي به فعلًا هو معرفتها بأن ماما ستجعلها تعود إلى المدرسة غدًا وستضطرُّ إلى مواجهتهن جميعًا.

جلست في المقعد الهزَّاز التقليدي (اشترته ودفَعَت ثمنه من حُرِّ مالها) إلى جوار النافذة، وأغلقت عينيها، وكنستهن جميعًا وكل ضجَّة أفكارها الواعية من ذهنها. كان الأمر أشبهَ بكنس الأرضية. ارفعي بساط لا وعيك واكنسي كل القذارة تحته. وداعًا.

فتحت عينيها. نظرت إلى فرشاة الشعر على منضدتها.

التوي

كانت ترفع فرشاة الشَّعر. وكانت ثقيلةً. بدا الأمر أشبه برفع ثِقَلٍ من الحديد بذراعين ضعيفين جدًّا. آه. خخخ.

انزلقت فرشاة الشَّعر إلى حافَّة المنضدة، انزلقت متجاوِزةً النقطة التي كان ينبغي للجاذبية أن تُسقطها عندها، وبعد ذلك تدلَّت، وكأنها مُعلَّقة على خيطٍ غير مرئي. كانت عينا كاري قد انغلقتا حتى صارتا شقَّيْن طوليَّيْن، ونفرت العروق في صدغيها. لعل أي طبيب كان سيغدو مُهتمًّا بما كان يفعله جسدها في تلك اللحظة؛ فلم يكن لهذا أي منطق عقلي. انخفض التنفُّس إلى ستة عشر نفَسًا في الدقيقة. ارتفع ضغط الدم إلى 190/100. صعد نبض القلب إلى 140- أعلى من رُوَّاد الفضاء تحت قوَّة التسارُع الثقيلة لانطلاق المركبة الفضائية. وصلت درجة الحرارة إلى 34.6 درجة مئوية. كان جسدها يحرق طاقةً بدا أنها قادمة من اللا مكان، وبدا أنها ذاهبة إلى اللا مكان. أي رسم

كهربائي للدماغ كان سيُبيِّن موجات ألفا لم تَعُد متموِّجةً على الإطلاق، بل شوكات هائلة مُسنَّنة.

تركت فرشاة الشَّعر تهبط بحرص. جيد. في الليلة الماضية أسقطتها. لو فقَدتِ كل نقاطك، ستذهبين إلى الزنزانة.

أغلقت عينيها مرَّةً أخرى وتأرجحت في المقعد. بدأت الوظائف الجسدية تعود إلى المعدل الطبيعي، تَسارَع تَنفُّسها حتى صارت تلهث تقريبًا. أصدر الكرسي الهزَّاز صريرًا خفيفًا. لكنه لم يكن مُزعِجًا. كان مُهدِّئًا. تأرجحي، تأرجحي. صَفِّي ذِهنَكِ.

- كاري؟

صوت أمها، منزعجٌ قليلًا، طافٍ في الهواء.

(يصيبها التشوُّش مثل الراديو عندما تشغل الخلَّاط في نفس الوقت)

- هل تَلَوتِ صلواتك يا كاري؟

- ها أنا أتلوها.

هتفت لترد عليها.

نعم. كانت تتلوها، حقًّا.

نظَرَت إلى سريرها الصغير.

التوِ.

ثِقَل رهيب. ضخم. غير مُحتَمَل.

ارتعش السَّرير وبعد ذلك ارتفع طرفه ربما ثلاث بوصات.

انحطَّ مُصدِرًا صوتَ ارتطام كبير. انتظرت، وابتسامة صغيرة تتلاعب على شفتيها، أن تنادي ماما بغضب من الطابق العلوي. لم تنادِ؛ لذا نهضت كاري، ومضت إلى سريرها، وانزلقت بين الملاءات الباردة. آلمتها

رأسـها وشـعرت بالـدوار، كـما كانـت تحـسُّ دومًـا بعـد هـذه الجلسـات التدريبيـة. كان قلبهـا يـدقُّ بطريقـة شَرِسَـة مُرعِبَـة.

مـدَّت ذراعهـا، وأطفـأت النـور، وعـادت لتتمـدَّد. بـلا وسـادة. لم تسـمح لهـا مامـا بـأي وسـادة.

فكَّرَت في العفاريت الصغار والأتباع من الجِنِّ والساحرات

(هل أنا ساحرة ماما عاهرة الشيطان)

المنطلقـات في الليـل، جاعـلات اللـبن يحمـض، ومُمَخِّضـات الزُّبـد تنقلـب، والمحاصيـل تصـاب بالآفـات بينـما يحتشـدن في بيوتهـن وعلامـات العرافـة مخربشـة عـلى أبوابهـن.

أغلقــت عينيهــا، ونامــت، وحلمــت بحجــارة حيَّــة هائلــة تتصــادم هابِطـةً في الليـل، باحِثـةً عـن مامـا، باحثـة عنهـن. كـنَّ يحاولـن الجـري، يحاولـن الاختبـاء. لكـن الصخـور لم تكـن لتخبِّئهـن، ولا الشـجرة الميتـة كانـت لتمنحهـن مـأوى.

مـن كتـاب "اسـمي سـوزان سـنيل" بقلـم سـوزان سـنيل (نيويـورك: سـيمون وشوسـتر، 1986) ص i-iv:

هنـاك شيء لم يفهمـه أحـدٌ بشـأن مـا حـدث في تشـامبرلين ليلـة الحفـل الراقـص. لم تفهمـه الصحافـة، لم يفهمـه العلـماء في جامعـة ديـوك، لم يفهمـه ديڤيـد كونجـرس -رغـم أن كتابـه الـذي حمـل عنـوان "وانفجـر الظِّـلُّ" ربمـا يكـون الكتـابَ الوحيـد المعقـول الـذي كُتـب عـن هـذا الموضـوع- وبالتأكيـد لم تفهمـه "لجنـة وايـت" التـي اسـتخدمتني ككبـش فِـداء في المتنـاول.

هذا الشيء هو الحقيقة الأكثر جوهريَّةً: كنَّا أطفالًا.

كانـت كاري في السـابعة عـشرة، وكانـت كريـس هارجنسـن في السـابعة عـشرة، وكنـتُ أنـا في السـابعة عـشرة، وكان تومـي روس في السـابعة عـشر، وبيـلي نـولان (الـذي أنفـق عامًـا يُعيـد فيـه الصـف التاسـع، ربمـا قبـل أن يتعلَّـم كيـف يُشـمِّر عـن سـاعديه خـلال الامتحانـات) كان في التاسـعة عـشرة...

يكـون رَدُّ فِعـل الأطفـال الأكـبر سِـنًّا بطُـرُقٍ مقبولـة اجتماعيًّـا عـلى نحـوٍ أكـثر مـن ردود أفعـال الأطفـال الأصغـر سِـنًّا، لكـن تظـل لديهـم مـع ذلـك طريقـة لاتخـاذ القـرارات السيئة، للتـمادي في ردِّ الفِعـل، لإعطـاء الأشـياء أقـلَّ مـن قدرهـا.

في القسـم الأول الـذي يـلي هـذه المقدِّمـة لا بُـدَّ أن أُبيِّـن هـذه الميـول في شـخصي بقـدر مـا يمكننـي. بَيْـدَ أن المسـألة التـي سأناقشـها هـي في جـذور تورُّطـي في ليلـة الحفـل الراقـص، وإذا كان لي أن أُبـرِّئ اسـمي، لا بُـدَّ أن أبـدأ بتذكُّـر المشـاهد التـي أجدهـا مؤلِمـةً عـلى نحـو خـاص...

لقـد حكيـت هـذه القصـة مـن قبـل عـدَّة مـرات، أشـهرها وأسـوَؤها سُـمعَةً أمـام "لجنـة وايـت"، التـي اسـتقبلتها بارتيـاب. في أعقـاب مائتـي حالـة وفـاة وتدمـير بلـدة بأكملهـا، مـن السـهل للغايـة نسـيان شيء واحـد: أننـا كُنَّـا صغـارًا. كنَّـا صغـارًا. كُنَّـا صغـارًا نحـاول أن نفعـل أفضـل مـا لدينـا...

- لا بُدَّ أنك مجنونة.

رمـش بعينيـه ناظِـرًا إليهـا، غـير راغـب في تصديـق أنـه قـد سـمع كلامها حقًّـا. كانـا في بيتـه، وكان التليفزيـون مفتوحًـا لكـن مَنسـيًّا. كانـت والدتـه

قد خرجت لتزور السيدة كلاين في الجهة المقابلة من الشارع. وكان والده في حُجرَة العمل بالقبو يصنع بيتًا للطيور.

بَدَت سو غير مرتاحة لكنها مُصمِّمة.

- هكذا أريد الأمر يا تومي.

- طيب أنا لا أريده هكذا. أعتقد أنه أكثر شيء مجنون سمعت به في حياتي. كأنه شيء يمكن أن تفعليه برهان.

عبس وجهها.

- آه؟ ظَنَنتُ أنك الشخص الذي كان يلقي خُطَبًا كبيرة تلك الليلة. لكن عندما يأتي الأمر إلى حدٍّ دفع ثمن ما يقوله فمك السمين...

- انتظري، توقَّفي...

لم يكن شاعِرًا بالإهانة، بل كان يبتسم ابتسامة عريضة.

- لم أقُل لا، أليس كذلك؟ ليس بعد، على أي حال.

- أنت...

- انتظري. انتظري فقط. دعيني أتكلم. تريدينني أن أطلب من كاري وايت الذهاب معي إلى حفل الربيع الراقص. طيب. فهمت ذلك. لكن هناك شيئين لا أفهمهما.

- قلهما.

ومالت إلى الأمام.

- أوَّلًا ما فائدة ذلك؟ وثانيًا، ما الذي يجعلك تعتقدين أنها ستقول نعم لو طلبت منها ذلك؟

- لا تقول نعم! لماذا...

تَلَعثَمَت.

- أنت... الكل معجبون بك و...

- كلانا يعلم أن كاري لا تجد سببًا للاهتمام كثيراً بالأشخاص الذين يُعجَب بهم الجميع.

- ستذهب معك.

- لماذا؟

مع تعرُّضها للضَّغط، بَدَت مُتحدِّيَةً ومُتكبِّرة في الآن ذاته.

- لقد رأيت الطريقة التي تنظر بها إليك. إنها مفتونة. مثل نصف البنات في إيوين.

دار بحدقتيه في عينيه. وقالت سو بطريقة دفاعية:

- طيب، أنا فقط أخبرك بأنها لن تكون قادرة على قول لا.

- افترضي أني أصدقك، ماذا عن الشيء الآخر؟

- تقصد ما فائدة ذلك؟ لماذا... سيخرجها هذا من صَدَفتها، بالتأكيد. يجعلها...

وخبا صوتها.

- جزءًا من الأشياء؟ بربِّك يا سوزي. أنت لا تُصدِّقين في هذا الهراء.

- لا بأس، ربما لا أصدق. لكن ربما ما زلتُ أعتقد أن لديَّ شيئًا يجب أن أعوض عنه.

- غرفة الاستحمام؟

- ما هو أكثر بكثير من هذا. ربما لو كان هذا كل شي لأمكنني تجاهله، لكن الحيل الوضيعة كانت مستمرَّةً منذ المدرسة الابتدائية. لم أشترك في كثير منها، لكنني كنت موجودة في

بعضها. ولو كنت في مجموعات كاري، أراهن أني كنتُ سأشترك في المزيد منها. بدا الأمر مثل... آه، مصدر ضحك كبير. يمكن للفتيات أن يَكُنَّ قِطَطًا شَبِقات حيال ذلك النوع من الأشياء، والأولاد لا يفهمون حقًّا. قد يغيظ الأولاد كاري لفترة صغيرة ثم ينسون، لكن الفتيات... استمرَّ الأمر مرة بعد مرة بعد مرة، ولم يَعُد بمقدوري حتى أن أتذكَّر أين بدأ. لو كنت كاري، لما أمكنني حتى أن أواجه فكرة الخروج بنفسي إلى العالم. كنت فقط سأبحث عن صخرة كبيرة وأختبئ تحتها.

- كُنتُنَّ طفلات. طفلات لا يعرفن ما يفعلن. طفلات لا يعرفن حتى أن ردود أفعالهن في الحقيقة تؤذي الآخرين فعليًّا. ليس لديهن أي، هه، شعور بالآخرين. فاهمة؟

وجدت نفسها تكافح كي تعبِّرٌ عن الفكرة التي استدعاها هذا الكلام بداخلها؛ لأنه بدا فجأةً كحقيقة أساسية، تُخيِّم على حادثة غرفة الاستحمام بالطريقة التي تُخيِّم بها السماء على الجبال.

- لكن نادرًا ما يعرف أي أحد أن أفعاله في الحقيقة تؤذي الآخرين فعليًّا! لا يغدو الناس أفضل، هم فقط يصبحون أذكى. وعندما تصبح أذكى لا تتوقَّف عن انتزاع أجنحة الذباب، فقط تفكِّر في أسباب أفضل لفعل ذلك. كثير من الصغار يقولون إنهم يشعرون بالأسف نحو كاري وايت -أغلبهم فتيات، وهذا مِمَّا يثير الضحك- لكن أراهن أن أحدًا منهم لا يفهم كيف هو الحال في أن تكون كاري وايت، في كل لحظة من كل يوم. وهم لا يبالون في الحقيقة.

- هل تبالين؟

- لا أعرف!

صاحت باكيةً.

- لكن يجب أن يحاول شخص ما ويكون آسِفًا بطريقة لها فائدة... بطريقة تعني شيئًا ما.

- لا بأس. سأطلب منها.

- هل ستفعل؟

خرج سؤالها بطريقة مندهشة مُسطَّحَة. لم تكن قد فكَّرت في أنه سيوافق بالفعل.

- نعم. لكني أعتقد أنها ستقول لا. لقد بالغتِ في تقدير جاذبيتي عند شبَّاك التذاكر. هذا الكلام عن الشعبية والجماهيرية هو هراء. لديك هاجس زنَّان في رأسك حول هذا.

- أشكرك.

قالتها، وبَدَت العبارة غريبة، كما لو أنها شكرت مُحقِّقًا على قيامه بالتعذيب. أما هو فقال:

- أحبُّكِ..

نظرت إليه، مذهولة. كانت المرة الأولى التي يقولها لها.

من "اسمي سوزان سنيل" (ص 6):

هناك كثير من الناس -أغلبهم رجال- ليسوا مندهشين لأني طلبت من تومي أن يأخذ كاري إلى حفل الربيع. لكنهم يشعرون بالدهشة من أنه فعلها، وهو ما يبيِّن لكم أن العقل الذَّكَريَّ يتوقَّع أقل القليل من رفاقه فيما يتعلَّق بالإيثار.

قبـل تومـي لأنـه كان يُحبُّنـي ولأن ذلـك كان مـا أردتـه. يسـألني الأخ المتشـكِّك مـن الشرفـة: كيـف عرفـت أنـه يحبـك؟ لأنـه قـال لي ذلـك يـا أسـتاذ. ولـو أنـك كنـت تعرفـه، لـكان هـذا أمـرًا طيِّبًـا بما يكفـي لـك أيضًا...

طلـب منهـا ذلـك يـوم الخميـس، بعـد الغـداء، ووجـد نفسـه متوتـرًا كطفـل يذهـب إلى أول حفـل آيـس كريـم لـه.

جلسـت أمامـه بأربعـة صفـوف في قاعـة درس الحصَّـة الخامسـة، وعندمـا انتهـت شـقَّ طريقـه إليهـا عـبر كتلـة الأجسـاد المتدافعـة. عنـد مكتـب المعلـم كان الأسـتاذ سـتيفنز، وهـو رجـل طويـل بـدأ يتحـوَّل إلى السِّـمنَة قريبًـا، يطـوي أوراقـه شـارِدًا ويعيدهـا داخـل حقيبتـه البنيـة البائسـة.

- كاري؟

- أوهاه؟

تطلَّعَـت رافِعـةً رأسـها مـن فـوق كتبهـا برَجفَـةٍ واجِفَـة، وكأنهـا تتوقَّـع ضربـة مـا. كان النهـار غائِمًـا، وصـف المصابيـح الفلورسـنتية المزروعـة في السـقف لم يكـن طيِّبًـا بشـكل خـاص تجـاه بشرتهـا الشـاحبة. لكنـه رأى لأول مـرة (لأنهـا كانـت أول مـرة ينظـر فيهـا بالفعـل) أنهـا لم تكـن مُنفِّـرةً عـلى الإطـلاق. كان وجههـا مسـتديرًا أكـثر منـه بيضاويًـا، وكانـت عيناهـا شـديدَتَيْ السَّـواد حتـى بدَتَـا وكأنهـما تلقيـان ظِـلالًا أسـفلهما، مثـل الكدمـات. شـعرها أشـقر غامـق، خشـن قليـلا، مشـدود إلى الـوراء في كعكـة لا تناسـبها. شـفتاها ممتلئتـان، شـهوانيَّتان تقريبًـا، وأسـنانها بيضـاء بشـكل طبيعـي. جسـدها في أغلبـه كان غـير مُحـدَّد المعـالم. أخفـت سـترةٌ فضفاضةٌ ثديَيْهـا مـا عـدا نتـوءاتٍ رَمزيَّـة. تنُّورتهـا مُلَوَّنـة لكنهـا فظيعـة رغـم ذلـك: بـدت أقـرب لحاشـية تنُّـورة طويلـة حتـى منتصـف قصبـة السـاق موديـل

1958 في تنُّـورة "إيـه لايـن"[(1)] غريبـة وبائسـة. كانـت سِـمأَنَتَا سـاقَيْها قويَّتَـيْن ومسـتديرتين (وكانـت محاولـة إخفائهـما بجـوارب مُرقَّطـة حتـى الركبـة محاولـة غريبـة وغـير ناجحـة) وجميلتـين.

كانـت تتطلَّـع إليـه بتعبـير مذعـور بعـض الـشيء، وبـه القليـل مـن شيء آخـر. كان متأكِّـدًا إلى حـدٍّ مـا مـن أنـه يعـرف ماهيـة ذلـك الـشيء الآخـر. لقـد كانـت سـو عـلى حـق، وبمـا أنهـا عـلى حـق، كان لديـه الوقـت فقـط ليتسـاءل إن كان هـذا التـصرف يصنـع معروفًـا أم يجعـل الأشـياء أسـوأ حالًا.

- إذا لم يكـن لديـك اتفـاق مـع أحـد للذهـاب إلى الحفـل الراقـص، هـل تريديـن الذهـاب معـي؟

عندئـذ رمشـت بعينيهـا، وعندمـا فعلـت ذلـك، حـدث شيء غريـب. الوقـت الـذي اسـتغرقه في الحـدوث لا يمكـن أن يزيـد عـن جـزء مـن الثانيـة، لكـن بعـد ذلـك لم يجـد تومـي أي مشـكلة في تذكُّـره واسـتحضاره، كـما يفعـل المـرء مـع الأحـلام أو الإحسـاس بوهـم الرؤيـة مـن قبـل. شـعر بـدوار خفيـف كـما لـو أن عقلـه لم يَعُـد يتحكَّـم في جسـده- ذلـك الشـعور البائـس الخـارج عـن السـيطرة الـذي كان يربطـه بالـشرب أكـثر مـن الـلازم وبعـد ذلـك الوصـول إلى حافـة التقيُّـؤ.

ثم مضى ذلك الشيء.

- ماذا؟ ماذا؟

لم تكـن غاضبـة، عـلى الأقـل. كان قـد توقَّـع عاصفـةً قصيرة مـن الغضب وبعدهـا تراجُـع كاسـح. لكنهـا لم تكـن غاضبـة؛ بـل بـدت غـير قـادرة عـلى التعامُـل مـع مـا قالـه عـلى الإطـلاق. كانـا وحدهـما في قاعـة الـدرس الآن، في الفـترة الفاصلـة تمامًـا بـين جَـزْر الطلبـة الكبـار ومَـدِّ الطلبـة الجـدد.

---

(1) تنـورة "إيـه لايـن" موديـل تنُـورة، تكـون ضيقـة عـلى الـورك وتتوسَّـع تدريجيًّـا عـلى شـكل حـرف A، كان كريسـتيان ديـور مَـن ابتـدع تسـمية "إيـه لايـن" في تصميماتـه لأزيـاء هـوت كوتـور لربيـع 1955. (المترجـم)

قال مُهتَزًّا بعض الشيء:

- حفل الربيع الراقص. إنه يوم الجمعة القادم وأعرف أن هذا إشعار متأخِّرٌ، لكن..

- لا أحب أن أُخدَع...

قالتها بهدوء، وأطرقت برأسها. تردَّدَت لثانية واحدة فقط ثم مرَّت متجاوِزةً إيَّاه. توقَّفَت والتفَتَت وفجأة رأى كرامة فيها، شيئًا طبيعيًّا للغاية، حتى أنه ارتاب إن كانت حتى واعية به.

- هل تعتقدون أيها الناس أن بإمكانكم الاستمرار في خداعي إلى الأبد؟ أعرف مَن تخرج معها.

- أنا لا أخرج مع أي أحد لا أريد أن أخرج معه...

قالها بصبر.

- أنا أطلب منك لأني أريد أن أطلب منك.

في النهاية، كان يعرف أن هذه هي الحقيقة. إذا كانت سو تقوم بإيماءة توبة، فهي تفعل ذلك فقط كفعل ثانوي.

كان طَلَبَة الحصَّة السادسة يتوافدون الآن، وبعضهم كانوا يتطلَّعون بفضول. قال دايل أولمان شيئًا ما لولد لا يعرفه تومي وضحك الاثنان ضحكًا مكتومًا.

قال تومي:



- هيا...

وسارا خارجين إلى البهو.

كانا في منتصف الطريق إلى الجناح الرابع -وفصله كان في الناحية الأخرى- يسيران معًا لكن ربما بالصُّدفة المحض، عندما قالت، بصوت أكثر هدوءًا من أن يُسمع:

- كنت سأحب هذا. كنت سأحبُّه.

كان لديه من الفهم ما يكفي لمعرفة أن هذه لم تكن موافقة، ومرة أخرى انتابه الشَّكُّ. ومع ذلك، كان الأمر قد بدأ.

- افعليه إذًا. سيكون الأمر على ما يرام. لكلينا مَعًا. سنرى ما يكون.

- لا...

قالتها، وفي استغراقها المفاجئ في التأمُّل كان من الممكن أن يظنَّ المرء أنها جميلة.

- سيكون كابوسًا.

- ليست لديَّ تذاكر...

قالها كما لو أنه لم يسمع.

- هذا هو آخر يوم يبيعونها فيه.

- إيه يا تومي؟ أنتَ تسير في الاتجاه الخطأ!

صاح به برينت جيليان.

توقَّفَت وقالت:

- ستتأخَّر.

- هل تقبلين؟

- فصلك...

قالتها مضطربة.

- فصلك. سيدقُّ الجرس.

- هل تقبلين؟

- نعم...

قالتها بعجز غاضب.

- أنت كنتَ تعرف أني سأقبل.

ومسحت عينيها بظهر يدها في قوة.

- لا، لكني أعرف الآن. سأمرُّ عليك في السابعة والنصف.

همست:

- طيب. أشكرك.

بدت كما لو أنها قد تفقد الوعي.

وعندئذ، وهو أكثر تردُّدًا من قبل، لمس يدها.

من "وانفجر الظل..." (ص 74-76):

ربما لا يوجد أي جانب آخر من موضوع كاري وايت أُسيء فهمه كثيراً وتعرَّض للنقد اللاحق وتَسَربَل بالغموض كما حدث للدور الذي لعبه توماس إيفريت روسّ، مرافق كاري المنحوس إلى حفل ربيع مدرسة إيوين الثانوية.

في خطابٍ مُثيرٍ باعتراف الجميع إلى "الندوة الوطنية حول الظواهر النفسية" في العام الماضي، قال مورتون كراتشباركن إن الحدثين الأكثر إدهاشًا في القرن العشرين هُما اغتيال چون ف. كينيدي عام 1963 والدمار الذي لحق بتشامبرلين في ولاية مين في مايو من عام 1979. يشير كراتشباركن إلى أن كِلَا الحَدَثَيْن نُقِلَا إلى المواطنين عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية، وكِلَا الحدثين تقريبًا أعلنا بصوتٍ مُدَوٍّ تلك

الحقيقة المخيفة أنه رغم انتهاء شيء ما، فإن شيئًا آخر يكون قد انطلق مُتحرِّكًا على نحوٍ لا رجعة فيه، بغَضِّ النظر إن كان خيرًا أم شَرًّا. لو أمكن عقد المقارنة، فقد لعب توماس روسّ دور لي هارفي أوزوالد- الرجل الذي أطلق الرصاصة الأولى في كارثةٍ ما. يبقى السؤال: هل فعل ذلك عن قصد أم عن غير قصد؟

كان من المفترض أن يقوم توماس بمرافقة سوزان سنيل، باعترافها، إلى الحدث السنوي. وهي تزعم أنها اقترحت على توماس أن يرافق كاري كتعويضٍ عن دورها في حادثة غرفة الاستحمام. المعارضون لهذه القصة، بقيادة چورچ چيروم من هارڤارد مؤخَّرًا، يزعمون أن هذا الكلام إمَّا أن يكون تحريفًا رومانسيًّا شديدًا أو كذبة صريحة. يجادل چيروم بقوة وفصاحة كبيرتين أنه ليس من الطبيعي للمراهقين في عمر المدارس الثانوية أن يشعروا أن عليهم "التوبة" عن أي شيء- خاصةً عن إساءة تجاه قرين جرى نبذه من الجماعات الموجودة.

قال چيروم في عدد حديث من مجلة ذا أتلانتيك الشهرية: "سيكون شيئًا راقيًا أن نصدِّق بأن الطبيعة البشرية المراهقة قادِرَة على نجدة الكبرياء الجريح وصورة الذات لدى الطائر الأدنى في التَّسلسُل الهرمي للهيمنة بمثل هذه الإيماءة، لكننا نعرف أكثر من ذلك. لا يقوم الرفاق برفع الطائر الأدنى من التراب بحنان، بل يتمُّ إعدامه بسرعة ودون رحمة".

چيروم بالطبع على حقٍّ تمامًا -فيما يتعلَّق بالطيور على أي حال- وفصاحته مسؤولة دون شكٍّ غالبًا عن تقدُّم نظرية "المهرج العملي" التي قاربتها "لجنة وايت" لكنها لم تذكر ذلك فعليًّا. تفترض هذه النظرية أن توماس وكريستين هارجنسن (انظر الصفحات من 10 إلى 18) كانا وراء مؤامرة واسعة لاستدراج كاري وايت إلى حفل الربيع، واستكمال إذلالها بمجرَّد وجودها هناك. كما يزعم بعض المُنظِّرين

(أغلبهم كُتَّاب جريمة) أن سو سنيل كانت جزءًا فعَّالًا من هذه المؤامرة. يسلِّط هذا أسوأ ضوء ممكن على السيد روس الغامض، الضوء الساقط على مُهرِّج عَمَليٍّ يحتال عن قصد على فتاة مضطربة ليزجَّ بها في موقف ضغط مفرط.

لا يصدق كاتب هذه السطور أن هذا أمر مُحتَمَل في ضوء شخصية السيد روس. هذا جانب ظلَّ إلى حدٍّ كبير غير مستكشَف من منتقديه، الذين صوَّروه كشخص رياضي بليد بعض الشيء متمركز حول عُصبَته؛ وتعبِّر عبارة "الفارس العبيط" عن هذه الرؤية لتومي روس بشكل نموذجي.

من الصحيح أن توماس كان رياضيًّا ذا قدرة أعلى من المتوسط. وكانت رياضته الأفضل هي البيسبول، وكان عضوًا في فريق مدرسة إيوين منذ عامه الدراسي الثاني. وقد أشار ديك أوكونيل، المدير العام لفريق بوسطن ريد سوكس للبيسبول، إلى أنه كان سيعرض مكافأةً كبيرة إلى حدٍّ ما على توماس مقابل توقيعه لعَقدٍ، لو عاش.

لكن توماس كان طالبًا مُتفوِّقًا يحصل على الدرجات النهائية في جميع المواد (وهو ما لا يتناسب مع صورة "الفارس العبيط") وقال والداه إنه كان قد قرَّر أنه لا بُدَّ من تأجيل احتراف البيسبول حتى ينتهي من دراسته، حيث خطَّط للحصول على درجة علمية في اللغة الإنجليزية. وقد تضمَّنَت اهتماماته كتابةَ الشِّعر، وهناك قصيدة مكتوبة قبل ستة أشهر من موته نُشرت في "مجلة صغيرة" معروفة اسمها **إيڤرليف**. وهي مُتاحة في الملحق V.

يعطيه زملاء فصله الناجون أيضًا درجات عالية، وهذا شيء مهم. لم يكن هناك إلا اثنا عشر ناجيًا ممَّا أصبحت معروفة في الصحافة الشعبية باسم "ليلة الحفل". هؤلاء الذين لم يحضروا كانوا إلى حَدٍّ كبير الأعضاءَ غير المحبوبين في فصول الكبار والصغار. إذا كان هؤلاء

"المنبوذون" يتذكَّرون توماس كشخص وَدودٍ طيب المَعشَر (كثيرون أشاروا إليه بأنه "شيء طيب جدًّا")، ألا تعاني فرضية البروفيسور چيروم وفقًا لذلك؟

إن سِجِلَّات توماس الدراسية -التي لا يمكن وضع صورة ضوئية منها هنا وفقًا لقانون الولاية- عند جمعها مع ذكريات زملاء الفصل وتعليقات الأقارب والجيران والمعلِّمين، تُشكِّل صورة لشابٍّ استثنائي. هذه حقيقة لا تتوافق أبدًا مع صورة بروفيسور چيروم عن شاب فظٍّ خبيث عابِدٍ لأقرانه. من الواضح أنه كان ذا تسامُحٍ كبير كافٍ لأن يتحمل الإساءة اللفظية واستقلالٍ كافٍ عن جماعة أقرانه كي يطلب من كاري مرافقته في المقام الأول. في الحقيقة، يبدو أن توماس روس كان شيئًا نادرًا: شابٌّ لديه وعي اجتماعي.

لا مجال هنا لزعم أنه قِدِّيس. لا يوجد مَن يمكن أن يكون قدِّيسًا. لكن البحث المكثَّف قد أقنعني بأنه لم يكن دجاجة بشرية في ساحة حظيرة مدرسة عامَّة، ينضم دون تفكير إلى حفل إهلاك دجاجة أضعف...

تَمدَّدت

(لستُ خائِفةً لست خائفة منها)

على سريرها بذراع مُلقاة على عينيها. كانت ليلة السبت. لو كان لها أن تصنع الفستان الذي في بالها، يجب أن تبدأ غدًا

(لست خائفة يا ماما)

بحدٍّ أقصى. كانت قد اشترت القماش بالفعل من محل چون في ويستوفر. أخافها ذلك الثراء المخملي الثقيل المجعَّد فيه. أخافها السعر أيضًا، وارتعبت من حجم المكان، والسيدات الأنيقات المتجوِّلات هنا

وهناك بفساتينهن الربيعية الخفيفة، متفحِّصات أثواب القماش. كانت هناك أصداء من الغرابة في الأجواء، وكان المكان عالَمًا بعيدًا تمامًا عن محل تشامبرلين وولوورث، حيث كانت تشتري في العادة قماشها.

ارتعبت لكنها لم تتوقف؛ لأنها، لو أرادت، يمكنها أن تجعلهن يخرجن جميعًا إلى الشوارع صارخات. مانيكانات تتعثَّر، تركيبات إضاءة تسقط، أثواب قماش تطير في الهواء في أسطوانات محلولة. مثل شمشون في المعبد، كان بمقدورها أن تُمطِر الدمار على رؤوسهن لو رغبت في ذلك.

(لست خائفة)

كانت اللفافة مُخبَّأةً الآن على رفٍّ جافٍّ في القبو بالأسفل، وكانت ستأتي بها إلى أعلى. الليلة.

فتحت عينيها.

التوي.

ارتفعت المنضدة في الهواء، ارتعشت للحظة، ثم ارتفعت حتى لامَسَت السَّقف تقريبًا. أنزلتها. رفعتها. أنزلتها. والآن السرير، كامِلًا مع ثِقَلِها. إلى أعلى. إلى أسفل. إلى أعلى. إلى أسفل. بالضبط كما لو كان مصعدًا.

لم تشعر بالتعب إطلاقًا. حسنٌ، قليلًا. ليس كثيرًا. القدرة، التي فقدتها تقريبًا منذ أسبوعين، كانت في كامل ازدهارها. لقد تطوَّرَت بسرعة كانت...

حسنٌ، مُخيفَةً تقريبًا.

والآن، على ما يبدو دون دعوة -مثل معرفتها بالحيض- أتت مجموعة من الذكريات، وكأن سَدًّا ذهنيًّا ما قد انهار حتى تتمكَّن مياه غريبة من الاندفاع إلى الأمام. كانت ذكريات غائمة مشوَّهة لفتاة صغيرة، لكنها حقيقية جدًّا رغم ذلك. جاعلة الصور تتراقص

على الحوائط، فاتِحةً صنابير المياه من الناحية الأخرى للحجرة، وماما تطلب منها

(كاري أغلِقي النوافذ ستمطر)

أن تفعل شيئًا ما وفجأة تنغلق النوافذ مصطفقة في البيت كله، مانِحةً الآنسة ماكافيرتي أربعة إطارات خالية من الهواء فجأة بفكِّ الصمامات في إطارات سيارتها الفولكسفاجن، الحجارة

(!!!!!!! لا لا لا لا لا!!!!!!!)

لكن الآن لم يكن هناك مجال لإنكار الذِّكرى، لم يعد هناك مجال لإنكارها مثلما لا يمكن إنكار الدورة الشهرية، ولم تكن تلك الذِّكرى غائمة، لا، ليست تلك الذكرى؛ كانت قاسِيةً ولامعة، مثل ضربات بَرقٍ مُسنَّنة، الفتاة الصغيرة

(ماما توقَّفي يا ماما لا تفعلي لا أستطيع التنفُّس آه حَلْقي يا ماما أنا آسفة نظرت يا ماما آه لساني الدم في فمي)

الفتاة الصغيرة المسكينة

(تصرخ: أيتها العاهرة الصغيرة آه أعرف ما بك أرى ما يجب أن أفعل)

الفتاة الصغيرة المسكينة متمدِّدة نصفها في الخزانة ونصفها الآخر خارجها، ترى نجومًا سوداء ترقص أمام كل شيء، وثمة طنين عَذْبٌ بعيد، ولسان متورِّم مُتدَلٍّ بين شفتيها، واللحم مخدوش حيث خنقتها ماما، وبعد ذلك تعود ماما، آتِيَةً من أجلها، ماما تمسك بسكين الجزار الطويل الخاص ببابا رالف

(أقطعها يجب أن أقطع الشَّرَّ القذارة خطايا اللحم آه أعرف ذلك العينان أقطع عينيك)

في يدها اليمنى، وجه ماما مُلتَوٍ وعابس، اللعاب على ذقنها، تمسك كتاب بابا رالف المقدَّس في يدها الأخرى

(لن تنظري إلى ذلك الشَّرِّ العاري مرَّةً أخرى)

والتوى شيء ما، لم يلتَوِ، بل ا- **ل-ت-و-ى**، شيء ضخم وبلا هيئة وجبار، ينبوع من القوة لم يكن ملكها الآن ولن يكون مرة أخرى وبعدها سقط شيء على السطح وصرخت ماما وأسقطت كتاب بابا رالف المقدَّس وكان هذا حسنًا، وبعد ذلك المزيد من الخبطات والضربات وبعد ذلك بدأ البيت يلقي أثاثه في كل مكان وأسقطت ماما السكين وجَثَت على رُكبَتَيْها وبدأت تصلي، رافِعةً يديها ومتأرجحة على ركبتيها بينما المقاعد تصفر عبر الصالة والأسِرَّة في الطابق العلوي تنقلب ومنضدة غرفة السفرة تحاول دون جدوى أن تلقي بنفسها من إحدى النوافذ وبعد ذلك اتَّسَعَت عينا ماما وجُنَّتا وجحظتا وإصبعها تشير إلى الفتاة الصغيرة

(إنها أنتِ إنها أنتِ يا نسل الشيطان يا ساحرة يا عفريتة الشيطان إنها أنتِ مَن يفعل ذلك)

وبعد ذلك الحجارة وفَقَدَت ماما الوعي بينما سقفهما يتشقَّق وينبعج كما لو كان بفِعل وَقعِ أقدام الرَّبِّ وبعد ذلك...

بعد ذلك فقدت الوعي هي نفسها. وبعد ذلك لم تَعُد هناك ذكريات أخرى. لم تتحدث ماما عن الأمر. عادت سكين الجزار إلى درجها. ضمَّدَت ماما الكدمات السوداء والزرقاء الكبيرة على عنقها وفكَّرَت كاري أنها تستطيع أن تتذكر سؤالها لماما حول كيف أصيبت بها وماما تغلق شفتيها بإحكام ولا تنطق بشيء. شيئًا فشيئًا نُسي الأمر. لم تكن عين الذكرى تنفتح إلَّا في الأحلام. لم تعد الصور تتراقص على الحوائط. لم تغلق النوافذ نفسها. لم تتذكَّر كاري وقتًا كانت فيه الأمور مختلفة. ليس حتى الآن.

تمدَّدَت على سريرها، ناظِرةً إلى السقف، متعرِّقة.

- كاري! العشاء!

- أشكرك

(لست خائفة)

يا ماما.

نهضت ولمَّت شَعرها بعصابة رأس زرقاء غامقة. ثم هبطت إلى الطابق الأرضي.

من كتاب "وانفجر الظل..." ص (59):

كم كانت "موهبة كاري البرية" واضحة وماذا اعتقدت فيها مارجريت وايت بأخلاقها المسيحية المتطرفة؟ ربما لن نعرف أبدا. لكن يميل المرء إلى الاعتقاد بأن رد فعل السيدة وايت كان متطرفا...

- لم تلمسي فطيرتك يا كاري.

رفعت ماما عينيها عن المنشور الديني الذي كانت تُطالِعُه بينما كانت تشرب شايها ماركة "كونستانت كومنت".

- إنها مصنوعة في البيت.

- تجعلني أُصاب بالبثور يا ماما.

- بثورك هي طريقة الرب في جعلك عفيفةً. والآن كُلي فطيرتك.

- ماما؟

- نعم؟

قالت كاري بسرعة:

- لقد دعاني تومي روس إلى حفل الربيع يوم الجمعة القادم...

نسيت ماما المنشور الديني وأخذت تحدِّق فيها بعينين متَّسِعَتَيْن تقولان إن أذنيَّ تخدعانني. اتَّسع منخراها مثل منخرَيْ حصان سمع الحفيف الجاف لثعبان.

حاوَلَت كاري أن تبتلع غصَّةً وفقط

(أنا لست خائفة آه أنا خائفة)

تخلَّصَت من جزء منها.

- ... وهو ولدٌ لطيف جدًّا. وقد وعد أن يمرَّ ويقابلك قبل ذلك، و...

- لا.

- ... يعيدني قبل الحادية عشرة. لقد...

- لا، لا، لا!

- ... قَبِلتُ. ماما، من فضلك افهمي أني يجب أن أبدأ في... في المحاولة ومسايرة العالم. أنا لست مثلك. أنا مَرِحَة... أقصد الأولاد يظنُّون أني مرحة. لا أريد أن أكون. أريد أن أجرِّب وأكون شخصًا كامِلًا قبل أن يفوت الأوان على...

ألقت السيدة وايت شايها في وجه كاري.

كان فاتِرًا فقط، لكنه لم يكن قادرًا على أن يبتر كلمات كاري على نحوٍ أكثر مباغتة لو كان حارِقًا. جلَسَت مشلولةً، والسائل الكهرماني يتقاطِرُ من ذقنها ووجنتيها على بلوزتها البيضاء، منتشرًا. كان لَزِجًا وفاح برائحة تُشبِه القرفة.

جلست السيدة وايت ترتعش، ووجهها متجمِّدٌ إلَّا منخاراها اللذان ظَلَّا يتسعان. وفجأة ألقت برأسها إلى الخلف وصرخت نحو السقف:

- يا رب! يا رب! يا رب!

وانغلق فكُّها بوحشية مع كل مقطع.

جلست كاري دون حراك.

نهضت السيدة وايت ودارت حول المائدة. كانت يداها ملتويَتَيْن على هيئة مخالب مهتزَّة. وحمل وجهها تعبيراً نصف مجنون فيه مزيج من العطف والكراهية. قالت:

- الخزانة. اذهبي إلى خزانتك وصلِّي.

- لا يا ماما.

- الأولاد. نعم، الأولاد يأتون بعد ذلك. يأتي الأولاد في أثر الدم. مثل كلابٍ تَتشمَّم وتُكشِّر عن أنيابها ويسيل لعابها، محاوِلَةً أن تكتشف من أين تأتي تلك الرائحة. **تلك... الرائحة!**

وأرجحت ذراعها بأكمله واضِعةً كلَّ قُوَّتها في الضربة، وكان صوت كفِّها على وجه كاري

(آه يا إلهي أنا خائفة جدًّا الآن)

أشبه بذلك الصوت العريض لحزام جلدي يُطَرقِع في الهواء. ظلَّت كاري جالسة، رغم أن نصفها العلوي مال متأرجِحًا. كانت العلامة على وجهها بيضاء في البداية، ثم حمراء بلون الدم.

قالت السيدة وايت:

- العلامة...

كانت عيناها مُتَّسِعَتَيْن لكن فارغتين من التَّعبير، وكانت تتنفَّس بسرعة، مُنتَزِعَة جرعات من الهواء. بدا أنها تُحدِّث نفسها عندما هبط المخلب على كتف كاري وانتزعتها من مقعدها.

- لقد رأيتها فعلًا. آه نعم. لكن. أبدًا. فعلت. إلَّا من أجله. هو. أخذ...ني...

توقَّفَت عن الكلام، وشردت عيناها على نحو مُبهَمٍ نحو السقف. كانت كاري مرعوبة. بدا أن ماما تمرُّ بمخاضِ كشفٍ عظيم ما قد يدمِّرها.

- ماما...

- في السيارات. آه، أعرف أين يأخذونك في سيارتهم. حدود المدينة. نُزُل الطريق. الويسكي. يتشمَّمون... **آه يتشمَّمونه فيكِ!**

ارتفع صوتها ليصل إلى الصراخ. نفرت الأوتار في رقبتها، والتوت رأسها في دورَةٍ باحِثَةً صاعِدةً إلى أعلى.

- ماما، من الأفضل أن تتوقَّفي.

بدا أن هذا يعيدها فجأة إلى نوعٍ ما من الواقع الضبابي. التَوَت شفتاها في شكلٍ من الدهشة الأوَّليَّة وتوقَّفَت، كما لو كانت تتحسَّس طريقها نحو اتجاهات قديمة في عالم جديد. تمتمت:

- الخزانة. اذهبي إلى خزانتك وصلِّي.

- لا.

ارتفعت يدها لتضرب.

- لا!

توقَّفَت اليد في الهواء الساكن. حدَّقَت ماما فيها، وكأنها تتأكَّد أنها كانت ما زالت موجودةً، وسليمة.

فجأة ارتفعت صينيَّةُ الفطير من فوق الركيزة على المائدة وارتمت عبر الحُجرَة لترتطم بجوار باب غرفة المعيشة في طرطشة من عصير التوت.

- **سأذهب يا ماما!**

ارتفع فنجان شاي ماما المقلوب وطار إلى جوار رأسها ليتحطَّم أعلى الموقد. صرخت ماما وسقطت على ركبتيها ويداها فوق رأسها. وصاحت متوجِّعةً:

- يا ابنة الشيطان، يا ابنة الشيطان، يا نَسلَ إبليس...

- انهضي يا ماما.

- الشهوة والفِسقُ، رغبات الجسد...

- **انهضي!**

صوت ماما خذلها لكنها نهضت، ويداها ما زالتا فوق رأسها، كأسير حرب. تحرَّكَت شفتاها. بدا لكاري أنها تتلو الصلاة الرَّبَّانيَّة[(1)].

- لا أريد أن أتشاجر معك يا ماما...

قالتها كاري، وتكسر صوتها منها تقريبًا وذاب. جاهَدَت كي تتحكَّم فيه.

- أنا فقط أريد أن أُترك لأعيش حياتي. أنا... أنا لا أحب حياتك.

توقَّفَت، مرعوبة بالرغم من أنفها. لقد نُطِقَ بالكُفر المطلق، وكان أسوأ ألف مرَّة من الكلمة البادئة بحرف f.

همَسَت ماما:

- ساحرة. يقول الرب في كتابه: "لا تدع ساحِرَة تعيش." قام أبوك بعمل الرب...

---

(1) الصلاة الربيَّة أو الرَّبَّانيَّة هي صلاة مسيحية أوصى بها يسوع عندما سأله التلاميذ كيف يُصلُّون، وهي مذكورة في الأناجيل. تُعدُّ الصلاة الربيَّة من أكثر الصلوات المسيحية انتشارًا؛ كونها صلاةً مُعتَمَدَة من كل الكنائس المسيحية. (المترجم)

- لا أريد الحديث عن هذا...

قالتها كاري. كان يُزعِجها دائمًا أن تسمع أمَّها تتحدث عن أبيها.

- أريدك فقط أن تفهمي أن الأمور ستتغيَّر هنا يا ماما.

والتمعت عيناها قبل أن تتابع:

- ومن الأفضل **لهم** أن يفهموا ذلك أيضًا.

لكن كانت ماما تهمس لنفسها من جديد.

ذهبت إلى القبو لتأتي بقماش فستانها، غير راضية، بشعورٍ من خيبة الأمل في حلقها وكَدَر مُقبِض لضيقٍ عاطفيٍّ في جوفها.

كان القبو أفضلَ من الخزانة. صحيح. أي شيء أفضل من الخزانة بمصباحها الأزرق ورائحة العَرَق النَّتِنة الطاغية وخطيئتها هي ذاتها. أي شيء. كل شيء.

وقفت باللفافة مضمومةً إلى صدرها وأغلقت عينيها، مُطفِئَةً الوهج الضعيف لمصباح القبو العاري المُزيَّن بنسيج العنكبوت. تومي روس لا يحبُّها، كانت تعرف ذلك. كان هذا نوعًا غريبًا من التكفير عن الذنب، وكان بمقدورها أن تفهم ذلك وأن تستجيب له. لقد شبَّت مُلتَصِقَة بمفهوم التوبة والكفَّارة منذ بلغت من العمر ما يكفي كي تعي وتعقل الأسباب.

لقد قال إن الأمر سيكون طيِّبًا، أنهما سيريان ما يكون. طيب، سترى ما يكون. من الأفضل لهم ألَّا يبدؤوا في أي شيء. فقط من الأفضل لهم ألَّا يفعلوا ذلك. لم تعرف إن كانت هديتها أتت من إله النور أم الظلام، والآن، بعد أن أدركت أخيرًا أنها لا تبالي أيهما كان المرسل؛ اجتاحتها راحة لا يمكن وصفها تقريبًا، وكأنَّ ثِقَلًا هائِلًا حمَلَته لوقت طويل قد انزلق من فوق كتفيها.

في الطابـق العلـوي، اسـتمرَّت ماما في الهمـس. لم تكـن الصـلاة الربانيـة. كانـت صـلاة طـرد الأرواح الشريـرة مـن سِـفر التثنيـة.

من كتاب "اسمي سوزان سنيل" (ص 23):

مؤخَّـرًا صنعـوا حتـى فيلـمًا عـن الموضـوع. شـاهدته في أبريـل المـاضي. عندمـا خرجـت، كنـتُ أشـعر بالغثيـان. كلـما حـدث أي شيء هـام في أمريـكا، عليهـم أن يضعـوا عليـه قـشرة مـن الذهـب، مثـل حـذاء الرضيـع. بتلـك الطريقـة يمكنـك أن تنسـاه. ونسـيان كاري وايـت قـد يكـون خطـأ أكـبر مـن أن يدركـه أي أحـد...

صبـاح الاثنـين: كان الناظـر جرايـل وبديلـه بيـت مورتـون يتنـاولان القهـوة في مكتـب جرايـل.

- ولا كلمة من هارجنسن حتى الآن؟

تسـاءل مـورتي، وهـو يـزمُّ شـفتيه مُتَّخِـذًا نظـرة چـون وايـن لكنهـا نظـرة خائفـة قليـلًا مـن أطرافهـا.

- ولا همسـة. وقـد توقَّفَـت كريسـتين عـن الجعجعـة حـول كيـف سـيلقي بنـا أبوهـا في الشـارع.

نفخ جرايل سطح قهوته بوجه حزين.

- لا يبدو عليك بالتحديد أنك لاعب أكروبات.

- لسـت كذلـك. هـل عرفـت أن كاري وايـت سـتذهب إلى الحفـل الراقـص؟

رمش مورتي بعينيه.

- مع مَن؟ المنقار؟

كان المنقـار هـو فريـدي هولـت، واحـد آخـر مـن منبـوذي مدرسـة إيويـن. كان يَـزِنُ ربمـا مائـة رطـل تتصبَّـب عَرَقًـا، وقـد يميـل الملاحـظ العـادي إلى الاعتقـاد أن سـتِّين رَطـلًا منهـا عبـارة عـن أنفـه.

- لا، مع تومي روس.

ابتلع مورتي قهوته من الناحية الخطأ ومضى في نوبة سعال. قال جرايل:

- هكذا شعرت.

- وماذا عن فتاته؟ ابنة سنيل الصغيرة؟

- أعتقـد أنهـا مَـن دفعتـه إلى ذلـك. بـدا عليهـا بالتأكيـد الشـعور الـكافي بالذنـب تجـاه مـا حـدث لـكاري عندمـا تحدَّثـتُ إليهـا. وهـي الآن في لجنـة التزيـين، سـعيدة بقـدر مـا هـي هادئـة، وكأنهـا لـن تذهـب إلى حفـل تخرُّجهـا دون أي شيء عـلى الإطـلاق.

- آه...

قالها مورتي بحكمة.

- وهارجنســن... أعتقـد أنـه لا بُـدَّ قـد تحـدث إلى بعـض النـاس واكتشـف أن بمقدورنـا فعـلًا أن نقاضيـه نيابـة عـن كاري وايـت لـو أردنـا ذلـك. أعتقـد أنـه اختـار أن يُقلِّـل خسـائره. لكـن ابنتـه هـي مَـن يقلقنـي.

- هل تعتقد أنه سيكون هناك حادث ما ليلة الجمعة؟

- لا أعـرف. أعـرف بالتأكيـد أن كريـس لديهـا أصدقـاء كثـيرون سـيكونون هنـاك. وهـي تتسـكَّع مـع ذلـك الشـخص الزبالـة بيـلي نـولان؛ ولديـه حديقـة حيوانـات مليئـة مـن الأصدقـاء أيضًـا. مـن

تلك النوعية التي يمكن أن تَمتَهِن إرهاب السيدات الحوامل. لقد ربطته كريس هارجنسن حول إصبعها، ممَّا سمعته.

- هل أنت خائف من أي شيء محدَّد؟

أومأ جرايل بإشارة قلقة.

- مُحدَّد؟ لا. لكني في اللعبة منذ وقت طويل بما يكفي لمعرفة أنه موقف سيِّئ. هل تذكر مباراة ستادلر في عام ستة وسبعين؟

أومأ مورتي برأسه. سيتطلَّب الأمر ما هو أكثر من مرور ثلاث سنوات لطمس ذكرى مباراة إيوين/ ستادلر. كان بروس تريڤور طالبًا هامشيًّا، لكنه لاعب كرة سلَّة مُذهِل. لم يكن المدرب جاينز يحبه، لكن تريڤور كان سيضع إيوين في بطولة المنطقة لأول مرة خلال عشر سنوات. طُرِدَ من الفريق قبل أسبوع من مباراة إيوين الأخيرة ضد فريق ستادلر بوبكاتس، والتي كان لا بُدَّ من الفوز بها. كان تفتيش عادي معلن عنه لخزانات الطلبة قد كشف عن كيلو من الماريجوانا خلف كتاب التربية المدنية الخاص بتريڤور. خسرت إيوين المباراة -وفرصتها في البطولة- بنتيجة 104 مقابل 48. لكن لا أحد يتذكَّر هذا؛ ما كانوا يتذكَّرونه هو الشغب الذي قاطع المباراة في الجولة الرابعة. قاد الشجار بروس تريڤور، الذي زعم عن حقٍّ أنه تلقَّى ضربةً في مؤخرته، ونتج عن ذلك أربع حالات دخول إلى المستشفى. أحدها كان مدرب فريق ستادلر؛ الذي تلقَّى ضربةً على رأسه بصندوق إسعافات أولية.

قال جرايل:

- لديَّ ذلك النوع من الشعور... من الحدس. أحدهم سيأتي بتفاحات عَطِنَة أو بشيء ما.

- ربما أنت وسيطٌ رُوحانيٌّ. قالها مورتي.

من كتاب "وانفجر الظل..." (ص 93-92):

من المُتَّفق عليه الآن بشكل عام أن ظاهرة التحريك الذهني حالة وراثية متنحِّية- لكنها عكس مرض مثل الهيموفيليا، الذي يغدو ظاهرًا في الذكور فقط. في ذلك المرض، الذي سُمِّي سابقًا "شر المَلك"، تتنحَّى الصفة الوراثية في الإناث وتُحمل دون ضرر. لكن النسل من الذُّكور يكونون "نازفين". يتولَّد هذا المرض فقط لو تزوَّج ذَكَرٌ منكوب بامرأة تحمل الصفة الوراثية المُتنحِّية. لو جاء نسل هذا القران ذَكَرًا، ستكون النتيجة ابنًا مُصابًا بالهيموفيليا. ولو كان النسل أنثى، ستكون النتيجة ابنةً حامِلةً للصفة المتنحية. ينبغي التأكيد على أن صفة الهيموفيليا الوراثية يمكن أن تُحمَل بطريقة متنحِّية في الذَّكَر كجزء من بنيته الوراثية. لكن لو تزوَّج من امرأة لديها نفس الصفة الوراثية المحظورة، ستكون النتيجة مرض الهيموفيليا لو كان النَّسَل ذَكَرًا.

في حالة العائلات الملكية، حيث كان الزواج المختلط شائعًا، كانت فرص تكاثُر الصفة الوراثية بمجرَّد أن تدخل شجرة العائلة فُرَصًا كبيرة- ومن هنا جاء اسم شرِّ الملك. ظهرت الهيموفيليا أيضًا بكميات كبيرة في منطقة أبالاشيا شرقي الولايات المتحدة خلال الجزء الأول من هذا القرن، وتُلاحَظ بشكل عام في تلك الثقافات التي يشيع فيها زِنا المحارم والزواج من أبناء العمومة المباشرين.

في ظاهرة التحريك الذهني، يبدو أن الذَّكَر هو الحامل للصفة الوراثية، وقد تكون الصِّفة الوراثية الخاصة بالتحريك الذهني متنحِّيَةً لدى الإناث، لكنها تسود في الإناث فقط. يبدو أن رالف وايت كان يحمل هذا الچين، وبالصدفة البحتة حملت مارجريت بريجهام أيضًا تلك الصفة الچينية المتمردة، لكن يمكننا أن نكون واثقين إلى حدٍّ

ما أنها كانت مُتنحِّيَةً لديها؛ حيث لم نعثر على أي معلومات تشير إلى أنها كانت تمتلك قوى تحريك ذهني تُشابه ما كان لدى ابنتها. وهناك تحريات تجري الآن حول حياة جدَّة مارجريت بريجهام: سادي كوكران؛ لأنه إذا كان النموذج السائد/ المتنحِّي موجودًا مع التحريك الذهني مثلما هو موجود مع الهيموفيليا، فربما كان التحريك الذهني صِفَةً وراثية سائِدةً لدى السيدة كوكران.

لو كان نسل زواج آل وايت ذكَرًا، لكانت النتيجة حامِلًا آخر للصِّفَة. وكانت احتمالات موت هذه الطفرة فيه احتمالات ممتازة، حيث لم يكن لدى أي طرف من طرفَيْ قِران رالف وايت/مارجريت بريجهام بنات عمومة في سِنٍّ مُقارِبٍ لنسلهما الذَّكَريِّ المفترض كي يتزوَّج منهن. واحتمالات أن يلتقي بالصدفة ويتزوَّج من امرأة أخرى لديها چين التحريك الذهني احتمالات ضعيفة. لكن أيًّا من الفرق التي تعمل على هذه المشكلة لم يَقُم بعزل هذا الچين بعد.

بالطبع لا يمكن لأحد أن يتشكَّك، في ضوء حادثة الهولوكوست التي وقعت في ولاية مين، أن عَزلَ هذا الچين لا بُدَّ أن يصبح واحدًا من أوائل الأولويات الطبية. تنتج الهيموفيليا، أو الچين ه، نسلًا ذكَريًّا لديه نقص في الصفائح الدموية. أمَّا التحريك الذهني، أو چين ت. ذ، فينتج إناثًا على شاكلة ماري تيفوئيد[1] قادرات على التدمير كما يَشَأن...

---

(1) ماري مالون الشهيرة باسم ماري تيفوئيد (1869 - 1938) أول امرأة عُرف أنها ناقِلٌ عديم الأعراض للتيفوئيد في الولايات المتحدة. كانت ماري قد شُفِيَت من المرض، لكنها استمرَّت في نشر جرثومة التيفوئيد إلى الآخرين، ونَقَلَت العدوى لنحو 53 شخصًا على الأقل في الفترة 1900 - 1915م، مات منهم ثلاثة. (المترجم)

عصر الأربعاء.

كانت سوزان والطلاب الأربعة عشر الآخرون -لجنة تزيين حفل الربيع الراقص، بالتمام والكمال- يعملون على الجدارية الضخمة التي ستتدلّى خلف المَنَصَّتَيْن التوأمتين للفرقة الموسيقية ليلة الجمعة. كان الموضوع هو وقت الربيع في ڤينيسيا (تساءلت سو عمَّن كان يختار هذه الموضوعات السقيمة. كانت طالبة في إيوين طوال أربعة أعوام، وحضرت حفلَيْن، وما زالت لا تعرف. لماذا كان هذا الشيء اللعين بحاجة لموضوع على أي حال؟ لماذا لا يقيمون حفلَ رقصٍ غير رسمي ويكتفون بذلك؟) كان چورچ تشيزمار، أكثر طُلَّاب إيوين مَوهِبةً في الفن، قد أنجز رسمًا تخطيطيًّا صغيراً بالطباشير لمجموعة من زوارق الجندول في قناة وقت الغروب وقائد جندول يرتدي قبّعة فيدورا ضخمة من القش مائلًا على ذراع الجندول ومجموعة خلّابة من الألوان الوردية والحمراء والبرتقالية تصبغ كُلًّا من السماء والماء. كان رسمًا جميلًا، لا شك في ذلك. وقد أعاد رسمه بخطوط سريعة على قطعة ضخمة مُسطَّحة من الكانفاه مقاسها 14 في 20 قدمًا، مُرقِّمًا الأقسام المختلفة الموافقة لألوان الطباشير المختلفة. والآن كانت اللجنة تُلوِّنها في صبر، مثل أطفال يزحفون على صفحة هائلة في كتاب تلوين عملاق. رغم ذلك، فكَّرَت سو وهي تنظر إلى يديها وساعديها المغبَّرين بالطباشير الوردي على نحو بالغ، سيكون أجملَ حفل تخرُّج على الإطلاق.

إلى جوارها، جلست هيلين شايرز على مؤخِّرتها، وتمطَّت وأنَّت عندما طرقع ظهرها. مسحت لفَّةً من الشعر من ساعدها بظهر يدها، تارِكَةً لطخةً بلون وردي.

- كيف أقنعتيني بالتورُّط في هذا الشيء؟

- تريدينها أن تكون حفلة لطيفة، أليس كذلك؟

كانت سو تُقلِّد الآنسة جير، الرئيسة العانس (وهو الوصف اللائق بدرجة كافية للآنسة أم الشوارب) للجنة التزيين.

- نعم، لكن لماذا لا تكون لجنة المُرطِّبات أو لجنة الترفيه؟ تعب ظَهرٍ أقل، جهد عقليٌّ أكبر. العقل، تلك هي منطقتي. علاوة على ذلك، أنت حتى لن...

وقطعت كلامها.

- لن أذهب؟

هزَّت سوزان كتفيها والتقطت طباشيرها من جديد. كانت تحسُّ بتشنُّجٍ رهيب في أعصاب يدها.

- لا، لكني ما زلت أريدها أن تكون حفلةً لطيفةً.

وأضافت في خجل:

- تومي ذاهب.

عملتا في صمت قليلًا، ثم توقفت هيلين مرة أخرى. لم يكن هناك أحدٌ بالقرب منهما؛ وأقرب شخص كانت هولي مارشال، عند الطرف الآخر من الجدارية، تُلوِّن عارضة الجندول. وأخيرًا تساءَلَت هيلين:

- هل يمكنني سؤالك عن هذا يا سو؟ يا إلهي، الجميع يتحدثون.

- بالتأكيد.

توقَّفَت سو عن التلوين ومطَّت يدها.

- ربما يجب أن أُخبِر شخصًا ما، فقط كي تظلَّ القصة واضحة. طلبت من تومي أن يصطحب كاري. وآمل أن يخرجها هذا من ذاتها قليلًا... أن يُسقط بعض الحواجز. أعتقد أني مدينة لها بهذا القدر.

- وأين يضع هذا بقيتنا؟

تساءلت هيلين بلا ضغينة. هزَّت سو كتفيها وقالت:

- عليك أن تُحدِّدي موقفك تجاه ما فعلناه يا هيلين. لست في وضع مَن يلقي الحجارة على أحد. لكني لا أريد أن يعتقد الناس أني، آه...

- تلعبين دور الشهيد؟

- شيء كهذا.

- ووافق تومي على هذا؟

كان هذا هو الجزء الذي فتنها لأقصى حد.

- نعم.

قالتها سو ولم تسهب. بعد توقُّفٍ قصير تابَعَت:

- أظن أن بقية الشباب يعتقدون أني متغطرسة.

فكَّرَت هيلين مَلِيًّا ثم قالت:

- طيب... كلهم يتحدَّثون عن ذلك. لكن أغلبهم ما زالوا يعتقدون أنك بخير. كما قلتِ، تتَّخذين قراراتك بنفسك. ومع ذلك، هناك فصيل صغير مُعارِض.

وضحكت بلطف.

- شِلَّة كريس هارجنسن؟

- وشِلَّة بيلي نولان. يا إلهي، إنه بشع.

- هي لا تحبُّني كثيراً؟

قالتها سو، بصيغة سؤال.

- سوزي، إنها تكره شجاعتك.

أومأت سوزان برأسها، مندهشة لأن الفكرة أحزنتها وأبهجتها في الآن نفسه. قالت:

- سمعت أن أباها كان سيقاضي إدارة المدرسة ثم غيَّر رأيه.

هزَّت هيلين كتفيها وقالت:

- لم تخرج بأي أصدقاء من هذا. لا أعرف ما يدور بداخلنا، أي منَّا. يجعلني هذا أشعر وكأني لا أعرف حتى ما يدور بعقلي أنا نفسي.

عملتا في صمت. في الناحية الأخرى من الغرفة، كان دون باريت يفرد امتداد سُلَّمٍ معدني استعدادًا لكسوة العوارض الفولاذية العلوية بورق الكريب.

قالت هيلين:

- انظري! ها هي كريس الآن.

رفعت سوزان رأسها في نفس اللحظة لتراها وهي تدخل المكتب الصغير إلى يسار مدخل صالة الألعاب. كانت ترتدي بنطالًا مخمليًّا مُثيرًا نبيذيَّ اللون وبلوزة حريرية بيضاء -بلا حمَّالة صدر؛ من الطريقة التي كانت تترجرج بها الأشياء بصراحة- حلم رجُل عجوز قذر، كما دار بخلد سو في مرارة، وبعد ذلك تساءلت ماذا تريد كريس بالداخل حيث كانت لجنة الحفل قد أقامت متجرًا. بالطبع كانت تينا بليك في هذه اللجنة وكلتاهما صديقتان مقربتان بينهما علاقة وثيقة وأسرار مثل التي بين اللصوص.

توقَّفي عن هذا! وبَّخت نفسها. أتريدينها في ثوب من الخيش ملطَّخة بالرماد؟

نعم، اعترفت بينها وبين نفسها. كان جزءٌ منها يريد هذا بالضبط.

- هيلين؟

- هممم؟
- هل سيفعلون شيئًا؟

اتَّخذ وجه هيلين سَمتًا مُتمنِّعًا أشبه بالقناع.

- لا أعرف.

كان الصوت خفيفًا، مفرط البراءة.

- آه..

قالتها سو بطريقة مستترة.

(أنت تعرفين أنت تعرفين شيئًا: تتقبّلين شيئًا عليه اللعنة لو كنتِ أنتِ فقط قولي لي)

استمرّتا في التلوين، ولم تتحدث أيٌّ منهما. كانت تعرف أن الأمر ليس بخير كما قالت هيلين. لا يمكن أن يكون؛ فهي لن تكون أبدًا تلك الفتاة الذهبية التي كانتها في عيون زميلاتها. لقد أتت بشيء خطير غير قابل للتحكُّم- لقد كسرت الغطاء وكشفت وجهها.

ضوء شمس الأصيل، دافئ كالزيت وعذبَ كالطفولة، مائل عبر نوافذ صالة الألعاب العالية اللامعة.

من كتاب "اسمي سوزان سنيل" (ص 40):

يمكنني تَفهُّم بعض ممَّا أدَّى بالضرورة إلى حادثة الحفل. برغم فظاعة الأمر، يمكنني تفهُّم كيف أمكن لشخص مثل بيلي نولان أن يشارك على سبيل المثال. كانت كريس هارجنسن تسوقه من أنفه- على الأقل، معظم الوقت. وكان أصدقاؤه من السهل قيادهم بنفس

الشكل عن طريق بيلي نفسه. كيني جارسون، الذي انقطع عن المدرسة الثانوية عندما كان في الثامنة عشرة، كان لديه اختبار مستوى في القراءة وهو في الصف الثالث. وبالمنطق الإكلينيكي، كان ستيف ديجهان لا يزيد كثيرًا عن شخص عبيط. وكان لدى بعض الآخرين سجلّات إجرامية في البوليس؛ أحدهم، چاكي تالبوت، جرى ضَبطُه في سِنّ التاسعة وهو يسرق طاسات إطارات السيارات. لو كان لديك عقلية إخصّائي اجتماعي، يمكنك حتى أن تنظر إلى هؤلاء الأشخاص كضحايا بائسين.

لكن ماذا يمكنك أن تقول عن كريس هارجنسن نفسها؟

يبدو لي من البداية إلى النهاية أن هدفها الوحيد والأوحد كان هو التدمير الكامل والتام لكاري وايت....

- ليس مفترَضًا بي...

قالتها تينا بليك في قلق. كانت فتاةً ضئيلة جميلة على رأسها كُتلة من الشَّعر الأحمر، غرست فيها قلمًا رصاصًا لتوحي بأهميتها.

- ولو عادت نورما، ستُفشي الأمر.

قالت كريس:

- هي في الحمَّام، هيا.

قهقهت تينا، المصدومة قليلًا، بالرغم منها. لكنها أبدت مقاومةً رمزيّة.

- لماذا تريدين أن تري على أي حال؟ لا يمكنك الذهاب.

- لا يهم...

قالتها كريس. وكما هو الحال دائمًا بَدَا أنها تطفح بالمزاح الأسود.

- ها هي...

قالتهـا تينـا، ودفعـت ورقـة كبـيرة مغلَّفـة بالبلاسـتيك اللَّـيِّن عـبر المنضـدة.

- سـأخرج لآتي بزجاجـة مـن الكـوكا. إذا عـادت تلـك الحقـيرة نورمـا واطسـون وأمسـكت بـك، فأنـا لم أرَكِ قَـطُّ.

- تمام...

تمتمـت كريـس وهـي منغمسـة بالفعـل في الرسـم الهنـدسي التخطيطي للمـكان، حتـى أنهـا لم تسـمع البـاب وهـو ينغلـق.

كان چـورچ تشـيزمار قـد رسـم أيضًـا مُخطَّـط المـكان؛ لـذا كان نموذجيًـا. كانـت أرضيـة الرقـص مميَّـزة بوضـوح. منصَّتـان توءمـان للفرقة الموسـيقية. المنصَّـة التـي سـيتوَّج عليهـا الملـك والملكة

(أودُّ أن أُتوِّج تلك العاهرة اللعينة كاري أيضًا)

في نهايـة الأمسـية. امتـدَّت طـاولات روَّاد الحفـل مُرتَّبـة بمحـاذاة الجوانـب الثلاثـة للأرضيـة. طـاولات لعـب ورق قابلـة للطـي، في الحقيقـة، لكنهـا مُغطَّـاة بمجموعـة مـن ورق الكريـب والشرائـط، كل واحـدة تضـم هدايـا الحفـل، وبرامـج الحفـل الراقـص، وأوراق اقـتراع عـلى الملـك والملكة.

مـرَّت بظفرهـا المطـلي المقصـوص عـلى شـكل جـاروف مسـتعرضة الطـاولات إلى يمـين أرضيـة الرقـص، ثـم إلى يسـارها. هـا هـما: تومـي ر. وكاري و. كانـا فعـلًا ذاهبـين معًـا. لم يكـن بمقدورهـا أن تصـدق. جعلهـا الغضـب ترتعـش. هـل يعتقـدون فعـلًا أنهـم سيفلتون بهـذا؟ عضَّـت عـلى شـفتيها في تجهـم.

نظرت من فوق كتفها. لم تَلُح نورما واطسون حتى الآن في المكان.

أعـادت كريـس مُخطَّـط الجلـوس وقلَّبـت سريعًـا في بقيـة الأوراق عـلى المكتـب المنقـر والمحفـور بالحـروف الأولى كالنـدوب. فواتـير (أغلبهـا لـورق

الكريب وعلب المسامير)، قائمة بأولياء الأمور الذين أعاروا الحفل طاولات لعب الورق، إيصالات المصروفات النثرية، فاتورة من مطابع ستار برينترز التي طبعت تذاكر الحفل، عينة من أوراق الاقتراع على الملك والملكة...

أوراق اقتراع! خطفتها بسرعة.

لم يكن من المفترض لأي أحد أن يرى ورقة الاقتراع الفعلية على الملك والملكة حتى يوم الجمعة، عندما يسمع الكيان الطلابي كله أسماء المرشحين مُعلَنة من خلال ميكروفون المدرسة الداخلي. ويقوم الحاضرون في الحفل بالتصويت على الملك والملكة، لكن أوراق ترشيح خالية قد وُزِّعَت على الحجرات الداخلية قبل شهر تقريبًا. وكان مُفتَرَضًا بالنتائج أن تكون سرِّيَّةً جدًّا.

كان هناك تَحرُّك طُلَّابي متزايد للاستغناء عن موضوع الملك والملكة بأكمله- حيث زعمت بعض الفتيات أنه موضوع متحيِّز جنسيًّا، واعتقد الأولاد أنه مجرَّد غباء صريح ومُحرج قليلًا. وكانت هناك احتمالات لا بأس بها بأن يكون هذا العام هو الأخير الذي يكون فيه الرقص رسميًّا أو تقليديًّا هكذا.

لكن بالنسبة لكريس، كان هذا هو العام الوحيد الذي يؤخذ في الحسبان. حدَّقت في ورقة الاقتراع بتركيزٍ شَرِه.

چورچ وفريدا. مستحيل. فريدا جيسون يهودية.

بيتر وميرا. مستحيل هنا أيضًا. كانت ميرا واحدة من جماعة الفتيات المناضلات لإلغاء سباق الخيل ذاك بأكمله. ولن تقبل حتى لو جرى انتخابها. إضافة إلى ذلك، كانت تقريبًا في جمال مؤخِّرة حصان الجر العجوز إيثيل.

فرانـك وچيسـيكا. مسـتحيل تقريبًـا. صحيـح أن فرانـك جرايـر صنـع فريـق "أُول نيـو إنجلانـد" لكـرة القـدم هـذا العـام، لكـن چيسـيكا كانـت تافِهـةً أخـرى قليلـة الشـأن كضَرطَـةِ عصفـور، بهـا بثـورٌ أكـثر مـمًّا بهـا مـن عقـل.

دون وهيلـين. انسـوا. لا يمكـن أن يتـم انتخـاب هيلـين شـايرز كصائـدة كلاب ضالَّـة.

والـزوج الأخـير: **تومـي وسـو**. بالطبـع سـو فقـط هـي التـي تـمَّ الشـطب عليهـا، وكُتـب اسـم كاري بـدلًا منهـا. هـذا زوج يمكـن الاعتـماد عليـه! اعتراهـا نـوع مـن الضحـك الغريـب المتقطِّـع، وضربـت بيدهـا عـلى فمهـا لتحبسـه.

هرولت تينا عائدة.

- يا يسوع! كريس، أما زِلتِ هنا؟ إنها قادمة!

- لا تقلقي يا عروسة...

قالتهـا كريـس، وأعـادت الأوراق إلى المكتـب. كانـت مـا زالـت تكتـم ضحكهـا وهـي تسـير خارجـة، متوقِّفـةً لترفـع يـدًا بتحيـة سـاخرة إلى سـو سـنيل، التـي كانـت تُعـذِّب مؤخِّرتهـا الهزيلـة مـن أجـل تلـك الجداريـة الغبيـة.

في الصالـة الخارجيـة، نبشـت حقيبتهـا باحِثـةً عـن قطعـة مـن ذوات العـشر سـنتات، أسـقطتها في هاتـف العملـة، واتَّصَلَـت ببيـلي نـولان.

من كتاب "وانفجر الظل..." (ص 101-100):

يتساءل المرءُ كم استلزم تدمير كاري وايت من تخطيط؟ هل كانت خطة مصنوعة بحرص، جرى التدريب عليها ومراجعتها مرات كثيرة، أم مجرَّد شيء حدث بطريقة مرتبكة؟

... أحبِّذ الفكرة الأخيرة. أشك في أن كريستين هارجنسن كانت هي العقل المحرِّك وراء الموضوع، لكنها هي نفسها كانت لا تملك إلا أكثر الأفكار غموضًا حول كيف يمكن للمرء أن "ينال" من فتاة مثل كاري. أشك بعض الشيء في كونها مَن اقترحت على وليام نولان وأصدقائه القيام بتلك الرحلة إلى مزرعة إروين هينتي في شمال تشامبرلين. إن فكرة النتيجة المتخيَّلة لتلك الرحلة قد تنطبق على إحساس مشوَّهٍ بالعدالة الشِّعرية، أنا متأكِّد...

صرخت السيارة صاعِدةً طريق ستاك إند المتكسر في شمال تشامبرلين بسرعة خمسة وستين كيلو في الساعة، سرعة خطيرة على الحياة وعلى سلامة أعضاء الجسد حين تسير بها فوق التربة غير الممهَّدة المليئة بالأخاديد. ومن وقتٍ لآخر كان غصن مُتدلٍّ مثقَل بأوراق مايو يحتكُّ بسقف السيارة البيسكاين موديل 61، ذات المصدَّات المنبعجة الصَّدِئة، ذات المؤخِّرة المرفوعة، والمزوَّدة بكاتم صوت مزدوج. واحد من الكشَّافَيْن الأماميَّيْن لا يعمل، والآخر كان يُرعش بالضوء في عتمة منتصف الليل عندما ارتطمت السيارة بمطبٍّ خَشِن للغاية.

كان بيلي نولان جالسًا خلف عجلة القيادة الوردية المغطَّاة بالزغب، وكان ڇاكي تالبوت وهنري بليك وستيڤ ديجهان والأخوان جارسون: كيني ولُو، محشورين في السيارة أيضًا. ثلاث سجائر ملفوفة

كان يجـري تبادُلهـا، وتمـرَّر في الظـلام كعيـونٍ لامعـة لكلـب سـيربيروس[1] دوَّار. تسـاءل هـنري:

- هـل أنـت متأكِّـد أن هينتـي ليـس في الجـوار؟ ليـس لـديَّ رغبـة في الانزعـاج يـا وليـام يـا حبيبـي. هـم يخدعونـك ويطعمونـك الخـراء.

كينـي جارسـون، الـذي كان مسـطولًا تمامًـا، وجـد هـذا الحديـث ظريفًـا بشـكل لا يوصـف وأطلـق دفقـةً مـن القهقهـات العاليـة.

قال بيلي:

- هو ليس في الجوار. جنازة.

حتـى هــذه الكلــمات القليلــة بــدت وكأنهــا تنفلــت عــلى مَضَــضٍ بالرغــم منــه.

كانـت كريـس قـد اكتشـفت هـذا الموضـوع بالصُّدفـة. هينتـي العجـوز يديـر واحـدةً مـن المـزارع المسـتقلَّة القليلـة الناجحـة في منطقة تشـامبرلين. عـلى عكـس الفـلاح العجـوز غريـب الأطـوار وصاحـب القلـب الذهبـي الـذي يُعـدُّ واحـدًا مـن الثيـمات الأساسـية في الأدب الرعـوي، كان هينتـي العجـوز وضيعًـا كغائـط قِـطٍّ. لم يكـن يلقـم بندقيـة صيـده بالملـح الصخري في أوان التُّفَّـاح الأخـضر، لكـن بالخرطـوش. وقـد لاحـق أيضًـا العديـد مـن الرفــاق بالقضايــا مُتَّهِــمًا إيَّاهــم باختــلاس أشــياء تافهــة. أحدهــم كان صديقًـا لهـؤلاء الأولاد، وغـد منحـوس اسـمه فريـدي أوفرلـوك. قُبـض عـلى فريـدي متلبِّسًـا بجريمتـه في حظـيرة دجـاج العجـوز هينتـي، وتلقَّـى جرعـة مضاعفـة مـن خرطـوش عيـار سـتة أسـفل ردفَيْـه، في ذلـك المـكان الـذي شـقَّه الـرب الرحيـم. قـضى فريـدي الطيـب أربـع سـاعات هاذيًـا لاعِنًـا ممـدَّدًا عـلى بطنـه في حجـرة فحـص بجنـاح الطـوارئ بينـما كان طبيـبٌ

(1) في الأسـاطير اليونانيـة والرومانيـة، هـو كلـب حراسـة متوحِّـش ذو ثلاثـة رؤوس يحـرس بـاب العـالم السُّـفلي، أو مثـوى الأمـوات، ويتألَّـف شَـعرُ عُنُقـه أو ذيلـه مـن الأفاعـي. (المترجـم)

مَـرِحٌ تحـت التمريـن يلتقـط الكُرَيـات الضئيلـة مـن مؤخِّرتـه ويلقـي بهـا في وعـاء معـدني. وكي يزيـد الطـين بلَّـةً، غُـرِّم مائتـا دولار عـن قيامـه بالسرقـة والتعـدِّي. لم تكـن هنـاك مَـوَدَّة بـين إيرويـن هينتـي وشِـلَّة شـباب تشـامبرلين.

تساءل ستيف:

- ماذا عن ريد؟

- يحاول أن يقيم علاقة مع نادلة جديدة في الكافاليه...

قالهـا بيـلي، وهـو يديـر عجلـة القيـادة ويدفـع البيسـكاين عـبر انحرافـة سريعـة مُرتجَّـة ويصعـد عـلى طريـق هينتـي. كان ريـد تريلـوني هـو العامـل الأجـير لـدى هينتـي العجـوز، وكان سِـكِّيرًا ثقيـلًا وبارِعًـا في اسـتخدام الخرطـوش تمامًـا مثـل صاحـب عملـه.

- لن يعود قبل أن يغلقوا المكان.

- يا لها من مخاطرة من أجل مقلب!

زمجر چاكي تالبوت وهو يقولها. قال بيلي بصرامة:

- أتريد الخروج؟

- لا... لا.

قالهـا چـاكي بسرعـة. كان بيـلي قـد أتى بأوقيَّـة مـن الحشـيش الجيِّـد ليقسـمها بينهـم هـم الخمسـة- وبالإضافـة إلى ذلـك، كانـت هنـاك تسـعة أميـال هـي طريـق العـودة إلى البلـدة.

- إنه مقلب جيِّد يا بيلي.

فتـح كينـي صنـدوق التابلـوه، وأخـرج ماسْـكًا معدنيًّـا مُزَخرفًـا (يخـصُّ كريـس) وثبَّـت عقـب السـيجارة الملفوفـة الخامـد فيـه. بـدت لـه هـذه العمليـة مُسـلِّية بشـدَّة، وأطلـق قهقهتـه العاليـة مـرة أخـرى.

كانـوا الآن يمـرون في سرعـة خاطفـة بلافتـات "ممنـوع التعـدِّي" عـلى جانِبَـي الطريـق، وأسـلاك شـائكة، وحقـول معزوقـة حديثًـا. كانـت رائحـة الـتراب الطـازج ثقيلـة ومتخمـة وعذبـة في هـواء مايـو الدافـئ.

أطفـأ بيـلي الكشـاف الأمامـي عندمـا اقتربـوا مـن التـل التـالي، ووضـع ذراع نقـل السرعـات في الوضـع المحايـد وأخمـد زِرَّ التشـغيل. تدحرجـت السـيارة بهـم، كسـفينة معدنيـة صامتـة، نحـو الـدرب الخـاص بهينتـي.

عـبر بيـلي المنعطـف دون مشـاكل، وتناقصـت سرعتهـم وهـم يعـبرون مرتَفَعًـا آخـر صغـيراً ويمـرُّون بالمنـزل المظلم والخـالي. وصـار الآن بمقدورهم أن يـروا الكتلـة الضخمـة للحظـيرة وخلفهـا كان ضـوء القمـر يلتمـع كـما في الحلـم عـلى بِركـة البقـر وبسـتان التفـاح.

في زريبـة الخنازيـر، دفعـت خنزيرتـان خطميهـما المسـطَّح عـبر القضبـان. وفي الحظـيرة، خـارت بقـرة بنعومـة، ربمـا أثنـاء نومهـا.

أوقـف بيـلي السـيارة بمكبـح الطـوارئ -لم يكـن هـذا ضروريًّـا في الحقيقـة بمـا أن زِرَّ الإشـعال كان مُطفَـأً، لكنهـا كانـت لمسـة لطيفـة مـن قائـد مغـوار- وخرجـوا.

مـدَّ لـو جارسـون ذراعـه متجـاوزًا كينـي وأخـرج شـيئًا مـن صنـدوق التابلـوه. دار بيـلي وهـنري حـول السـيارة وفتحـا صندوقهـا الخلفـي.

قال ستيف في مرح خفيض الصوت:

- سيتغوَّط الوغد في مكانه عندما يعود ويلقي نظرة...

- من أجل فريدي...

قالها هنري، وهو يُخرِجُ المطرقَةَ من صندوق السيارة.

لم يَقُـل بيـلي شـيئًا، لكـن بالطبـع لم يكـن الأمـر مـن أجـل فريـدي أوفرلـوك، الـذي كان وغـدًا أحمـق. كان مـن أجـل كريـس هارجنسـن، تمامًـا

كما هو كل شيء من أجل كريس، وكما كان دائمًا منذ اليوم الذي نزلت فيه من مسارها الدراسي الشامخ كجبل الأوليمب وجعلت نفسها مُتاحةً له. كان يمكن أن يقتل من أجلها، وأكثر من ذلك.

كان هنري يؤرجح المطرقة ذات التسعة أرطال مُختَبِراً إيَّاها بِيَدٍ واحدة. أصدرت الكتلة الثقيلة لطرفها الوظيفي صوت فحيح مُنذِرٍ في هواء الليل، وتجمَّع بقية الفتيان بينما كان بيلي يفتح غطاء صندوق الثلج ويخرج الدلوين المصنوعين من الصلب المُجلفَن. كان ملمسهما باردًا يبعث الخَدَرَ في أطراف الأصابع، وعليهما آثار خفيف من بلورات الثلج.

قال: تمام.

ساروا هم الستَّة بسرعة إلى زريبة الخنازير، وأنفاسهم تتسارع من الإثارة. كانت الخنزيرتان أليفتين كقطتين مُخطَّطَتَيْن، ورقد الخنزير العجوز على جانبه في الطرف الآخر. أرجح هنري المطرقة مرة أخرى في الهواء، لكن هذه المرة بدون عزم ثابت. ثم أعطاها إلى بيلي. وقال بصوت سقيم:

- لا أستطيع... فلتفعلها أنت.

تناولها بيلي ونظر مُستَفهِمًا إلى لُو الذي كان يمسك بسكين الجزار العريض الذي أخذه من صندوق التابلوه.

- لا تقلق.

قالها، ومسَّ بطرف إبهامه حافَّة النَّصل المسنونة. قال بيلي مُذكِّرًا:

- الحلق...

- أعرف.

كان كيني يدندن ويبتسم ابتسامة عريضة وهو يُطعِم الخنزيرتين بقايا كيس مُجعَّد من رقائق البطاطس:

- لا تقلقوا يا خنازيري، لا تقلقوا، سيُهشِّم بيل الكبير رؤوسكم ولن يكون عليكم أن تقلقوا بعد الآن بشأن القنبلة[1].

هرش ذقنيهما الشائكتين، ونخرت الخنزيرتان ومضغتا في رضا.

- ها هي الضربة قادمة...

قالها بيلي وومضت المطرقة هابِطةً.

خرج صوتٌ ذكَّره بالمرة التي أسقط فيها هو وهنري يقطينةً على معبر كلاريدج رود الذي يتقاطع مع طريق 495 غرب البلدة. سقطت إحدى الخنزيرتين ميِّتةً ولسانها بارز، وعيناها ما زالتا مفتوحتين، وفتات رقائق البطاطس حول خطمها.

قهقه كيني:

- لم يتسنَّ لها الوقت حتى لأن تتجشَّأ.

قال بيلي:

- أنْجِزْ الأمر بسرعة يا لو...

انسلَّ شقيق كيني بين قوائم الخشب، ورفع رأس الخنزيرة نحو القمر -رَنَت العينان اللامعتان نحو الهلال بخواء شارد- وذبحها.

كان اندفاق الدم فوريًّا ومُباغِتًا. تناثر العديد من الفتيان وقفزوا متراجعين مع صرخات اشمئزاز مكتومة.

---

(1) إشارة غالِبًا إلى عنوان فيلم المخرج ستانلي كوبريك: د. سترينجلوف أو كيف تعلَّمتُ أن أتوقَّف عن القلق وأحب القنبلة. (المترجم)

مال بيلي من خلال العوارض ووضع أحد الدلوَيْن تحت كتلة الدم المتدفِّق. امتلأ الدلو بسرعة، ووضعه جانبًا. امتلأ الثاني حتى منتصفه عندما صار الدَّفقُ قَطرًا وانقطع.

قال:

- الأخرى...

قال چاكي منتحبًا:

- يا يسوع! بيلي، أليس هذا كا...

- الأخرى...

كرّرها بيلي.

هتف كيني مُكشِّرًا عن أسنانه ومُخَشخِشًا بكيس رقائق البطاطس الخالي:

- هيا هيا تعالي يا خنزيرتي...

بعد لحظة صمت، عادت الخنزيرة إلى السياج. ومضت المطرقة. امتلأ الدَّلو الثاني وتدفَّق باقي الدم لتتشربه الأرض. علَقَت في الهواء رائحة نحاسية زَنِخة. اكتشف بيلي أنه مُلطَّخ بدم الخنزيرتين إلى الساعدين.

أثناء عودته إلى صندوق السيارة حامِلًا الدلوين، أقام عقله رابطة قاتمة رمزية. دم الخنزيرة. كان هذا جيِّدًا. كانت كريس على حقٍّ. كان هذا جيِّدًا فعلًا. لقد جعل كل شيء يتماسك.

دم الخنزيرة من أجل خنزيرة.

أودع الدلوَيْن المصنوعين من الصلب المجلفن داخل الثلج المجروش، وغطّاهما، وأغلق غطاء الصندوق بقوة. وقال:

- هيا نرحل.

جلس بيلي خلف عجلة القيادة وأراح مكبح الطوارئ. وقف الفتية الخمسة خلف السيارة، ودفعوها بأكتافهم، ودارت السيارة في دائرة ضيقة دون صوت ومضت مدفوعةً بجوار الحظيرة إلى قِمَّة التل أمام بيت هينتي.

وعندما بدأت السيارة تتدحرج وحدها، هرولوا إلى جوار الأبواب ودخلوا، لاهثين ونافخين.

اكتسبت السيارة سرعة كافية لأن تنحرف قليلًا بينما كان بيلي يدفعها إلى الخروج من الدرب الطويل لاعتلاء طريق هينتي رود. أسفل التل وضع جهاز نقل السرعة على الثالث ورفع قضيب التعشيق بسرعة. ارتجَّ المحرِّك ونخر عائِدًا إلى الحياة.

دم الخنزيرة من أجل خنزيرة. نعم، كان هذا جيِّدًا، لا بأس. كان هذا جيدًا فعلًا. ابتسم، وأحسَّ لو جارسون برجفة دهشة وخوف. لم يكن واثقًا إن كان بإمكانه أن يتذكَّر رؤية بيلي نولان يبتسم من قبل. حتى لم تكن هناك شائعات حول هذا.

تساءل ستيڤ:

- جنازة مَن تلك التي ذهب إليها هينتي العجوز؟

- جنازة أمه...

أجابه بيلي. وقال چاكي تالبوت مشدوهًا:

- أمه؟ يا يسوع المسيح! لا بُدَّ أنها أكبر سِنًّا من الرب.

دوَّت قهقهة كيني العالية منجرفة في الظلام العَبِق الذي ماج واضطرب مع بداية الصيف.

الجزء الثاني

ليلة الحفل

ارتـدت الفسـتان لأول مـرة صبيحـةَ يـوم 27 مايـو، في غرفتهـا. كانـت قد اشـترت حمَّالـة صَـدرٍ خاصَّـة تليـق بـه، منحـت نهديهـا الارتفـاع الملائـم (لا يعنـي هـذا أنهـا في حاجـة فِعليَّـة إليهـا) لكنهـا تركـت نصفيهـما العلـوي مكشـوفًا. منحهـا ارتداؤهـا لهـذه الحمَّالـة شـعورًا غريبًـا حالمًـا، نصفـه خجـل ونصفـه إثـارة متحدِّيـة.

كان الفسـتان نفسـه يصـل طولـه إلى الأرض تقريبًـا. التنُّـورة واسـعة، لكـن الخـصر كان مُحكـمًا، والقـماش ناعـم وغـير مألـوف عـلى جلدهـا، الـذي كان مُعتـادًا عـلى القطـن والصـوف فقـط.

بـدت طريقـة انسـداله لائِقـةً- أو سـتكون هكـذا مـع الحـذاء الجديـد. وضعـت قدميهـا فيـه، وضبطـت فتحـة الفسـتان، ومضـت إلى النافـذة. لم يكـن بمقدورهـا إلا أن تـرى صـورة شَـبَحيَّةً مُزعِجـة منهـا، لكـن بـدا كل شيء بخـير. ربمـا لاحِقًـا يمكنهـا...

انفتح الباب متأرجحًا وراءها وأصدر مِزلاجُه طَرقَعةً خَفيفةً فقط، والتفتت كاري لتنظر إلى أمِّها.

كانت في ثياب العمل، مُرتَديةً سُترتها البيضاء وممسكة بحقيبة يدها السوداء في يد، وفي الأخرى كتاب بابا رالف المقدَّس.

نظرت إحداهما إلى الأخرى.

دون أن تعي بذلك تقريبًا، أحسَّت كاري بظهرها يستقيم إلى أن وقفت منتصبةً في بقعة نور الشمس الربيعي المبكِّر الذي سقط عبر النافذة. تمتمت ماما:

- أحمر! كان يجب أن أعرف أنه سيكون أحمر.

لم تَقُل كاري شيئًا.

- يمكنني أن أرى وسادَتَيْكِ الوسختين. وسيراهما الجميع. سينظرون إلى جسدك. يقول الكتاب...

- إنهما ثدياي يا ماما. كل امرأة لديها مثلهما.

- اخلعي هذا الفستان.

- لا.

- اخلعيه يا كاري. سننزل ونحرقه معًا في الموقد، وبعد ذلك نُصلِّي طَلَبًا للمغفرة. سنقدِّم كفَّارة.

بدأت عيناها تلتمعان بذلك الحماس الغريب المفكَّك الذي يعتريها في المناسبات التي كانت تعتبرها اختبارات للإيمان.

- سأتغيَّب عن العمل وأبقى في البيت وستتغيَّبين عن المدرسة وتبقين في البيت. سنصلي. سنطلب إشارة. سنركع ونطلب رؤية النار المقدسة.

- لا يا ماما.

رفعت أمها ذراعها وقرصت وجهها. تركت القرصة علامة حمراء. نظرت إلى كاري منتظرةً رَدَّ فِعلها، ولما لم ترَ شيئًا عقفت أصابع يدها اليمنى كالمخالب وأنشبتها في وجنتها، لتسيل خطوط رفيعة من الدماء. انتحبت وتأرجحت على كعبيها. توهَّجَت عيناها بالنشوة.

- توقَّفي عن إلحاق الأذى بنفسك يا ماما. لن يجعلني هذا أتوقَّف كذلك.

صرخت ماما. كوَّرَت يدها اليمنى وضربت بقبضتها فمها، لتدميه. غمست أصابعها في الدم، ونظرت إليه نظرةً حالِمةً، ولطَّخت غلاف الكتاب المقدس ببُقعَةٍ منه. ثم همست:

- مغسولٌ بدم الحَمَل. مرَّات كثيرة. مرَّات كثيرة هو وأنا...

- اخرجي يا ماما.

تطلَّعَت إلى كاري، بعينين متوهِّجَتَيْن. انحفر على وجهها تعبيرٌ مُريع من الغضب الوَرِع. وهمست:

- لا يسخر أحدٌ من المولى. تأكَّدي أن خطيئتك ستعثر عليك. احرقيه يا كاري! ألقي حُمرَةَ الشيطان تلك عنك واحرقيه! احرقيه! احرقيه! **احرقيه!**

انفتح الباب مُنصَفِقًا وحده.

- اخرجي يا ماما.

ابتسمت ماما. ابتسامةً جعلها فمها الدامي تبدو غريبةً شائهةً. وقالت:

- كما سقطت إيزابل[1] من البرج، فليكن مصيرك مصيرها. وجاءت الكلاب ولحست الدم... إنه في الكتاب المقدَّس! إنه...

(1) إيزابل هي زوجة الملك آخاب ملك إسرائيل، حسب الكتاب المقدَّس نشَرَت إيزابل عبادة

بـدأت قدماهـا تنزلقـان عـلى البـلاط وأطرقـت ناظِـرةً إليهـما في حـيرة. لعـلَّ الخشـب قـد اسـتحال جليـدًا. صرخـت:

- أوقفي هذا!

كانـت في الصالـة الآن. أمسـكت بعضـادة البـاب وتشـبَّثَت بهـا للحظـة، ثـم انفلتـت أصابعهـا، ظاهريًـا دون سـبب.

قالت كاري بثبات:

- أحبُّكِ يا ماما. أنا آسفة.

تخيَّلَـت البـاب يتأرجـح مُنغَلِقًـا، وفعـل البـاب هـذا بالضبـط، كـما لـو أنـه تحـرَّك بفعـل نسـيم خفيـف. وبحـرص؛ حتـى لا تؤذيهـا، سـحبت اليديـن الذهنيتـين اللتـين دفعـت أمهـا بهـما.

بعـد لحظـة، كانـت مارجريـت تـدقُّ البـاب بقـوة. أبقتـه كاري منغلقًـا، وشـفتاها ترتعـدان. كانـت مارجريـت وايـت تهـذي قائلـة:

- سيكون هناك حساب! وأنا أغسل يدي منه! لقد حاولت!

- قالها بيلاطس[1]...

ابتعَـدت أمهـا. وبعـد دقيقـة رأتهـا كاري تسـير عـلى الممـشى وتعـبر الشـارع في طريقهـا إلى العمـل.

البعـل في مملكـة إسرائيـل الشـمالية، كـما أنهـا دبَّـرَت مكيـدةً لقتـل نابـوت وهـو صاحـب كَـرْم بالقـرب مـن قـصر الملـك آخـاب أراد أن يشـتريه آخـاب منـه بعـد أن اتهمتـه زورًا بالتجديـف ضـد اللـه والملـك، فقـام الشـيوخ برجـم نابـوت، واسـتولى آخـاب عـلى كَـرْم نابـوت، ليرسـل لهـا اللـه النبـي إيليـا حيـث تنبَّـأ بـأن الـكلاب سـتأكل إيزابـل في نفـس المـكان الـذي قُتِـل بـه نابـوت، بعـد ثـورة ياهـو ضـد بيـت آخـاب وبينـما كانـت تتطلَّـع إيزابـل مـن النافـذة وبعدمـا رآهـا رجالُـه أمـروا برَمْيِهـا مـن هناك.(المترجـم)

(1) بيلاطـس البنطـي كان الحاكِـمَ الرومـاني لمقاطعـة "يهـودا" بـين عامَـيْ 26 إلى 36. وحسـب ماهـو مكتـوب في الأناجيـل الأربعـة المعتَمَـدة مـن قبـل الكنيسـة، فإنـه قـد تـولَّى محاكمـة المسيح، وأصـدر الحُكـمَ بصَلْبـه. (المترجـم)

- ماما...

قالتها في رقَّة، ووضعت جبهتها على الزجاج.

من كتاب "وانفجر الظل..." (ص 129):

قبل الانتقال إلى تحليل أكثر تفصيلًا لليلة الحفل نفسها، قد يكون من الأفضل تلخيص ما نعرفه عن شخص كاري وايت.

نعرف أن كاري كانت ضحيَّةً لهَوَسِ أمِّها الديني. نعرف أنها كانت تمتلك موهبة تحريك ذهني كامنة، تلك التي يُشار إليها فيما هو شائع بالتحريك عن بُعد. ونعرف أن هذه "الموهبة البرية" كما تُسمَّى هي سمة وراثية، تنتج عن چين وراثي يكون مُتنحِّيًا في العادة، إذا كان موجودًا أصلًا. ونحن نشكُّ في أن القدرة على التحريك الذهني قد تكون ذات طبيعةٍ غُدَديَّة. نعرف أن كاري أظهرت تجلِّيًا واحدًا على الأقل لقدرتها عندما كانت فتاة صغيرة حينما وُضِعَت في موقف متطرِّف من الشعور بالذنب والتوتُّر. ونعرف أن موقِفًا مُتطرِّفًا ثانيًا من الشعور بالذنب والتوتر نشأ من حادثة تنمُّر واستهزاء في غرفة استحمام. ثمَّة افتراض نظري (خاصةً على يد وليام چ. ثرونبيري وچوليا جيفينز، جامعة بيركلي) بأن الظهور المجدَّد لقُدرة التحريك الذهني في هذه اللحظة جاء نتيجة لعوامل سيكولوچية (أي رد فعل الفتيات الأخريات وكاري نفسها لدورتهنَّ الشهرية الأولى) ومعها عوامل فسيولوچية (أي حلول سِنِّ البلوغ).

وأخيراً، نعرف أنه في ليلة الحفل، نشأ موقف تَوتُّر ثالث، تسبَّب في الوقائع الفظيعة التي يجب أن نبدأ في مناقشتها الآن. سنبدأ بـ...

(لست متوتِّرةً لست مُتوتِّرَة بأيٍّ حال)

كان تومـي قـد أتى قبـل ذاك بباقـة وردهـا الصغـيرة، وكانـت الآن تشـبكها في كتـف فسـتانها بنفسـها. لم تكـن هنـاك ماما، بالطبـع، لتفعـل هـذا مـن أجلهـا وتتأكَّـد أنهـا مشـبوكة في المكان الصحيـح. كانـت ماما قـد حبسـت نفسـها في المُصلَّى وظلَّـت هنـاك طـوال السـاعتين الماضيتـين، تُصلِّي بطريقـة هسـتيرية. ارتفـع صوتهـا وحَـطَّ في دوائـر مُخيفـة ومُتفكِّكـة.

(آسفة يا ماما لكني لا يمكن أن أكون آسفة)

عندمـا انتهـت مـن تثبيتهـا إلى حـدٍّ أرضاهـا، أرخـت يديهـا ووقفـت في هـدوء للحظـة وعيناهـا مغلقتـان. لم تكـن هنـاك أي مـرآة بطـول الجسـد في البيـت،

(باطل باطل كل شيء باطل)

لكنها اعتقدت أنها في خير حال. كان لا بُدَّ أن تكون، كان...

فتحـت عينيهـا مـرة أخـرى. سـاعة الوقـواق عـلى الحائـط ماركـة بـلاك فوريسـت، المشـتراة بالطوابـع الخضراء، أشـارت إلى السـابعة وعـشر دقائق.

(سيكون هنا خلال عشرين دقيقة)

هل سيأتي؟

ربمـا كان الأمـر كلـه محـض مَقلَـبٍ مقصـود، الضربـة القاضيـة، سـطر المفارقـة الأخـيرة في النكتـة. أن يتركهـا جالِسـةً هنـا نصـف الليـل في ثوبهـا المخمـلي المتكسِّر بخَـصره الضيِّـق كفسـاتين الأمـيرات، وكُمَّيـه الضيقـين المنفوشـين عنـد الكتفـين، وتنُّورتـه البسـيطة المنسـدلة- وأزهـار الشـاي المشـبوكة في كتفهـا الأيـسر.

في الغرفـة الأخـرى، تتصاعـد الآن عبـارات: "... في الأرض المقدَّسـة! نعلـم أنـك تـأتي بالعـين التـي تراقـب، العـين الرهيبـة ذات الفصـوص الثلاثـة، وصـوت الأبـواق السـوداء. نتـوب مـن كل قلوبنـا...".

لم تعتقد كاري أن أحدًا يمكنه أن يفهم ما تكبَّدَته من شجاعة غاشمة كي تروِّض نفسها على ذلك، كي تترك نفسها عرضة لأي احتمالات مخيفة قد تأتي بها الليلة. قد لا يكون إخلاف موعدها هو أسوأها. في الحقيقة، وبطريقة توَّاقة وخَفِيَّة بعض الشيء، كانت تفكر أنه قد يكون من الأفضل لو...

(لا... توقَّفي عن هذا)

بالطبع سيكون من الأيسر البقاء هنا مع ماما. أأمن. كانت تعرف ما يعتقدونه عن ماما. طيب، ربما كانت ماما مُتعصِّبة، غريبة الأطوار، لكنها على الأقل كانت قابِلةً للتَّنبُّؤ. كان البيت قابِلًا للتَّنبُّؤ. لم تَعُد إلى البيت قطُّ لتجد فتياتٍ ضاحِكاتٍ صارخاتٍ يُلقين بالأشياء.

وإذا لم يأتِ، إذا انسحَبَت واستسلمت؟ ستنتهي المدرسة الثانوية خلال شهر. ثم ماذا؟ وجود زاحف مدفون في هذا البيت، تُدعِّمه ماما، ومشاهدة برامج المسابقات والمسلسلات طوال اليوم في التليفزيون في بيت السيدة جاريسون عندما تدعو كاري لزيارتها (كانت السيدة جاريسون في السادسة والثمانين من عمرها)، والسير إلى وسط البلدة لتناول شراب الحليب المملَّح بعد العشاء في (كيلي فروت) عندما يكون مهجورًا، ثم تزداد سِمنَةً، وتفقد الأمل، وتخسر حتى القدرة على التفكير؟

لا. يا إلهي الرحيم، من فضلك لا.

(من فضلك اجعلها نهاية سعيدة)

"... احمنا من صاحب القَدَم المشقوقة الذي ينتظر في الأزِقَّة وفي مواقف السيارات الخاصة بالنُّزُل، أيها المخلِّص...".

السابعة وخمس وعشرون دقيقة.

بلا هوادة، ودون تفكير، بدأت ترفع الأشياء بذهنها وتُنزِلها من جديد، بنفس الطريقة التي ستقوم بها امرأةٌ مُتوتِّرةٌ تنتظر أحدهم في مطعم ما بِطَيٍّ وفَرْد منديل مائدتها. كان بمقدورها أن تُدلِّي دستة أشياء في الهواء كل مرة، ودون أثر من تعب أو صداع. ظلَّت تنتظر أن تنحسر قوتها، لكنها ظلَّت في حالة مَدٍّ عالٍ بلا أثر للجَزْر. منذ بضعة أيام في طريقها إلى البيت من المدرسة، دحرجت سيارة مصفوفة

(آه من فضلك يا إلهي لا تجعله مقلبًا)

عشرين قدمًا بمحاذاة رصيف الشارع الرئيسي دون أي جهد على الإطلاق. حدَّق المتعطِّلون حول مبنى البلدية في السيارة حتى كادت عيونهم تخرج من محاجرها، وحدَّقَت هي أيضًا بالطبع، لكنها كانت تبتسم في داخلها.

خرج الوقواق من مكمنه في الساعة وصاح مرة واحدة. السابعة والنصف.

كانت قد صارت واعيةً بعض الشيء بالإجهاد الرهيب الذي بدا أن استخدام قوتها يضعه على قلبها ورئتيها وجهاز تنظيم حرارتها الداخلية. وانتابها الشَّكُّ في أنه من الممكن جدًّا لقلبها أن ينفجر حرفيًّا من الجهد. كأنه كان في جسدٍ آخر ويجبرها على أن تجري وتجري وتجري. لن تدفعي الثمن بنفسك؛ سيدفعه الجسد الآخر. بدأت تدرك أن قوَّتها ربما لم تكن تختلف كثيراً عن قوى الفقراء الهنود، الذين يسيرون على الفحم الساخن، أو يغرسون الإبر في عيونهم، أو يدفنون أنفسهم دون مبالاة لفترات قد تصل إلى سِتَّة أسابيع. إعمال الذهن للتغلُّب على المادة بأي شكل هو استنزاف رهيب لموارد الجسد.

السابعة واثنتان وثلاثون دقيقة.

(لن يأتي)

(لا تفكِّري في الأمر فالقَدْر المراقَب لا يغلي سيأتي)

(لا لـن يـأتي هـو هنـاك يضحـك منـك مـع أصدقائـه وبعـد قليـل سـيمرُّون في واحـدة مـن سـياراتهم السريعـة المزعجـة يتضاحكـون ويتصايحـون ويصفـرون)

بـدأت عـلى نحـوٍ بائـس في رفـع ماكينـة الخياطـة إلى أعـلى وإلى أسـفل، مؤرجحـة إيَّاهـا في أقـواس متَّسِـعة عـبر الهـواء.

"... واحمِنا أيضًا من البنات المتمرِّدات المشبعات بعناد الشرير...".

صاحت كاري فجأة:

- اخرسي!

ساد صمت مذهول للحظة، ثم بدأت الترنيمة الهاذية من جديد.

السابعة وثلاث وثلاثون دقيقة.

لن يأتي.

(عندئذ سأحطِّم البيت)

جاءتهـا الفكـرة عـلى نحـوٍ طبيعـيٍّ وصـافٍ. أوَّلًا ماكينـة الخياطـة ملقـاة عـبر حائـط غرفـة المعيشـة. الأريكـة عـبر النافـذة. الطـاولات، المقاعـد، الكتـب، المنشـورات الدعائيـة الدينيـة... كلهـا تطـير. أنابيـب الميـاه منزوعـة مـن مكانهـا وهـي مـا زالـت تتفجَّـر بالمـاء، مثـل شرايـين مُنتَزَعَـة مـن الجسـد. السـقف نفسـه، إذا كان هـذا في نطـاق قدرتهـا، وألواحـه الخشـبية تتفجَّـر صاعِـدةً في الليـل كحمَامَـات مفزوعـة...

تناثَرَت الأضواء في بهجة عبر النافذة.

مـرَّت سـيارات أخـرى، جاعلـة قلبهـا يطفـر قليـلًا، لكـن هـذه السـيارات تسـير عـلى نحـوٍ أبطـأ بكثـير.

(آه)

جـرت إلى النافـذة، غـير قـادرة عـلى كبـح نفسـها، وكان هـو، تومـي، ينـزل مـن سـيارته، وحتـى تحـت ضـوء الشـارع كان وسـيمًا ومُتدفِّقًـا بالحيويَّـة وتقريبًـا... مُطَقطِقًـا! جعلتهـا الكلمـة الغريبـة راغِبـةً في القهقهة.

كانت ماما قد توقفت عن الصلاة.

جذَبَـت شـالها الحريـري الخفيـف مـن حيـث وضعتـه عـلى ظهـر مقعدهـا ولفَّتـه حـول كتفيهـا العاريتـين. عضَّـت شـفتها السُّـفلى، ولمسـت شَـعرها، وكانـت لتبيـع روحهـا مقابـل مـرآة. أطلـق الجـرس الطَّنَّـان في الصالـة صرختـه الخَشِـنَة.

أجـبرت نفسـها عـلى انتظـار الرَّنَّـة الثانيـة، مُسَـيطِرةً عـلى الانتفاضـة في يديهـا. ثـم مضـت ببطء، بحفيـف حريـري.

فتحـت البـاب وكان هنـاك، خاطِفًـا الأنظـار تقريبًـا بسُـترة سـهرته البيضـاء وبنطالـه الأسـود الأنيـق.

نظر أحدهما إلى الآخر، ولم يَقُل أيٌّ منهما كلمة واحدة.

أحسَّـت أن قلبهـا سـينكسر لـو نطـق بالكلمـة الخطـأ، وأنهـا سـتموت لـو ضحـك. أحسَّـت -فِعليًّـا وجَسـديًّا- بـأن حياتهـا البائسـة كلهـا تضيـق إلى نقطـةٍ قـد تكـون نهايـة، أو بدايـة بارقـة أمـل وسـيع.

أخيرًا، قالت في عجز:

- هل أعجبتُكَ؟

- أنت جميلة.

وقد كانت.

من كتاب"وانفجر الظل..." (ص 131):

بينـما كان هـؤلاء الذاهبـون إلى حفـل ربيـع مدرسـة إيويـن يتجمّعـون في المدرسـة الثانويـة أو يغـادرون للتّـوّ البوفيهـات المصفوفـة قبـل الحفـل، التقـت كريسـتين هارجنسـن مـع وليـام نـولان في غرفـةٍ تقـع فـوق حانـة محليـة عنـد حـدود البلـدة تُدعَـى كاڤالييـه. نعـرف أنهـما كانـا يلتقيـان هنـاك لفـترة؛ فهـذا موجـود في سِـجِلّات "لجنـة وايـت". مـا لا نعرفـه إن كانـت خُطَطهـما مُكتَمِلَـة ونهائيـة أم أنهـما بـاشَرَا الأمـر تقريبًـا كنـزوة...

تساءَلَت في الظلام:

- هل حان الوقت؟

نظر في ساعته وقال:

- لا.

بخفـوتٍ، وعـبر الأرضيـة الخشـبية، أتى طنـين صنـدوق الموسـيقى وهـو يذيـع أغنيـة "لا بُـدَّ أن تكـون قدّيسـة"[1] لـراي برايـس. فكَّـرَت كريـس أن حانـة كاڤالييـه لم تُغـيِّر تسـجيلاتها الموسـيقية منـذ المـرة الأولى التـي جـاءت فيهـا هنـا ببطاقـة شـخصية مُـزوَّرة منـذ عامـين. وقتهـا بالطبـع كانـت بالأسـفل في قاعـة المشروبـات، وليـس في واحـدة مـن "الحجـرات الخاصـة" التـي يملكهـا سـام ديڤـو.

ومضـت سـيجارة بيـلي بشـكل متقطِّـع في الظـلام، مثـل عـين شـيطانٍ قَلِـق. راقبتهـا كريـس في تأمُّـل. لم تتركـه ينام معهـا حتى يوم الإثنـين الماضي، عندمـا وعدهـا أنـه وأصدقـاؤه الأشـاوس سيسـاعدونها في النَّيـل مـن كاري

(1) She's Got to Be a Saint أغنية صدرت عام 1972 وحقَّقَت نجاحًا وذُيوعًا كبيرَيْن. (المترجم)

وايت لو جرؤت فعلًا على الذهاب إلى الحفل مع تومي روس. لكنهما كانا هنا من قبل، وحظِيَا ببعض جلسات العناق الساخنة الحلوة- ما اعتقدت أنه يُسمَّى بالحب الأسكتلندي وما كان هو ليدعوه، بقدرته التي لا تخيب على تحديد ما هو بذيء، الانسجام الناشف[1].

كانت تنوي أن تجعله ينتظر حتى يفعل شيئًا بالفعل.

(لكنه فعل بالطبع أتى بالدم)

لكن الأمر كله بدأ ينفلت من بين يديها، وجعلها هذا قَلِقَة. لو لم تستسلم بإرادتها يوم الإثنين، لأخذها بالقوة.

لم يكن بيلي حبيبها الأول، لكنه كان أول مَن لم تستطع الرقص والغنج معه على هواها. قَبلَه كان فتيانها دُمًى متحرِّكة ذكية ذات وجوه صافية خالية من البثور وآباء ذوي علاقات وعضويات في النوادي الريفية. كانوا يقودون سياراتهم الخاصة الڤولكس ڤاجن أو الجاڤيلين أو الدودج تشارجر. التحقوا بكلية يوماس أو بوسطن. كانوا يرتدون سترات الأخوية الواقية في الخريف والقمصان الرياضية ذات الخطوط اللامعة دون أكمام في الصيف. كانوا يدخِّنون الماريجوانا كثيرًا ويتحدَّثون عن الأشياء الظريفة التي حدثت لهم عندما كانوا مسطولين. كانوا يبدؤون في معاملتها بزمالة راعية طيبة (كل بنات المدرسة الثانوية كُنَّ في دوري بوش[2] مهما كان مستوى جمالهن) وينتهي بهم الأمر دائمًا وهم يهرولون وراءها بشهوة لاهثة كالكلاب. لو هرولوا لمسافة طويلة بما يكفي وأنفقوا ما يكفي في هذه العملية، كانت عادة تسمح لهم بالذهاب إلى الفراش معها. غالبًا ما كانت ترقد أسفلهم بطريقة سلبية، دون أن تساعدهم أو تعيقهم، حتى

(1) تعبير عامي يعني بلوغ النشوة الجنسية باحتكاك أو ملامسة جسد الشريك دون خلع الملابس. (المترجم)

(2) تعبير يُطلَق على الدوريات الصغيرة التي تلعب فيها الفرق الرياضية الصغيرة في المناطق الريفية. (المترجم)

ينتهي الأمر. لاحقًا، كانت تصل إلى ذروتها الخاصة المنعزلة أثناء تأمُّلها للحادث كحلقة مُغلَقَة واحدة من الذِّكرى.

كانت قد التقت ببيلي نولان في أعقاب كبسة مخدِّرات قامت بها الشُّرطة على إحدى الشقق في بورتلاند.ألقي القبض على أربعة طلاب، من بينهم مُرافق كريس في تلك السهرة، بتهمة الحيازة. اتُّهِمَت كريس وبقية الفتيات بكونهنَّ حاضرات هناك. تولَّى أبوها الأمر بكفاءة هادئة، وسألها إن كانت تعرف ما كان ليحدث لصورته وممارسته المهنية لو جرى احتجاز ابنته بتُهمة لها علاقة بالمخدِّرات. قالت له إنها تشكُّ في أن أي شَكٍّ يمكن أن يؤذي صورته أو مهنته، وعاقبها بأن حرمها من سيارتها.

عرض عليها بيلي توصيلها بسيارته إلى البيت من المدرسة ذات ظهيرة بعد أسبوع، وقَبِلَت.

كان ما أسماه بقية الأولاد: من ذوي الجوارب البيضاء أو صبي ورشة الميكانيكا. لكن شيئًا ما فيه أثارها، والآن وهي راقدة في تكاسُل على فِراشه غير الشَّرعي (لكن بإحساس مُتيقِّظ بالإثارة والخوف الممتع) فكَّرَت أن هذا الشيء ربما كان سيارته- على الأقل في البداية.

كانت أبعدَ ما تكون عن السيارات مجهولة الاسم وذات الأختام المعدنية التي كانت لدى أخويَّة مرافقيها السابقين، بنوافذها المسدودة، وعجلات قيادتها القابلة للطي، والرائحة المزعجة بشكلٍ ما لأغطية المقاعد البلاستيكية والمحلول المنظِّف للزجاج الأمامي.

أمَّا سيارة بيلي فكانت قديمةً وقاتمة وذات مظهر شرِّير. زجاجها الأمامي كان حليبيًّا غائمًا عند أطرافه، وكأن مياهًا بيضاء بادئة في التكوُّن. والمقاعد كانت مُخلخَلةً وغير مُستقرَّة. زجاجات البيرة كانت تُجَلجِلُ وتتدحرج في الجزء الخلفي (كانت أخويَّة مُرافقيها السابقين تشرب بيرة ماركة بَدوايزر؛ أما بيلي وأصدقاؤه فيشربون بيرة راينجولد)،

وكان عليها أن تضع قدميها حول صندوق مُعِدَّات ضخم مُبقَّع بالشحم بدون غطاء. كانت المعِدَّات بداخله من ماركات عديدة مختلفة، حتى أنها تشكَّكَت في أن كثيراً منها مسروق. فاحت السيارة برائحة الزيت والجاز. وتعالى صوت أنابيب العادم بشكل مُبهِج عبر ألواح الأرضية الناحِلَة. وتدلَّى صَفٌّ من العدادات أسفل أمبيرات السرعة المسجَّلة، وضغط الزيت، ومقياس سرعة الدوران (أيًا كان هذا). كانت العجلات الخلفية مرفوعةً، وبدا أن غطاء المحرك يشير إلى الطريق.

وبالطبع كان يقود بسرعة.

في التوصيلة الثالثة إلى البيت طار واحد من الإطارين الأماميين العاريين بسرعة ستين ميلًا في الساعة. انطلقت السيارة في انزلاقة زاعِقة وصرخت هي بصوت مدوٍّ، مُتيقِّنَةً فجأة من موتها. وومضت في ذهنها صورة لجُثَّتها المكسورة الدامية مُلقاة أمام قاعدة عمود هاتف مثل كومة من الخِرَق، وومضت في ذهنها كصورة في جريدة صفراء. أطلق بيلي اللعنات وألهب عجلة القيادة المغطَّاة بالزغب تحريكًا من جانب إلى جانب.

توقَّفَت بهما السيارة على الجانب الأيسر، وعندما خرجت كريس منها زاحفة على ركبتين أنذرتاها بالالتواء مع كل خطوة، رأت أنهما تركا خطًّا ملتويًا من المطاط المحروق بامتداد سبعين قدمًا.

كان بيلي يفتح صندوق السيارة بالفعل، مُخرِجًا رافِعةً ومُتمتِمًا لنفسه. لم تَهتزَّ منه شَعرةٌ واحدة.

مرَّ بها، وسيجارة تتدلَّى بالفعل من طرف فمه.

- اجلبي صندوق المعِدَّات ذاك يا حبيبتي.

كانت مشدوهة. انفتح فمها وانغلق مرَّتَين، مثل سمكة على الشاطئ، قبل أن تتمكَّن من التلفُّظ بهذه الكلمات:

- أنا... أنا لن أفعل! أنتَ كِدتَ تقتل.. أنت.. تقريبًا... أيُّها الوغد المجنون! كما أنه صندوقٌ قَذِر!

التفت ونظر إليها بعينين خاليتين من أي تعبير.

- ستجلبينه وإلّا لن أصطحبك إلى مباريات الملاكمة اللعينة ليلة الغد.

- أكره الملاكمة!

لم تكن تكرهها قطُّ، لكنَّ غضبها وحنقها كانا يتطلَّبان أحكامًا مُطلَقَة. كانت شِلَّة مَن واعَدَتهم سابِقًا تصطحبها إلى حفلات روك، كانت تكرهها. فقد كان ينتهي بهم الأمر دائمًا إلى جوار شخص لم يستحمَّ منذ أسابيع.

هزَّ كتفيه، وعاد إلى مُقدِّمة السيارة، وبدأ رفعها.

أحضرت صندوق المِعدَّات، وتغطَّت سُترَتُها الجديدة تمامًا بالشحم. نخر دون أن يلتفت وراءه. انشلح تيشرته من بنطاله الجينز، وكان لَحمُ ظَهره ناعمًا ومُصطَبِغًا بالسُّمرة ونابِضًا بالعضلات. فتنها، وأحسَّت بلسانها يزحف إلى طرف فمها. ساعدته في نزع الإطار عن العجلة، مُسَوِّدةً يديها. ارتجَّت السيارة بشكل مُنذِرٍ على الرافعة، وكانت العجلة الاحتياطية مُتهرِّئة في موضعين.

عندما انتهت المَهمَّة وعادت لمكانها داخل السيارة، كانت هناك لطخات ثقيلة من الشحم على كلٍّ من السُّترة والتنورة الحمراء باهظة الثمن اللتين كانت ترتديهما.

وعندما استقرَّ بيلي خلف عجلة القيادة بدأت الحديث قائلة:

- إذا كنت تعتقد...

انزلق عبر المقعد وقبَّلها، ويداه تتحركان فوق جسدها بغلظة، من الخصر إلى النهدين. فاحت أنفاسه برائحة التبغ؛ وكانت هناك رائحة عَرَق وكريم الشَّعر "بريلكريم". انفلتت منه أخيراً وحدَّقت في نفسها

لاهثة. كانت السُّترة مُلطَّخة الآن بشحم الطريق والقذارة. دفعت فيها سبعة وعشرين دولارًا ونصف في محلات چوردان مارش وها هي لا تعدو أن تكون أكثرَ من صفيحة زبالة. كانت مستثارةً على نحو حادٍّ يكاد يكون مُؤلِمًا.

سألها وهو يُقبِّلها مرة أخرى:

- كيف ستُفسِّرين هذا؟

أحسَّت بفمه وكأنه يكشر مبتسمًا. همست في أذنه:

- تحسَّسني. تحسَّسْ جسدي كله. اجعلني قذرة.

وفعلها. انفتقت فردة من الجورب النايلون كفَمٍ مُنفَغِر. تنُّورتها، القصيرة بادئ ذي بدء، رُفِعَت إلى أعلى بوقاحة حتى خصرها. تحسَّسها بجشع دون أي رِقَّة على الإطلاق. وشيء ما -ربما كان هذا، وربما كان احتكاكها المفاجئ بالموت- جعلها تصل إلى رعشة جِماعٍ قويَّة مُفاجئة... وذهبت إلى مباريات الملاكمة معه.

- الثامنة إلا الربع...

قالها ونهض جالسًا في الفراش. أضاء المصباح وبدأ يرتدي ملابسه. ما زال جسده يفتنها. تذكَّرَت ليلة الإثنين الماضي، وكيف كانت. كان لديه...

(لم يكن لديه)

ما يكفي من الوقت للتفكير في ذلك لاحِقًا، ربما، عندما يتعلَّق الأمر بشي ما من أجلها إلى جانب ما يسبب إثارة بلا جدوى. أرجحت ساقيها من فوق حافة الفراش وانزلقت في سروال داخلي رقيق النسيج.

قالت، وهي غير واثقة إن كانت تختبره أم تختبر نفسها:

- ربما هي فكرة سيئة. ربما فقط يجب أن نعود إلى الفراش و...

- هي فكرة جيدة...

قالها، وعبر ظلٌّ من المزاح وجهه.

- دم الخنزيرة من أجل الخنزيرة.

- ماذا؟

- لا شيء. هيا. البسي.

وقد كان. وعندما غادرَا المكان من السُّلَّم الخلفي كان بمقدورها أن تحسَّ بإثارة كبيرة تتفتَّح، مثل كرمة ضارية تزهر ليلًا، في جوفها.

من كتاب "اسمي سوزان سنيل" (ص 45):

تعرفون؟ لستُ آسِفةً حيال الأمر كله كما يبدو أن الناس يعتقدون أنه ينبغي لي أن أكون. هم لا يقولون ذلك صراحةً؛ أولئك الأشخاص الذين يقولون دائمًا كم هم آسفون للغاية. يكون هذا عادة قبل أن يطلبوا توقيعي في دفتر الأوتوجراف مباشرة. يتوقَّعون منك أن تبكي، أن ترتدي الكثير من السواد، أن تشرب أكثر من اللازم قليلًا أو تتناول المخدِّرات. يقولون أشياء مثل: "آه، يا له من شيء مُخزٍ!. لكنك تعرفين ما حدث لها..."، وكذا كذا.

لكن الأسف هو الشراب المُحلَّى بين العواطف البشرية. هو ما تقوله عندما تسكب فنجانًا من القهوة أو ترمي بكُرَةٍ خاطئة أثناء لعب البولينج مع الفتيات في الدوري. الأسف الحقيقي نادر مثل الحُبِّ الحقيقي. لست آسِفةً لأن تومي ميِّت الآن. يبدو لي كثيرًا كحُلمِ يَقَظةٍ راوَدَني ذات مرة. قد تعتقدون أن هذه قسوة، لكن مرَّت مياه

كثيرة تحت الجسر منذ ليلة الحفل. ولست آسفة لمثولي أمام "لجنة وايت". لقد قلتُ الحقيقة- قدر ما عرفت منها.

لكني آسفة من أجل كاري.

لقد نسوها، لعِلمِكم. لقد جعلوا منها رمزًا من نوعٍ ما ونسوا أنها كانت إنسانة، حقيقيَّة مثلما تقرأ هذا، لديها آمال وأحلام وكذا كذا. أظن أنه لا جدوى من إخباركم بهذا. لا شيء يمكنه أن يعيدها الآن من شيء صنعته أوراق الصحف إلى شخص عادي. لكنها كانت، وتألَّمَت. تألَّمَت ربما أكثر ممَّا يعرف أيٌّ واحِدٍ مِنَّا.

ولذلك أنا آسفة وأتمنى لو كان شيئًا جيِّدًا لها، الحفل. إلى أن بدأ الرعب، أتمنَّى لو كان طيِّبًا وجيِّدًا ورائِعًا وسحريًّا...

توقَّف تومي في ساحة الانتظار إلى جوار الجناح الجديد للمدرسة الثانوية، وترك المحرك يدور بخمولٍ لثانية واحدة فقط، ثم أطفأه. جلست كاري في جانبها من المقعد، ضامَّةً شالها حول كتفيها العاريتين. بدا لها فجأة أنها كانت تعيش في حلم من النوايا الخَفِيَّة وأنها صارت مُدرِكَةً للحقيقة توًّا. ماذا يمكنها أن تفعل؟ لقد تركت ماما وحدها.

- متوتِّرة؟

سألها، وجفَلَت.

- نعم.

ضحك وخرج. كانت على وشك أن تفتح بابها عندما وجدته يفتحه لها. قال:

- لا تتوتَّري. أنتِ تشبهين جالاتيا.

- مَن؟

- جالاتيـا. قرأنـا عنهـا في فصـل مسـتر إيڤـر. تحوَّلَـت مـن عاملَـةٍ كادحـة إلى امـرأة جميلـة ولم يعرفهـا أحـدٌ حتـى.

تأمَّلَت الحكاية، ثم قالت أخيراً:

- أريدهم أن يعرفوني.

- لا لوم عليكِ. هيا.

كان چـورچ داوسـون وفريـدا چيسـون واقفـين قـرب ماكينـة الكـوكا. ارتـدت فريـدا طقـمًا مـن التـول البرتقـالي، وبَـدَت أشـبهَ قليـلًا بآلـة التوبـا النحاسـية. وكانـت دونَّـا ثيبـودو تتنـاول التذاكـر عنـد البـاب ومعهـا ديڤيـد براكـين. كان كلاهـما عضوَيْـن في "جمعيـة الـشرف الوطنـي"، وهـي جـزء مـن الجسـتابو الشـخصي للآنسـة جـير، وكانـا يرتديـان سروالـين أبيضـين وسُـترَتَيْن حمراويـن- لونـا المدرسـة. تينـا بليـك ونورمـا واطسـون كانتـا توزِّعـان البرامـج وتُجلِسـان النـاس في الداخـل وفقًـا لخريطتهـما. ارتـدت كلتاهـما السـواد، وظنَّـت كاري أنهـما تعتقـدان أنهـما أنيقتـان جـدًّا، لكـن بالنسـبة لهـا بدتـا مثـل بائعـات السـجائر في فيلـم عصابـات قديـم.

التفتـوا جميعًـا لينظـروا إلى تومـي وكاري عندمـا دخـلا، وللحظـةٍ سـاد صمـتٌ مُتصلِّـب غريـب. أحسَّـت كاري برغبـةٍ قويَّـةٍ في أن تُبلِّـل شـفتيها وأمسـكت نفسـها. ثـم قـال چـورچ داوسـون:

- يا إلهي، تبدو غريبًا يا روس.

ابتسم تومي وقال:

- متى هبطت من أعالي الشَّجر يا بومبة؟

اندفـع داوسـون إلى الأمـام رافِعًـا قبضتيـه، وللحظـة أحسَّـت كاري بذُعـرٍ تـامٍّ. في حالتهـا تلـك المتوتِّـرة، كانـت عـلى وشـك أن ترفـع چـورچ وتلقـي بـه عـبر البهـو. ثـم أدركـت أنهـا لعبـة قديمـة محبوبـة، كثـيراً مـا تلعـب.

تظاهـر الاثنـان بالملاكمـة وهـما يـدوران ويزومـان. ثـم بـدأ چـورچ، الـذي نـال وكزتـين في الضلـوع، يقهقـه ويزعـق:

- اقتلهـم يـا كينـج كونـج! نَـلْ منهـم هـؤلاء الحمقـى! خيزرانـات البامبـو! أقفـاص النمـور!

وأنزل تومي ذراعه المتَّخِذَة وضع الحماية ضاحكًا.

قالت فريدا وهي تميل بأنفها المعقوف وتخطر على مهل:

- لا تزعجي نفسك بهذا. لو قَتَلَ أحدهما الآخر، سأرقص معك.

غامرت كاري بالرد:

- يبدوان أغبى من أن يقتّلَا أحدًا، مثل الديناصورات.

وعندمـا ابتسـمت فريـدا، أحسَّـت كاري بـشيء قديـم جـدًّا وصـدئ يسـترخي بداخلهـا. ومعـه جـاء شـعور بالـدفء. بالتخفُّـف. بالارتيـاح.

تساءلت فريدا:

- من أين اشتَريتِ فستانك؟ أحببتُه.

- صَنَعتُه.

- صنعتِه؟

انفتحت عينا فريدا في دهشة صادقة.

- مستحيل!

أحسَّت كاري بحُمرَة خَجلٍ شديدة تعتريها.

- نعـم، صَنَعتُـه. أنـا... أنـا أحـب الخياطـة. اشـتريت القـماش مـن محلَّات چـون في ويسـتوفر. ونمـوذج التفصيـل سـهل جـدًّا بالفعـل.

- هيا..

قالها چورچ موجِّهًا حديثًا لهم جميعًا في العموم.

- ستبدأ الفرقة الموسيقية.

دار بحدقتيه وقام بأداء رشيق ساخر لرقصة بَك آند وينج.

- ذبذبـات، ذبذبـات، ذبذبـات. نحـن الآسـيويين نُحبُّهـا ذبذبـاتٍ كبـيرةً تَهـزُّ الحواجـز.

عندمـا دخلـوا، كان چـورچ يقلِّـد حـركات النجـم بـوبي بيكيـت ويلـوي ملامـح وجهـه، وكانـت كاري تحـكي لفريـدا عـن فسـتانها، وكان تومـي يبتسـم ابتسـامةً عريضـة وقـد وضـع يديـه في جيبيـه. كانـت سـو لتخـبره بأنـه أفسـد خطـوط سُـترَة سـهرته، لكـن اللعنـة، بـدا هـذا لا بـأس بـه. حتـى الآن كان هـذا لا بـأس بـه.

كان أمامه هو وچورچ وفريدا أقل من ساعتين في هذه الحياة.

من كتاب "وانفجر الظل..." (ص 132):

يبـدو موقـف "لجنـة وايـت" مـن مُسبِّب الأمـر كلـه -دلـوان مـن دم الخنازيـر عـلى دعامـة فـوق خشـبة المـسرح- ضعيفًـا ومـتردِّدًا بشـكل مفـرط، حتـى في ضـوء الدليـل المـادي الضعيـف. لـو اختـار المرء أن يصدق الأدِلَّـة المتواتـرة عـن دائـرة نـولان المباشرة مـن الأصدقـاء (وبصراحة قاسـية لا يبـدو أنهـم أذكيـاء بمـا يكفـي لأن يكذبـوا عـلى نحـوٍ مُقنِـع) فقـد تـولى نـولان هـذا الجـزء مـن المؤامـرة بشـكل خـارج تمامًـا عـن سـيطرة كريسـتين هارجنسـن وتـصرَّف بمبـادرة شـخصية منـه...

لم يتكلـم أثنـاء القيـادة، كان يحـب قيـادة السـيارة. أعطتـه العمليـة إحساسًـا بالقـوة لم يكـن لأي شيء آخـر أن ينافسـه، ولا حتـى المضاجعـة.

انبسـط الطريـق أمامهـما في مشـاهد فوتوغرافيـة بالأبيـض والأسـود، وارتعـش مـؤشِّر السرعـة متجـاوزًا السـبعين بالـكاد. أتى بيـلي مـن بيـتٍ مُفـكَّك؛ اختفـى والـده بعـد فشـل مـشروع محطـة بنزيـن أُدير عـلى نحـوٍ سيِّئ عندمـا كان بيـلي في الثانيـة عـشرة، وكان لأمـه أربعـة عُشَّـاق عـلى أقـل تقديـر. حاليًـا المُفضَّـل هـو بـروسي، وهـو رجُـلٌ مُدمِـنٌ عـلى ويسـكي (سـيجرامس 7). هـي أيضًـا كانـت تتحـوَّل إلى كيـس قبيـح.

لكـن السـيارة: كانـت السـيارة تُغذِّيـه بالسُّـلطة والمجـد مـن خطـوط قوَّتهـا الغامضـة. جعلتـه شـخصًا يُحسـب حسـابه، شـخص لديـه قـوة سـحرية. لم يكـن مـن قبيـل المصادفـة أنـه قـام بأغلـب مضاجعاتـه في المقعـد الخلفـي. كانـت السـيارة عَبـدَه وإلهَـه. أعطـت، وكان بمقدورهـا أن تسـلب. لقـد اسـتخدمها بيـلي في السَّـلب مـرَّاتٍ كثـيرة. في ليـالٍ طويلـة دون نـوم عندمـا كانـت أمُّـه وبـروسي يتشـاجران، كان بيـلي يصنـع الفشـار ويخـرج في رحـلات لصيـد الـكلاب الضالـة. في بعـض الصباحـات كان يـترك سـيارته تتدحـرج، والمحـرك مطفـأ، إلى داخـل الجـراج -الـذي بنـاه خلـف البيـت- ومَصدُّهـا الأمامـي يقطـر دمًـا.

عرفـت كريـس عاداتـه جيِّـدًا بمـا فيـه الكفايـة الآن ولم تزعـج نفسـها بالدخـول في حديـث سـيتمُّ تجاهلـه ببسـاطة عـلى أي حـال. جلسـت إلى جـواره وقـد طـوت إحـدى سـاقيها أسـفلها، تقضـم مفصـل أحـد أصابـع يديهـا. أضـواء السـيارات المـارَّة بهـما عـلى الطريـق 302 التمعـت بنعومـة في شَـعرها، صابِغـةً إيَّـاه بخطـوط فضِّيَّـة.

تسـاءل إلى متـى سـيدوم وجودهـا. ربمـا ليـس لفـترة طويلة بعـد الليلة. بطريقـة مـا كان كل شيء يـؤدِّي إلى هـذا، حتـى الجـزء الأول، وعندمـا ينتهـي سـيكون الغـراءُ الـذي ضَمَّهـما معًـا قـد نحـل وربمـا يـذوب، تـارِكًا

إيَّاهما يتساءلان كيف أمكن أن يحدث هذا في المقام الأول. فكَّر أنها ستبدو أقلَّ شبهًا بإلهة وأكثر شَبهًا بعاهِرة مجتمع راقٍ عاديَّة مرَّة أخرى، وذلك سيجعله راغبًا في جلدها بالحزام قليلًا. أو ربما كثيراً. أن يحكَّ أنفها فيه.

وصلا أعلى تلِّ بريكيارد هِل وكانت المدرسة الثانوية أسفلهما، وساحة انتظار السيارات مليئة بسيارات الآباء الكبيرة اللامعة. أحسَّ بالغَصَّة المألوفة من الاشمئزاز والكراهية تتصاعد في حلقه. سنمنحهم شيئًا

(ليلة للذكرى)

بالفعل. يمكننا أن نفعل ذلك.

كانت أجنحة قاعات الدراسة مُظلِمةً وصامتة ومهجورة؛ وكان الرواق مضاءً بوَهجٍ أصفر عادي، وتوهَّج صَفُّ الزجاج الممثِّل للجانب الشرقي من صالة الألعاب الرياضية بضوءٍ برتقالي ناعم كان أثيريًّا، وشبحيًّا تقريبًا. مرَّةً أخرى طعم المرارة، والرغبة في إلقاء الصخور. تمتم:

- أرى الأضواء، أرى أضواء الحفل...

- هه؟

التفتت إليه، مُنتَبِهة في فزع من أفكارها.

لمس مؤخِّرة عنقها وقال:

- لا شيء. أعتقد أني سأتركك تشدِّين الخيط.

فعلها بيلي بنفسه؛ لأنه عَلِمَ تَمام العِلم أنه لا يستطيع الثقة بأحد غيره. كان هذا درسًا قاسيًا، أقسى بكثير من الدروس التي يعلِّمونك إيَّاها في المدرسة، لكنه كان قد تعلَّمه جيِّدًا. الفتية الذين ذهبوا معه

إلى مزرعة هينتي في الليلة السابقة لم يعرفوا حتى فيمَ كان يريد الدم. ربما تشكَّكوا في تورُّط كريس، لكن لم يكن بمقدورهم حتى أن يتأكَّدوا من هذا.

قاد سيارته إلى المدرسة بعد دقائق من تحوُّل ليلة الخميس إلى صباح الجمعة، وطاف حولها مرَّتَين ليتأكَّد أنها مهجورة، وأن أيًّا من سيارتَيْ بوليس تشامبرلين لم تكن في المنطقة.

دخل بسيارته مُطفَأة الأضواء إلى ساحة الانتظار وانحرف دائرًا حول مؤخِّرة المبنى. خلفه بمسافة أخرى، التمع ملعب كرة القدم أسفل غشاء رقيق من الغبش.

فتح صندوق السيارة ورفع غطاء صندوق الثلج. كان الدَّمُ قد تجمَّد مُتصلِّبًا، لكن لا بأس. أمامه الاثنتان والعشرون ساعة القادمة ليذوب.

وضع الدلوين على الأرض، ثم أخرج بعض المعِدَّات من صندوقه. علَّقها في الجيب الخلفي وجذب حقيبة بُنِّيَّةً من المقعد. جلجلت المفكَّات بداخلها.

عمل دون استعجال، بذلك التركيز المستريح لشخصٍ غير قادر على تصوُّر أي مقاطعة. كانت صالة الألعاب التي سيقام بها الرقص هي أيضًا قاعة احتفالات المدرسة، والصف الصغير من النوافذ المطِلَّة على المكان الذي أوقف فيه سيارته كان ينفتح على منطقة تخزين الكواليس.

انتقى أداة مُسطَّحة ذات طرف مستدير عريض وجعلها تنزلق عبر المفصل الصغير بين اللوحين الزجاجيين الأعلى والأسفل لإحدى النوافذ. كانت أداةً جيدة. صنعها بنفسه في مسبك تشامبرلين. هزهزها إلى أن تحرَّر مزلاج النافذة المنزلق. دفع النافذة إلى أعلى وانزلق داخلًا.

كان الظـلام دامِسًـا. وكانـت الرائحـة المسـيطرة لدهـان قديـم مـن قمـاش لوحـات "نـادي الدرامـا". نهضـت الظـلال الهزيلـة لحامـلات النوتات وحقائـب الآلات الموسـيقية الخاصـة بــ "جماعـة الفرقـة الموسـيقية" مثـل الخُفَـراء. ووقـف بيانـو مسـتر داونـر في أحـد الأركان.

أخـرج بيـلي كشَّـافًا صغـيرًا مـن الحقيبـة وشـقَّ طريقـه إلى خشـبة المـسرح ودخـل وراء السـتائر المخمليـة الحمـراء. انعكـس لمعـان أرضيـة صالـة الألعـاب، بخطـوط ملعـب كـرة السـلة المرسـومة وسـطحها المصقـول بشـدَّة، مثـل بحـيرة مـن الكهرمـان. سـلَّط ضـوء كشَّـافه عـلى أرضيـة المـسرح أمـام السـتار. هنـاك، كان أحدهـم قـد رسـم بخطـوط طباشـيرية باهتـة الإطـار الخارجـي لعـرشَيْ الملـك والملكـة اللذيـن سـيوضعان في اليـوم التـالي. ثـم تُنـثر الزهـور الورقيـة عـلى أرضيـة المـسرح كلهـا... لماذا؟ المسـيح وحـده يعلـم.

مـطَّ عُنُقَـه وسـلَّط شـعاع كشَّـافه إلى أعـلى في الظـلال. فـوق رأسـه، تقاطعـت العـوارض في خطـوط شـبحية. غُلِّفَـت العـوارض فـوق أرضيـة الرقـص بـورق الكريـب، لكـن المسـاحة الواقعـة أعـلى أرضيـة المـسرح مبـاشرة لم تكـن قـد زُيِّنَـت. ثمـة سـتارة مسـحوبة قصـيرة أخفـت العـوارض هنـاك بالأعـلى، والتـي كانـت غـير ظاهـرة مـن أرضيـة صالـة الألعـاب. كـما أخفـت السـتارةُ المسـحوبة صفًّـا مـن الكشَّـافات سـتلقي الضـوء عـلى جداريـة الجنـدول.

أطفـأ بيـلي الكشَّـاف، وسـار إلى الطـرف الأيـسر مـن أرضيـة الخشـبة، واعتـلى سُـلَّمًا معدنيًّـا مُسـنَدًا إلى الجـدار. جلجلـت محتويـات حقيبتـه البُنِّيَّـة، التـي ربطهـا في قميصـه ضمانًـا للأمـان، في بهجـة غريبـة جوفـاء داخـل صالـة الألعـاب المهجـورة.

عنـد قِمَّـة السـلم كانـت هنـاك مصطبـة صغـيرة. والآن، حيـث أطـل بوجهـه عـلى أرضيـة المـسرح، كانـت عـوارض تجهيـزات المـسرح عـلى

يمينـه، وصالـة الألعـاب نفسـها عـلى يسـاره. في عـوارض التجهيـزات كانـت دعائـم نـادي الدرامـا مخزَّنـة، بعضهـا يعـود تاريخهـا إلى العشرينيـات. ثمـة تمثـال نصفـي للإلهـة اليونانيـة بـالاس، استُخدم في نسخة مسرحيـة قديمـة مـن قصيـدة "الغـراب" لإدجـار آلان بـو، حـدَّق في بيـلي بعينـين ضريرتـين زائفتـين مـن فـوق زنـبرك صـدئ. إلى الأمـام مبـاشرة، امتـدَّت عارضـة فولاذيـة فـوق أرضيـة الخشـبة. ثُبِّتَـت في أسـفلها الكشـافات التـي ستُسـلَّط عـلى الجداريـة.

خَطَـا مـن السُّـلَّم عليهـا وسـار دون جهـد، دون خـوف، هنـاك فـوق سـتارة المـسرح. كان يدنـدن بلحـنٍ شـائع في صـوت خفيـض. كانـت العارضـة مُغطَّـاة بسُـمك بوصـة مـن الغبـار، وقـد تـرك آثـارًا متقطعـة طويلـة. في منتصفهـا توقَّـف، وجَثَـا عـلى ركبتيـه، وأطـلَّ إلى أسـفل.

نعـم. بمسـاعدة كشَّـافه تمكَّـن مـن تمييـز الخطـوط الطباشـيرية عـلى أرضيـة المـسرح أسـفله مبـاشرة. أصـدر صُفَّـارة بفمـه دون صـوت.

(سقطت القنابل)

رسـم علامـة X في الغبـار لتمييـز النقطـة بدقَّـة، ثـم سـار عـلى العارضـة عائِـدًا إلى المصطبـة. لـن يصعـد أحـدٌ إلى هنـا مـن الآن وحتـى الحفـل؛ كانـت الكشَّـافات التـي ستُسـلَّط عـلى الجداريـة والأرضيـة حيـث سـيتمُّ تتويـج الملـك والملكـة

(سيُتَوَّجان بالفعل)

يجـري التحكُّـم فيهـا مـن علبـة في الكواليـس. وأي شـخص سـيتطلَّع إلى أعـلى مـن هـذا المـكان بالأسـفل مبـاشرة سـتعميه هـذه الكشـافات ذاتهـا. لـن تلاحَـظ ترتيباتـه إلَّا إذا صعـد أحـدٌ إلى عـوارض التجهيـزات لسـبب مـا. وهـو لا يعتقـد أن أحـدًا سـيفعلها. كانـت مخاطـرة مقبولـة.

فتح الحقيبة البُنِّيَّة وأخرج زَوجًا من القُفَّازات المطاطية ماركة بلايتيكس، وارتداهما، وبعد ذلك أخرج واحدة من بكرتَيْن صغيرتين اشتراهما بالأمس. اشتراهما من متجر مُعِدَّات في لويستون، فقط للأمان. دفع عددًا من المسامير في فمه مثل السجائر وأخرج المطرقة. ظلَّ يُدَنْدِن بفمه المليء بالمسامير، وهو يثبِّت البَكَرَة بدقَّة في الركن أعلى المصطبة بقدم واحدة. وإلى جانبها ثبَّت مسمارًا برغيًّا صغيرًا له حلقة مفتوحة.

نزل السُّلَّم، وعبر الكواليس، وتسلَّق سُلَّمًا آخر غير بعيد عن المكان الذي دخل منه. صار في الصندرة؛ وهي نوع من العلِّيَّة الجامعة لأشياء عديدة في المدرسة. هنا كانت أكوام من الكتب السنوية القديمة، والأزياء الرياضية التي أكلتها العثَّة، والكتب الدراسية العتيقة التي قرضتها الفئران.

لو نظر يسارًا، لأمكنه أن يُسلِّط ضوء كشَّافه على عوارض التجهيزات المسرحية ويُركِّز الضوء على البكرة التي ثبَّتَها للتَّوِّ. ولو نظر يمينًا، للعب هواء الليل البارد على وجهه من فتحة في الجدار. كان ما زال يدندن وهو يخرج البكرة الثانية ويثبتها بالمسامير.

هبط وزحف خارِجًا من النافذة التي فتحها بالقوة، وأتى بالدلوين المليئين بدماء الخنازير. كان قد قضى في العمل نصف ساعة، لكنها لم تُظهر أيَّ أثر للذوبان. رفع الدلوين وسار عائدًا إلى النافذة، وبدا ظِلُّه في الظلام أشبهَ بفَلَّاحٍ عائد من مَهمَّة حَلْبِه الأولى. رفعهما بالداخل ومضى وراءهما.

كان السَّيْرُ على العارضة أسهل مع وجود دلو في كل يدٍ لخلق التوازن. عندما وصل إلى علامته المرسومة على الغبار، أنزل الدلوين، وأطلَّ على علامات الطباشير فوق أرضية الخشبة مرة أخرى، وأومأ برأسه، وسار عائدًا إلى المصطبة. فكَّر في مسح الدلوين في رحلته

الأخيرة إليهما -ستكون بصمات كيني عليهما، وكذلك دون وستيف- لكن من الأفضل ألّا يفعل ذلك. ربما تنتظرهم مفاجأة صغيرة صبيحةَ يوم السبت. جعلت الفكرة شفتيه تلتويان من المتعة.

كان الغرض الأخير في الحقيبة عبارة عن لفّة من الدوبارة الخشِنة. سار عائدًا إلى الدلوين وربط مقبضيهما بعقدتين ممتدَّتَيْن. أدخل الخيط في حلقة البرغي ثم في البكرة. ألقى الخيط المفكوك عبر الصندرة، ثم ربط ذلك الخيط. ربما لم يكن ليستمتع بمعرفة أنه في عتمة قاعة الاحتفالات، المغطّاة بخطوط من الغبار عمرها عقود من الزمان، ولفائف الغبار تطير بشكل حالم حول شَعره الشَّبيه بعش الغراب، بدا مثل روب جولدبرج[1] أحدب نصف مجنون مُصمِّم على صنع أفضل مصيدة فئران.

كوَّم الدوبارة السائبة أعلى كومة من الصناديق قرب الفتحة. هبط لآخر مرة ونفض يديه. أُنجزت المهمة.

تطلّع خارِجًا من النافذة، ثم زحف عبرها وقفز إلى الأرض. أغلق النافذة، وأعاد إدخال عتلته، وأغلق المزلاج قدر استطاعته. ثم عاد إلى سيارته.

قالت كريس إن هناك احتمالات كبيرة لأن يكون تومي روس والعاهرة وايت هما اللذان سيجلسان تحت الدلوين، وقامت بالقليل من الترويج الهادئ وسط صديقاتها. سيكون هذا جيِّدًا، لو حدث. لكن بالنسبة لبيلي، لا بأس إن كانا أي اثنين آخرين.

كان قد بدأ يفكر أنه لا بأس لو كانت كريس نفسها.

وانطلق مبتعدًا بسيارته.

---

(1) روب جولدبرج رسَّام كاريكاتير ونحَّات وكاتب ومخترع أمريكي، وُلد في 4 يوليو 1883. حاز جائزة بوليتزر عن فئة الرسوم الهزلية عام 1948. (المترجم)

من كتاب "اسمي سوزان سنيل" (ص 48):

ذهبت كاري لرؤية تومي في اليوم السابق على الحفل. كانت تنتظره خارج أحد فصوله وقال إنها بدت بائسةً فعلًا، وكأنها ظنَّت أنه سيصرخ فيها كي تتوقَّف عن التَّسكُّع حوله وتتوقَّف عن مضايقته.

قالت إنها يجب أن تكون في البيت قبل الحادية عشرة والنصف بحدٍّ أقصى، وإلَّا ستقلق أمها. قالت إنها لا تريد أن تُفسِدَ وقته أو أي شيء، لكنه ليس من العدل أن تُقلق ماما.

اقترح تومي أن يتوقَّفا عند "كيلي فروت" بعد الحفل ويتناوَلَا كأسًا من الروتبير وقطعةَ برجر. سيذهب كلُّ التلاميذ الآخرين إلى ويستوفر أو لويستون، وسيكون المكان خاليًا إلَّا منهما. قال إن وجه كاري أضاء. قالت له إن هذا سيكون طيِّبًا. طيِّبًا تمامًا.

هذه هي الفتاة التي يستمرُّون في تسميتها بالوحش. أريدكم أن تبقوا هذا بقوة في أذهانكم. الفتاة التي يمكن أن ترضى بقطعة هامبرجر وكأس من الروتبير بعشرة سنتات بعد حفل رقصها المدرسي الوحيد حتى لا تقلق أمها...

أول ما أدهش كاري عندما دخلوا كانت **الرَّوعة**. ليست روعةً عاديَّةً لكن **الروعة**. ظلال جميلة تمرُّ بثيابٍ خفخافة من الشيفون والدانتيلا والحرير والساتان. فاح الهواء بأريج زهور تحيَّرت الأنف فيها طوال الوقت. فتيات بفساتين مكشوفة الظهر، بفتحات صدر واسعة تكشف فلقات الأثداء بالفعل، بخصور مرتفعة. تنُّورات طويلة، أحذية بكعوب عالية. سترات سهرة بيضاء ساحرة، أوشحة خَصر، أحذية سوداء لامعة كالمرايا.

قليل من الناس كانوا على حلبة الرقص، ليس هناك الكثير بعد، وفي العتمة الدَّوَّارة الناعمة كانوا أطيافًا لا أجساد لها. لم تكن تريد في الحقيقة أن تراهم كزملاء دراستها. أرادتهم أن يكونوا غرباء جميلين.

كانت يد تومي ثابتة بقوة على كوعها. قال:

- الجدارية لطيفة...

- نعم...

وافقته بصوت خافت.

استأثرت الجدارية بضوءٍ سُفليٍّ ناعم أسفل البقع البرتقالية، ومال المراكبي بتراخٍ أبَديٍّ على مجدافه بينما توهَّج الغروب من حوله وتكتَّلَت الأبنية معًا فوق المياه التي تُشكِّل شوارع المدينة. أدركت كاري على نحوٍ مُباغِتٍ ومريح أن هذه اللحظة ستظل معها دائمًا، في مُتناوَل الذاكرة.

تشكَّكَت في إحساسهم جميعًا بها -لقد رأوا العالم من قبل- لكن حتى چورچ صمت لدقيقة بينما كانوا ينظرون، وثبت المشهد والرائحة وحتى صوت الفرقة الموسيقية وهي تعزف ثيمة فيلم معروفة في خفوت... ثبت كل هذا بداخلها، وأحسَّت بالسلام. عرفت روحها لحظة من الهدوء، كما لو أنها انفردت ولانت تحت مكواة.

صرخ چورچ فجأة: "ذبذبااااات..." وقاد فريدا إلى حلبة الرقص. بدأ يؤدي رقصة سوينج تهكُّميَّة على موسيقى الفرقة الكبيرة عتيقة الطراز، وصفَّر له أحدهم. برطم چورچ وغمز بعينه وشرع في أداء فقرة قصيرة من رقص القوزاق عاقِدًا ذراعيه، وانتهى به الأمر تقريبًا واقِعًا على عجيزته.

ابتسمت كاري وقالت:

- چورچ ظريف...

- هو كذلك بالتأكيد. وهو شخص طيب. هناك الكثير من الأشخاص الطيبين حولنا. أتريدين الجلوس؟

- بلى...

قالتها بامتنان.

رجع إلى الباب وعاد بنورما واطسون، التي كان شَعرُها مشدودًا في حالة انفجار كبير مُهوَّش من أجل الحفل. قالت:

- في الجانب الآخر...

وتفحَّصَت عيناها اللامعتان كعينَيْ الجرذ الصحراوي كاري من أعلى إلى أسفل، باحِثَةً عن حزام مكشوف، أو طفحٍ من البثور، أو أي خبر تحمله في عودتها إلى الباب عندما تنتهي مَهمَّتها.

- هذا فستان **جميل** يا كاري، من أين أتيت به **أصلًا**؟

أجابتها كاري بينما كانت نورما تقودهما حول حلبة الرقص إلى طاولتهما. كانت تنضح بروائح صابون إيڤون، وعطر وولورث، ولبان چوسي فروت.

كان هناك مقعدان مطويَّان عند الطاولة (مربوطان ومُزيَّنان بأشرطة من ورق الكريب الحتمي)، والطاولة نفسها كانت مزيَّنَةً بورق كريب بألوان المدرسة. أعلاها كانت هناك شمعة في زجاجة نبيذ، وبرنامج الرقص، وقلم رصاص ضئيل مذهب، وهديتان صغيرتان من هدايا الحفل- جندولان ممتلئان بتشكيلة مكسرات (بلانترز).

كانت نورما تقول:

- لا أستطيع أن أسكت **عن** هذا: أنت تبدين **مختلفة** جدًّا.

وألقت نظرة غريبة ماكِرةً على وجه كاري وجعلها هذا تشعر بالتوتُّر.

- أنت تتوهَّجين بالتأكيد. ما سِرُّكِ؟

- أنا العشيقة السرية لدون ماكلين...

قالتها كاري، واندفع تومي في ضحكةٍ سرعان ما خنقها. أفلتت نورما ابتسامةً جانبية، واندهشت كاري من خِفَّة ظِلِّها- ووقاحتها. هكذا تبدو عندما تكون النُّكتة عليك. وكأن نحلةً لسعت طرف أذنك. وجدت كاري أنها أحبَّت أن تبدو نورما على هذا النحو. كان هذا شيئًا غير مسيحي بوضوح.

قالت:

- طيب، يجب أن أعود. أليس الأمر مثيرًا يا تومي؟

كانت ابتسامتها متعاطِفةً وكأنها تقول: ألم يكن الأمر ليغدو مثيرًا لو...

قال تومي برزانة:

العَرَق البارد يسيل جارِيًا على فخِذَيَّ أنهارًا...

انصرفت نورما بابتسامة غريبة متحيرة. لم يمضِ الأمر على النحو الذي كان من المفترض أن تمضي به الأمور. كان الجميع يعلمون كيف كان مُفتَرَضًا بالأمور أن تمضي مع كاري. ضحك تومي ضحكة مكتومة مرة أخرى وتساءل:

- أتودِّين الرقص؟

لم تكن تعرف كيف ترقص، لكنها لم تكن مُستعِدَّةً للتسليم بهذا بعد.

- دعنا نجلس فقط لدقيقة.

بينما كان يضبط لها مقعدها، رأت الشمعة وسألت تومي إن كان يودُّ أن يشعلها. وفعل. التقت عيونهما من فوق لهبها. مد يده وأمسك بيدها. واستمرَّت الفرقة في العزف.

من كتاب "وانفجر الظل.." (ص 134-133):

ربمـا سـتتم دراسـة كاملـة لوالـدة كاري يومًـا مـا، عندمـا يصبـح موضـوع كاري نفسـها أكاديميًّا أكـثر. قـد أحـاول أنـا نفسـي ذلـك، فقـط لـو تمكَّنـتُ مـن الوصـول إلى شـجرة عائلـة بريجهـام. قـد يكـون مـن الشَّـيِّق للغايـة معرفـة أي وقائـع عجيبـة قـد يُصادفهـا المـرء عـبر جيلـين أو ثلاثـة سـابقين...

وهنـاك، بالطبـع، معرفتنـا بـأن كاري عـادت إلى البيـت ليلـة الحفـل. لمـاذا؟ مـن الصعـب معرفـة كـم كانـت دوافـع كاري عاقِلـةً إبَّـان ذلـك الوقـت. ربمـا ذهبـت مـن أجـل الغفـران والعفـو، أو ربمـا ذهبـت بغـرضٍ صريـح هـو ارتـكاب جريمـة قتـل الأم. عـلى أي حـال، يبـدو أن الأدِلَّـة الماديـة تشـير إلى أن مارجريـت وايـت كانـت تنتظرهـا...

كان البيت صامتًا تمامًا.

لقد رحَلَت.

في الليل.

رحَلَت.

سـارت مارجريـت وايـت ببـطء مـن غرفـة نومهـا إلى غرفـة المعيشـة. أوَّلًا جـاء تدفُّـق الـدم والخيـالات القـذرة التـي أرسـلها الشـيطان معـه. ثـم هـذه القـوة الجهنميـة التـي منحهـا الشـيطان لهـا. بالطبـع جـاءت مـع وقـت الـدم ووقـت ظهـور الشَّـعر عـلى الجسـد. آه، كانـت تعـرف قـوة الشـيطان. كانـت لـدى جَدَّتهـا نفسـها. كانـت قـادِرةً عـلى إيقـاد المدفـأة

دون حتى أن تتحرَّك من مقعدها الهزَّاز قرب النافذة. كان هذا يجعل عينيها تتوهجان

(لا تَدَعْ ساحرة تعيش)

بما يشبه ضوء الساحرات. وأحيانًا، على مائدة العشاء كانت السكرية تدور بجنون كأنها درويش. كلما حدث ذلك، كانت الجدَّة تقهقه بجنون ويسيل لعابها وتشير بعلامة العين الشريرة إلى كل ما حولها. أحيانًا كانت تلهث ككلب في يوم حار، وعندما ماتت نتيجة نوبة قلبية في السادسة والستين من عمرها، مُخرِّفَةً إلى درجة البَلَه في ذلك السِّنِّ الباكر، لم تكن كاري قد بلغت حتى عامها الأول. دخلت مارجريت إلى غرفة نومها بعد جنازة الجدَّة بحوالي أربعة أسابيع، وهناك كانت طفلتها راقدة في مَهدِها، تضحك وتغرغر، مراقبةً زجاجة معلَّقةً في الهواء فوق رأسها.

كادت مارجريت تقتلها عندئذ، لكن رالف منعها.

لم يكن ينبغي لها أن تدعه يمنعها.

وقفت الآن مارجريت وايت في منتصف غرفة المعيشة. رنا المسيح على الجُلجُلَة إليها بعينيه الجريحتين المعذَّبَتَيْن المؤنِّبَتَيْن. تكتكت ساعة الوقواق ماركة بلاك فوريست. كانت الثامنة وعشر دقائق.

لقد تمكَّنَت من الشعور، الشعور فعليًا، بقوة الشيطان وهي تعمل في كاري. كانت تزحف فوقك بأكملك، وترفعك وتجذبك مثل أصابع صغيرة شريرة مدغدغة. وشرعت في القيام بواجبها مرة أخرى عندما كانت كاري في الثالثة، عندما لمحتها تنظر نظرة الخطيئة نحو عاهرة الشيطان في حديقة الجيران. ثم جاءت الحجارة، وأصيبت بالضعف. وقد ثارت هذه القوة مرة أخرى، بعد ثلاثة عشر عامًا. لا يمكن الاستهزاء بالله.

أوَّلًا الدم، ثم القوة،

(توقِّع باسمك تُوقِّعه بالدم)

والآن صبيٌّ ورقصٌ، وسيأخذها بعد ذلك إلى نُزُلٍ على الطريق، يأخذها إلى ساحة انتظار سيارات، يأخذها في المقعد الخلفي، يأخذها...

دم، دم طازج. كان الدم دائمًا هو الأصل، والدم وحده مَن يمكنه أن يُكَفِّر عن ذلك.

كانت امرأةً ضَخمَةً ذات ذراعين ضخمتين في جزئهما العلوي، حتى أن كوعَيْها تقزَّما وصارَا غمَّازَتَيْن، لكن رأسها كانت صغيرةً على نحو مُدهِشٍ في نهاية عنقها القوي المفتول. ذات يوم كان لها وجه جميل. وكان ما زال جميلًا بطريقة غريبة مُتعصِّبة. لكن العينين اتَّخَذَتا نظرة غريبة شاردة، وتعمَّقَت الخطوط بقسوة حول الفم الضعيف المزموم في إنكار وغرابة في نفس الوقت. شعرها، الذي كان كله تقريبًا أسود منذ عام، صار الآن أبيض تقريبًا.

الطريقة الوحيدة لقتل الخطيئة، الخطيئة السوداء الحقيقية، هي إغراقها في دماء

(لا بُدَّ من التضحية بها)

قلب تائب. بالتأكيد فَهِمَ الرَّبُّ هذا، ووضع إصبعه عليها. ألم يأمر الرَّبُّ نفسُه إبراهيمَ بالصعود بولده إسحق أعلى الجبل؟

مشيت بخطواتٍ ثقيلة إلى المطبخ بخُفِّها المنزلي القديم المفلطح، وفتحت درج أدوات المطبخ. كان السِّكِّين الذي يستخدمونه في الحَفر طويلًا وحادًّا ومُقوَّسًا في المنتصف من الشحذ المستمر. جلست على المقعد الدائري العالي قرب النُّضُد، ووجدت قطعة حجَرِ المسَنِّ في طبقها الألومنيوم الصغير، وبدأت تحكُّه بامتداد حافة النصل اللامع بذلك الانتباه الفاتر الموجَّه لدى الملاعين.

تكتكت ساعة الوقواق ماركة بلاك فوريست وتكتكت، وأخيراً قفز الطائر خارجًا ليُغرِّد مرَّةً واحدة ويعلن الثامنة والنصف.

في فمها أحسَّت بمذاق الزيتون.

يُقدِّم فصلُ الخِرِّيجين برنامج حفل الربيع الراقص لعام 79

27 مايو 1979

موسيقى لفرقة بيلي بوسنان

موسيقى لخوسيه وفرقة مونجلو

ترفيه

"كباريه"- تدوير العصا تقوم به ساندرا ستينشفيلد

أغنيات

"Miles 500"

"Lemon Tree"

"Mr. Tambourine Man"

موسيقى فولك يقدِّمها چون سويثين وموريِن كُوان

"The Street Where You Live"

"Raindrops Keep Fallin' on My Head"

"Bridge Over Troubled Water"

كورس مدرسة إيوين الثانوية

المشرفون

مستر ستيفينز، الآنسة جير، السيدة لوبلين

الآنسة ديسياردين

التتويج في العاشرة مساء

تذكَّروا، إنه حفلكم: اجعلوه حفلًا

يبقى دائمًا في الذاكرة!

عندما سألها للمرة الثالثة، اضطرَّت كاري للاعتراف بأنها لا تعرف كيف ترقص. ولم تُضِف أنها الآن، بعد أن اضطلعت فرقة الروك بفقرةٍ مُدَّتُها نصف ساعة، ستشعر أنها في غير مكانها وهي تدور وتهتزُّ على الحلبة،

(وآثمة)

نعم، وآثِمَة.

أومأ تومي برأسه، ثم ابتسم. مال إلى الأمام وأخبرها أنه يكره الرقص. أتَوَدُّ التَّجوُّل وزيارة بعض الطاولات الأخرى؟ تَصاعَد الذُّعر كثيفًا في حلقها، لكنها أومَأَت برأسها. بلى، سيكون هذا لطيفًا. كان يراعيها، ولا بُدَّ أن تراعيه (حتى لو لم يتوقَّع ذلك بالفعل)؛ كان هذا جزءًا من الصفقة. وهي أحسَّت أنها مَكسُوَّةٌ بغبار سِحرِ هذه السهرة. امتلأت فجأة بالأمل في ألَّا يَمدَّ أحدهم قَدَمًا أو يلصق بطريقة ماكرة لافِتةً مكتوب عليها "اركلني بقوة" على ظهرها أو يبخَّ الماء فجأة في وجهها من لعبة على شكل قرنفلة وينسحب مقهقهًا بينما الجميع يضحكون ويشيرون بأصابعهم ويصفِّرون.

وإذا كان هناك سِحرٌ فإنه ليس إلهيًا بل وَثنيًا

(ماما... فُكِّي خيوط وصايتك فأنا أكبر)

وقد أرادته على هذا النحو.

قال وهما ينهضان:

- انظري...

كان اثنان أو ثلاثة من عُمّال المسرح يدفعان عرشَيْ الملك والملكة من الجناحين بينما كان مستر لافوي، المسؤول الرئيسي، يُوجِّههم بحركات اليد نحو العلامات المرسومة مُسبقًا على أرضية المسرح. فكَّرت أنهما يبدوان أقربَ لعَرش الملك آرثر بعض الشيء، هذان العرشان، المكسوَّان تمامًا بالأبيض الساطع، وقد تناثَرَت عليهما زهورٌ حقيقية وشعاراتٌ ضخمة من ورق الكريب.

قالت:

- إنهما جميلان.

قال تومي:

- أنتِ جميلة...

وأصبَحَت متأكِّدةً تمامًا أنه لا يمكن أن يحدث شيء سيِّئ هذه الليلة- وربما حتى يتمَّ التصويت لهما كملك وملكة الحفل. ابتسمت من حماقتها.

كانت الساعة التاسعة.

- كاري؟

قالها صوت ما بطريقةٍ مُتردِّدة.

كانت مستغرقة تمامًا في مراقبة الفرقة الموسيقية وحلبة الرقص والطاولات الأخرى، حتى أنها لم تَرَ أيَّ شخص يقترب على الإطلاق. وكان تومي قد ذهب ليأتي لهما بكأسين من شراب البَنش.

التفتت ورأت الآنسة ديسياردن.

للحظة أو اثنتين اكتفت إحداهما بالنظر إلى الأخرى، وارتحَلَت الذكرى بينهما، موصولةً

(رأتني... رأتني عارية ودامية وصارخة)

دون كلمات أو أفكار. كانت في العيون.

ثم قالت كاري في خجل:

- تبدين جميلة جدًّا يا آنسة ديسياردن.

وكانت هكذا بالفعل ارتدت ثوبًا فِضِّيًّا ضيِّقًا لامِعًا، توافق تمامًا مع شَعرها الأشقر المرفوع إلى أعلى. وتدلَّت قلادة بسيطة حول عنقها. بدت شابَّةً جدًّا، شابة لدرجة تجعلها أقرب لواحدة من الحضورَ وليس المشرفين.

- أشكرك.

تردَّدَت، ثم وضعت يدًا في قفاز على ذراع كاري، وقالت:

- أنتِ جميلة...

حملت كل كلمة تأكيدًا خاصًّا.

أحسَّت كاري أنها تَحمَرُّ خَجَلًا من جديد وأطرقت بناظريها إلى الطاولة.

- لطيف للغاية منك أن تقولي هذا. أعرف أني لست... لست فعلًا... لكن أشكرك على أي حال.

- هـذا حقيقـي. يـا كاري، أي شيء حـدث مـن قبـل... حسـنٌ، كل شيء طـواه النسـيان. أرَدتُـكِ أن تعـرفي هـذا.

- لا يمكنني نسيانه...

قالتهـا كاري ورفعـت ناظريهـا. كانـت الكلـمات التـي صعـدت إلى شـفتيها: لم أَعُـد ألـوم أحـدًا إطلاقًـا. حبسـتها. كانـت كذبـةً. كانـت تلومهـم جميعًـا، وسـتظلُّ دائمًـا، وأرادت أن تكـون صادِقـةً أكـثر مـن أي شيء آخـر.

- لكن الموضوع انتهى. انتهى الآن.

ابتسـمت الآنسـة ديسـياردن، وبـدا أن عينيهـا تلتقطـان وتحتجـزان خليـط الأضـواء الناعـم في سـائل لامـع تقريبًـا. نظـرت نحـو حلبـة الرقـص، وتبعـت كاري نظرتهـا. قالـت ديسـياردن بنعومـة:

- أذكـر حفـل تخرُّجـي. كنـتُ أطـولَ بوصتـين مـن الفتـى الـذي ذهبـتُ معـه عندمـا ارتديـتُ حـذائي ذا الكعـب العـالي. منحنـي باقـة زهـور صغـيرة تعارَضَـت مـع ثـوبي. انكـسر أنبـوب العـادم في سـيارته وأصـدر المحـرك... آه، جلبـة فظيعـة. لكـن كان الأمـر سـحريًا. لا أعـرف لمـاذا. لكنـي لم أحـظَ قَـطُّ بموعِـدٍ غراميٍّ مثلـه، ولا مـرة بعـد ذلـك.

ثم نظرت إلى كاري وقالت:

- هل الأمر كذلك بالنسبة لك؟

- لطيف جدًّا...

- وهذا كل شيء؟

- لا. هناك المزيد. لا أستطيع أن أقول كل شيء. ليس لأي شخص.

ابتسمت ديسياردن وضغطت ذراعها:

- لن تنسيه أبدًا. أبدًا.

- أعتقد أنك على حق.

- تمتَّعي بوقتِكِ يا كاري.

- أشكرك.

جاء تومي بكوبين ورقيين من شراب البَنش بينما انصرفت ديسياردن، مُلتَفَّةً حول حلبة الرقص نحو طاولة المشرفين.

سألها وهو يضع الكوبين الورقيين بحرص:

- ماذا أرادت؟

قالت كاري وهي تنظر في إثرها:

- أعتقد أنها أرادت أن تقول إنها آسفة.

جلست سو سنيل بهدوء في غرفة المعيشة ببيتها، تخيط حاشية ثوب وتستمع إلى ألبوم **Long John Silver** لفرقة جيفرسون آيربلاين. كان ألبومًا قديمًا ومخدوشًا على نحو سيِّئ، لكنه مُهدِّئ.

كان والداها قد خرجا لقضاء السهرة. كانا يعرفان ما يجري، كانت متأكِّدةً من ذلك، لكنهما وفَّرَا عليها الحوارات المحرجة حول كم كانا فخورين بابنتهما، أو كم كانا سعيدين لأنها تكبر أخيراً. سعدت لأنهما قرَّرَا أن يتركاها وحدها؛ لأنها كانت ما زالت غير مرتاحة تجاه دوافعها وتخشى أن تختبرها بعمق أكثر من اللازم، خشية أن تكتشف جوهرة من الأنانية تتوهج وتغمز لها من قلب المخمل الأسود لِئَلّا وعيها.

لقد فعلتها، وهذا كافٍ، كانت راضية.

(ربما سيقع في حبها)

رفعت عينيها وكأن أحدًا قد تحدَّث من الرواق، وابتسامة فَزِعَةً تلوي شفتيها. ستكون هذه نهاية حكاية خيالية بالفعل. ينحني الأمير فوق الجميلة النائمة، ويلمس شفتيها بشفتيه.

سو، لا أعرف كيف أخبرك بهذا لكن...

بهتت الابتسامة.

تأخَّرَت دورتها الشهرية. تأخَّرَت أسبوعًا تقريبًا. وكانت دائمًا منتظمة مثل تقويم الحائط.

طقطق مُغيِّر الأسطوانات، وهبطت أسطوانة أخرى. في الصمت المفاجئ القصير، سمعت شيئًا بداخلها ينقلب. ربما هي روحها فقط.

كانت التاسعة والربع.

قاد بيلي سيارته إلى الطرف الآخر من ساحة انتظار السيارات وتوقَّف عند كشك يواجه المنحدر الأسفلتي المؤدي إلى الطريق السريع. همَّت كريس بالنزول وأعادها في جَذبَةٍ مفاجئة. توهَّجَت عيناه بوحشية في الظلام. قالت بتوتُّرٍ غاضب:

- ماذا؟

- هم يستخدمون نظام مُكبِّرات صوت لإعلان الملك والملكة، بعد ذلك ستلعب إحدى الفرق أغنية المدرسة. هذا يعني أنهما يجلسان هناك على هذين العرشَيْن، المستهدفين.

- أعرف كل هذا. اتركني أمضي. أنت تؤلمني.

عصر رسغها أكثر رغم ذلك وأحسَّ بصرير العظام الصغيرة. منحه هذا مُتعَةً شرسة. لكنها لم تصرخ ولم تَبكِ. كانت قوية إلى حدٍّ كبير.

- اسمعيني، أريدك أن تعرفي ما أنتِ مُقبِلَة عليه. اجذبي الحبل عندما تُعزَف الأغنية. اجذبيه بقوة. سيكون هناك قدر من الارتخاء البسيط بين البكرتين، لكن ليس كثيراً. عندما تجذبينه وتحسين بهذين الدلوين ينسكبان، اجري. لا تتريَّثي حتى تسمعي الصرخات أو أي شيء آخر. هذه ليست نُكتَةً صغيرة لطيفة من نِكات الدوري. هذا اعتداءٌ إجرامي، أتفهمين؟ لن يعاقبوك بالغرامة. سيضعونك في السجن ويلقون المفتاح من فوق أكتافهم.

كانت خُطبَةً هائلة بالنسبة له.

حملقت عيناها فيه فقط، ممتلئتين بغضب مُتحدٍّ.

- هل فهمتِ؟

- نعم.

- تمام. عندما ينسكب الدلوان، سأجري. وعندما أصل إلى السيارة، سأقودها مبتعدًا. لو كنتِ موجودةً، يمكنك المجيء. ولو لم تكوني، سأترُكُكِ. لو تركتك وفقدت أعصابك وأفشيت الأمر، سأقتلك. هل تصدقِّينني؟

- نعم. أَبْعِد يديك اللعينتين عني.

وفعلها. ولمس ظِلُّ ابتسامة مغصوبة وجهه.

- تمام. سيكون هذا جيِّدًا.

خرجا من السيارة.

كانت التاسعة والنصف تقريبًا.

كان ڤيك موني، أمين فصل دفعة المتخرِّجين، ينادي بمرح في الميكرفون:

- لا بأس سيداتي سادتي. اتَّخِذوا مقاعدكم من فضلكم. لقد حان وقت التصويت. سنُصوِّت من أجل الملك والملكة.

- هذا التنافُس إهانة للمرأة!

هتفت ميرا كروز بمزاج رائق غير قلق.

- وإهانة للرجل أيضًا!

ردَّ عليها چورچ داوسون، وضحك الجميع. صمتت ميرا. لقد قامت باحتجاجها الرمزي.

- اتَّخِذوا مقاعدكم من فضلكم!

كان ڤيك يبتسم في الميكروفون، يبتسم ويَحمَرُّ وَجهُه بشدة، وهو يداعب بإصبعه بَثْرَةً على ذقنه. نظر المراكبي الڤينيسي الضخم خلفه نظرةً حالمة من فوق كتف ڤيك.

- وقت التصويت.

جلست كاري وكذلك تومي. كانت تينا بليك ونورما واطسون توزِّعان نُسَخًا من أوراق الاقتراع، وعندما ألقت نورما واحدة على طاولتهما وهتفت:

- حظٌّ سعيد!

التقطت كاري ورقة الاقتراع وفحصتها. انفتح فمها مشدوهًا.

- تومي، نحن هنا!

- نعم، رأيت ذلك. تُصوِّت المدرسة للمُرشَّحين الفرادى، ومرافقوهم يتمُّ اختطافهم تقريبًا ليعملوا عبيدًا في السفينة. أهلًا بكِ على ظهر السفينة. هل نرفض؟

عضَّت شفتها ونظرت إليه:

- هل تريد أن ترفض؟

قال بمرح:

- اللعنـة، لا. لـو فُـزتِ كل مـا عليـك أن تفعليـه هـو الجلـوس هنـاك بينـما تعـزف أغنيـة المدرسـة ورقصـة واحـدة وتلويحـة بالصولجان، وأن تظهـري بمظهـر حمقـاء لعينـة. يلتقطـون صورتـك مـن أجـل الكتـاب السـنوي حتـى يسـتطيع الجميـع أن يـروا أنـك كنـتِ تشـبهين حمقـاء لعينـة.

- لمن نصوِّت؟

نقلـت نظرهـا مُتشـكِّكةً مـن ورقـة الاقـتراع إلى القلـم الرصـاص الضئيـل إلى جـوار قاربهـا المـليء بالمكـسرات.

- إنهم جمهورك أكثر ممَّا هم جمهوري.

أفلتت منها ضحكة مكتومة.

- في الحقيقة، ليس لديَّ جمهور بالفعل.

هزَّ كتفيه وقال:

- فلنصوِّت لأنفسنا. إلى الجحيم بالنَّزاهة الزائفة.

ضحكـت بصـوت عـال، ثـم غطَّـت فمهـا بيدهـا. كان الصـوت غريبًـا بالكلِّيَّـة تقريبًـا عنهـا. وقبـل أن تتمكَّـن مـن التفكـير، وضعـت دائـرةً حـول اسـميهما، الثالـث مـن أعـلى. انكـسر القلـم الرصـاص الضئيـل في يدهـا، وشـهقت. خدشـت شـظيةٌ بَطـنَ أحـدِ أصابعهـا، وانبثقـت نقطـة صغـيرة مـن الـدم.

- جَرَحتِ نفسك؟

- لا.

ابتسَمَت، لكن فجأة كان من الصعب الابتسام. كان منظر الدم مُقرِفًا لها. جفَّفته بمنديل مائدتها.

- لكني كسَرتُ القلم الرصاص وكان تذكارًا. أنا غبية.

- ها هو قاربك...

قالها ودفعه نحوها:

- توووت، توووت.

انغلق حَلقُها، وأحسَّت بالثقة من أنها ستبكي، وبعد ذلك ستشعر بالخجل. لكنها لم تفعل، بل التمعت عيناها كموشورين زجاجين، وخفضت رأسها حتى لا يراها.

كانت الفرقة تعزف موسيقى جذَّابةً لملء الوقت بينما كان مرشدو (جمعية الشرف) يجمعون أوراق الاقتراع المطوية. أخذوها إلى طاولة المشرفين قرب الباب، حيث قام ڤيك ومستر ستيفينز والسيد والسيدة لوبلين بإحصائها. تفحَّصَت الآنسة جير كلَّ شيء بعينين ضيقيتين متجهِّمَتَيْن.

أحسَّت كاري ببدودة تَوتُّرٍ عنيدة بداخلها، تقلَّصَت عضلات بطنها وظهرها. قبضت على يد تومي بإحكام. كان هذا سخيفًا بالطبع. لا أحد سيصوِّت لهما. ربما كانوا ليُصَوِّتوا للحصان الفحل، لكن ليس عندما يُشَدُّ مع بقرة إلى عربة يُفترض أن يجرَّها جوادان. سيكون التصويت لفرانك وچيسيكا، أو ربما دون فرانهام وهيلين شايرز. أو... اللعنة!

كانت هناك كومتان تكبران أكثر من الأخريات. أنهى مستر ستيفينز تقسيم القصاصات وقام المشرفون الأربعة جميعًا واحدًا إثر آخر بإحصاء الكومَتَيْن الكبيرتين اللتين بدا أنهما متماثِلَتان. تقاربت رؤوسهم، وتشاوروا، وأحصوا الكومتين مرة أخرى. أومأ مستر ستيفينز

برأسه، وأحصى بإبهامه أوراق الاقتراع مرَّةً أخرى كرَجُلٍ على وشك توزيع أوراق دَوْرٍ من البوكر، وأعادها إلى ڤيك الذي عاود الصعود على خشبة المسرح واقترب من الميكروفون. عزفت فرقة بيلي بوسنان نغمة صادحة للفت الانتباه. ابتسم ڤيك في توتُّر، وجلى حلقه في الميكروفون، ورمش بعينيه أمام ما نتج من طنينٍ مفاجئ. كاد يسقط أوراق الاقتراع على الأرضية، التي كانت مُغطَّاة بكابلات كهربائية ثقيلة، وكتم أحدهم ضحكته.

قال ڤيك ببساطة:

- لقد واجهتنا مشكلة نوعًا ما. يقول مستر لوبلين إن هذه هي المرة الأولى في تاريخ حفل الربيع...

قال شخصٌ ما خلف تومي متذمِّرًا:

- إلى أيِّ حَدٍّ يبلغ به القِدم؟ مائة وثمانون عامًا؟

- لدينا تعادل.

تصاعَدَت همهمة من الحشد عند سماع هذه الجملة. هتف چورچ داوسون:

- المنقَّط أم المخطَّط؟

وتعالت بعض الضحكات. ابتسم ڤيك ابتسامةً صغيرة متوتِّرةً وكاد يسقط أوراق الاقتراع مرة أخرى.

- ثلاثة وستون صوتًا لفرانك جرير وچيسيكا ماكلين، وثلاثة وستون صوتًا لتوماس روس وكاري وايت.

تَبِعَت ذلك لحظةٌ من الصمت، وبعد ذلك تصفيق مُتزايِدٌ مفاجئ. نظر تومي إلى رفيقته. كانت رأسها مُطرِقَةً، وكأنها تحسُّ بالخجل، لكن انتابه إحساس مفاجئ

(كاري كاري كاري)

لا يشبه ذلك الإحساس الذي انتابه عندما طلب منها مرافقته إلى الحفل. أحسَّ عقله وكأن هناك شيئًا غريبًا يتحرَّك بداخله، ينادي اسم كاري مرَّةً بعد مرَّة. كأن...

هتف ڤيك:

- انتباه! لو أمكن لي أن أحظى بانتباهكم من فضلكم.

هدأ التصفيق.

- سنُجري جولةَ إعادة. عندما يصل إليكم الأشخاص المُوزِّعون لقصاصات الورق، من فضلكم اكتبوا اسمَيْ الثنائي اللذين تفضِّلونهما.

ترك الميكروفون وقد بدا عليه الارتياح.

وُزِّعَت أوراق الاقتراع التي جرى تمزيقها على عجل من برامج الحفل المتبقِّية. عزفت الفرقة الموسيقية دون أن يلاحظها أحد وتحدَّث الناس بانفعال.

رفعت كاري رأسها وقالت:

- لم يكونوا يُصفِّقون من أجلنا.

كان الشيء الذي أحسَّ به (أو اعتقد أنه أحسَّ به) قد ذهب.

- لا يمكن أن يكون من أجلنا.

- ربما كان من أجلك.

نظرت إليه، دون أن تنطق.

همست له:

- لماذا يستغرق الأمر كل هذا الوقت؟ سمعتهم يصفقون. ربما كان هذا إشارة لأن الأمر قد تَمَّ. لو أنك أفسدت...

تدلى الحبل بطوله بينهما في تراخٍ، لم يلمسه أحدٌ منذ غرز بيلي المفكَّ عبر النافذة ورفعها. قال بهدوء:

- لا تقلقي. سيعزفون أغنية المدرسة. يفعلونها دائمًا.

- لكن...

- اخرسي. أنتِ تتحدَّثين أكثر من اللازم.

ومض طرف سيجارته بهدوء في الظلام.

خَرَسَت. لكن

(آه عندما ينتهي هذا ستنالها يا صاحبي فلتذهب إلى الفراش مع ألم في الخصيتين اللتين لن تجدا من يفرغهما لك)

ذهنها ردَّد كلماته بغضب شديد، وخزَّنها بداخله. لم يتحدث أحد إليها بهذا الأسلوب. كان أبوها محاميًا.

كانت العاشرة إلا سبع دقائق.

كان يمسك بالقلم الرصاص المكسور في يده، مستعدًّا للكتابة، عندما لمست رسغه بخِفَّة، بتردُّد.

- لا...

- ماذا؟

أخيرًا قالت:

- لا تُصوِّت من أجلنا...

رفع حاجبيه متسائلًا:

- لِمَ لا؟ مَن بدأ شيئا يُنهِهِ. هكذا تقول أمي دائمًا.

(أُم)

ارتسمت صورة في ذهنها على الفور، أمها وهي تُتَمتِم بصلوات لا نهائية إلى إلَهٍ مُترفِّعٍ ناءٍ مُتعالٍ يطوف على ساحات انتظار السيارات عند النُّزُل وفي يده سيفٌ من نار. تصاعَدَ الذُّعرُ بداخلها في قتامة، وكان عليها أن تجاهد بروحها كلها كي تصدَّه. لم تستطع أن تفسِّر جزعها، إحساسها المُنذِر بوقوع خَطبٍ ما. لم تستطع إلا أن تبتسم في عجز وتُكرِّر:

- لا تفعل. من فضلك.

كان أعضاء (جمعية الشرف) قادمين من جديد ليجمعوا القصاصات المطوية. تردد لحظة أخرى، ثم شخبط فجأة اسميْ تومي وكاري على قصاصة الورق الممزَّقة وقال:

- من أجلك. الليلة من حقك ركوب الدرجة الأولى.

لم تستطع أن تَرُدَّ عليه، لأن الشعور المنذر كان متجسِّدًا لها: وجه أمها.

انزلق السكين من حَجَرِ المسنِّ، وفي لحظةٍ جَرَحَ بَطنَ كَفِّها أسفل الإبهام.

نظرت إلى القطع. كان ينزف ببطء، بكثافة، من الشفتين المفتوحتين للجرح، سائِلًا من يدها ومُبقِّعًا المشمَّع البالي لأرضية المطبخ. جيِّد إذًا. كان هذا جيِّدًا. لقد ذاق النَّصلُ طعم اللحم وأسال الدم. لم تُضمِّده، لكنها غَطَّت بدَفقِ الدِّماء الطَّرفَ القاطع، تارِكةً الدَّمَ يُطفِئ لمعة النصل الحادة. ثم بدأت تشحذها من جديد، غير عابئة بالقطرات التي تناثرت على ثوبها.

إن كانت عينك اليمنى تعثِّرك فاقلعها.

إن كان كتابًا مُقدَّسًا صَعبًا، فهو أيضًا حُلوٌ وجيد. كتاب مقدَّس مناسب لهؤلاء الذين يتخفَّون في ظلال مدخل فنادق الليلة الواحدة ووسط الحشائش خلف صالات البولينج.

اقلعها.

(آه والموسيقى القذرة التي يعزفونها)

اقلعها.

(تكشف الفتيات ثيابهن الداخلية كيف تتعرَّق كيف تتعرَّق دمًا)

اقلعها.

بدأت ساعة الوقواق ماركة بلاك فورسيت تدقُّ العاشرة و

(انزع أحشاءها وألْقِها على الأرض)

إن كانت عينك اليمنى تعثِّرك فاقلعها.

انتهت من الفستان ولم تستطع أن تشاهد التليفزيون أو تُخرج كتبها أو تتصل بنانسي تليفونيًّا. لم يكن أمامها شيء تفعله غير الجلوس على الأريكة في مواجَهةِ عتمة نافذة المطبخ والشعور بنوع مجهول من الخوف يتنامى بداخلها كطفل يدخل مرحلة مرعبة.

تنهَّدَت وبدأت تُمسِّد ذراعيها شاردة الذهن. كانتا باردتين ومُقشَعِرَّتَيْن. السَّاعة العاشرة واثنتا عشرة دقيقة وليس هناك سبب، فعلًا لا يوجد سبب، كي تشعر بأن العالم يقترب من النهاية.

كانت الكومتان أعلى هذه المرة، لكنهما ما زالتا تبدوان متماثِلَتَيْن تمامًا. مرة أخرى، جرى الإحصاء ثلاث مرّاتٍ للتأكُّد. ثم تَوَجَّه ڤيك إلى الميكروفون مرة أخرى. توقَّف للحظة، مُتلَذِّذًا بشعور التوتر الكئيب في الجو، ثم أعلنها ببساطة:

- تومي وكاري يفوزان. بفارق صوت واحد.

ساد صمت تام للحظة. ثم ملأ التصفيق القاعة مرَّةً أخرى، دون أن يخلو بعضه من أصداء تهكُّميَّة. ندَّت عن كاري شهقة مفزوعة مخنوقة، وأحسَّ تومي مرة أخرى (لكن لمدة ثانية واحدة فقط) بذلك الدُّوار الغريب في رأسه

(كاري كاري كاري كاري)

الذي بدا أنه يمحو كل فكرة إلا اسم وصورة هذه الفتاة الغريبة التي كان معها. للحظة عابرة كان مرعوبًا تمامًا حرفيًّا.

سقط شيء ما على الأرضية مُجَلجِلًا، وفي نفس اللحظة هَبَّت لفحةُ هَواءٍ أطفأت الشمعة بينهما.

ثم بدأت فرقة خوسيه والمونجلوز تعزف نسخة روك من أغنية "Pomp and Circumstances"، وظهر المرشدون عند طاولتهما (بطريقة سحريَّة تقريبًا؛ حيث كان كل هذا قد جرى التدريب عليه بدقَّة على يد الآنسة جير التي، وفقًا للشائعات، تغذَّت بالمرشدين البطيئين والبُلَداء)، ودُفع صولجان ملفوف بورق الألمونيوم في يد تومي، وأُلقِيَ برداءٍ له ياقة ناعمة من فراء الكلاب على كتفَيْ كاري، وقادهما صبيٌّ وفتاة يرتديان سُترَتَيْن بيضاوين عبر الممرِّ الأوسط. صدحت أبواق الفرقة الموسيقية. صفق الجمهور. بدت الآنسة جير وكأنها أبرأت ذِمَّتها. وكان تومي روس يبتسم مرتبكًا.

اقتيدا ليصعدا الدرجات إلى خشبة المسرح، ثم إلى العرشين حيث أُجلِسَا. وكان التصفيق ما زال يتصاعد. ضاع التهكُّم فيه الآن؛ كان صادِقًا وعميقًا، ومُخيفًا بعض الشيء. كانت كاري سعيدةً بالجلوس. حدث كل شيء أسرع من اللازم. كانت ساقاها ترتعشان أسفلها وفجأة، حتى مع الرقبة المرتفعة نسبيًّا لثوبها، أحسَّت أن ثدييها

(الوسادتان الوسختان)

مكشوفان على نحو مريع. جعلها صوت التصفيق في أذنيها تشعر بالدوخة، وكأنها تعرَّضَت لِلَكمَةٍ في رأسها. جزء منها كان مُقتَنِعًا بالفعل أن كل هذا حلم ستستيقظ منه بمشاعر مختلطة من الفقد والراحة.

أعلن ڤيك بصوت عال في الميكروفون:

- ملك وملكة حفل ربيع 1979- تومي **روس** وكاري **وايت!**

ما زال التصفيق يتزايد ويُدوِّي ويجلجل. تناول تومي روس، في اللحظات الأخيرة من حياته الآن، يد كاري وابتسم إليها، مفكِّرًا أن حَدْسَ سوزي كان صحيحًا جدًّا. وبشكل ما ردَّت كاري له الابتسامة. تومي

(كانت على حقٍّ وأنا أحبُّها طيِّب أنا أحب هذه الفتاة أيضًا كاري هذه هي هذه هي جميلة وهذا صحيح وأنا أحبهم جميعًا الضوء الضوء في عينيها)

وكاري

(لا يمكنني أن أراهم الأضواء ساطعة أكثر من اللازم يمكنني أن أسمعهم لكن لا يمكنني أن أراهم الدُّش تَذكَّري الدُّشَّ يا ماما المكان هنا أعلى أكثر من اللازم أعتقد أن أريد النزول آه هم يضحكون ويستعدون لإلقاء الأشياء والإشارة بأصابعهم والصراخ بالضحك لا يمكنني أن أراهم لا يمكنني أن أراهم الأضواء أكثر سطوعًا من اللازم)

والعارضة فوقهما.

كلتـا الفرقتـين، في اندمـاجٍ مُفاجـئ ومُتوافِـق للـروك والنحاسـيات، انتقلتـا إلى أغنيـة المدرسـة. وقـف جمهـور الحاضريـن عـلى أقدامهـم وبـدؤوا يغنُّـون، وهـم مـا زالـوا يصفقـون.

كانت الساعة العاشرة وسبع دقائق.

كان بيـلي قـد ثنـى ركبتيـه للتـو ليطرقـع مفاصلـه. وقفـت كريـس هارجنسـن إلى جـواره بعلامـات توتُّـرٍ متزايـدة. لعبـت يداهـا بشـكل عشـوائي في دروز الجينـز الـذي ارتدتـه وأخـذت تعـضُّ الجـزء الطـري مـن شـفتها السـفلى، وتلوكـه، حتـى جعلتـه مهترئًـا قليـلًا.

قال بيلي بصوتٍ خفيض:

- أتعتقدين أنهم سيصوِّتون لهما؟

- سيفعلونها. لقـد خطَّطـتُ لهـذا. ولـن يكـون الفـارق بسـيطًا. لمـاذا يسـتمرُّون في التصفيـق؟ مـاذا يجـري هنـاك؟

- لا تسأليني يا حبيبتي. أنا...

فجـأة هـدرت أغنيـة المدرسـة، زاخِـرةً وقويَّـة في هـواء مايـو العليـل، وقفـزت كريـس كـما لـو أنهـا لُدِغَـت. أفلتـت منهـا شـهقةُ دهشـةٍ خفيضة.

فليشب الجميع واقِفًا من أجل توماس إيوين الثانوية...

- هيا... إنهما هناك.

توهَّجَت عيناه قليلًا في الظلام. ومسَّت نصف الابتسامة الغريبة ملامحه.

لعقت شفتيها. وحدَّق كلاهما في امتداد حبل الدوبارة.

سنرفع ألويتك إلى عنان السماء...

همست:

- اخرس...

كانت ترتعد، ودار بخلده أن جسدها لم يبدُ قَطُّ وافِرًا أو مُثيراً هكذا من قبل. عندما ينتهي هذا سيضاجعها حتى تبدو كل مرة سبق لها أن مارست الجنس فيها وكأنها كانت بحركتين من بنصر لوطيٍّ. سيدخلها مثل كوز ذرة في الزُّبد.

- ألا تملكين الجسارة يا حبيبتي؟

مال إلى الأمام وتابع:

- لن أجذبه من أجلك يا حبيبتي. يمكنني الجلوس هناك حتى يتجمَّد الجحيم.

بفخر نرتدي الزي الأحمر والأبيييييض...

خرج من فمها صوتٌ مفاجئ مخنوق لعلَّه كان نصفَ صرخة، ومالت إلى الأمام وجذبت الحبل في حركة عنيفة بيديها الاثنتين. ظلَّ مُرتَخيًا دون أثر للحظة، ليجعلها تظنُّ أن بيلي كان يخدعها طوال هذا الوقت، أن الحبل ليس مربوطًا بشيء إلا الهواء. ثم ارتدَّ مشدودًا، وظل هكذا لثانية، قبل أن ينفلت بين كفَّيها بقسوة، تارِكًا شعورًا خفيفًا بالاحتراق. بدأت تقول:

- أنا...

توقَّفت الموسيقى بالداخل وقفة مجلجلة مضطربة. للحظة استمرَّت الأصوات المتنافرة ساهية، وبعد ذلك توقَّفَت. سادت هنيهة من الصمت، ثم صرخ أحدهم. وحلَّ الصمت من جديد.

حدَّق أحدهما في الآخر وسط الظلام، متجمِّدَيْن من الفعل الحقيقي كما لم يمكن للفكرة أن تفعل بهما. تحوَّلَت أنفاسها إلى زجاج في حلقها.

وفي الداخل، بدأ الضحك.

كانت الساعة العاشِرةَ وخمسًا وعشرين دقيقة، وكان إحساسها يزداد سوءًا أكثر وأكثر. وقفت سو أمام البوتاجاز على قَدَمٍ واحدة، منتظرة أن يبدأ اللبن في التبخُّر كي تضيف كاكاو "نستله". شرَعَت مرَّتَيْن في الصعود إلى الطابق العلوي وارتداء ثوب النوم وتوقَّفَت مرَّتَيْن، مُنجَذِبَة دون أي سبب إلى نافذة المطبخ التي كانت تطلُّ على تلِّ بريكيارد هِل والمنحنى الحلزوني للطريق السادس المؤدِّي إلى البلدة.

والآن، عندما بدأت الصُّفَّارة الموضوعة أعلى مجلس البلدية في الشارع الرئيسي تزعق في الليل صاعدة وهابطة في دوائر من الذُّعر، لم تلتفت حتى إلى النافذة على الفور، بل اكتفت بإطفاء النار تحت اللبن حتى لا يحترق.

كانت صفَّارة مجلس البلدية تنطلق كل يوم في الثانية عشرة ظُهرًا فقط، وكذلك لاستدعاء قسم المطافئ التطوُّعي خلال موسم حرائق العشب في أغسطس وسبتمبر. كانت مخصَّصةً بشكل صارم للكوارث الكبرى، وكان صوتها كابوسيًّا ومُرعِبًا في البيت الخالي.

اتَّجَهَت إلى النافذة، لكن ببطء. ارتفع زعيق الصفارة وانخفض، وارتفع وانخفض. وفي مكان ما، بدأت الأبواق تصدح، كما لو في حفل زفاف. كان بمقدورها أن ترى انعكاس وجهها في الزجاج المعتم، بشفتين منفرجتين، وعينين متسعتين، ثم تكثَّف بخار أنفاسها لتَغيمَ الصُّورة.

عاوَدَتها ذكرى نصف مَنسيَّة. بينما كانوا أطفالًا في المدرسة الابتدائية، قاموا بالتدريب على التصرُّف مع الغارات الجوِّيَّة. عندما كانت المعلمة تصفِّق بيديها وتقول: "صفارة البلدية تنطلق" كان مُفتَرَضًا بك أن تزحف تحت مكتبك وتضع يديك على رأسك وتنتظر،

إمَّـا أن تنطلـق إشـارة انتهـاء الخطـر أو أن تـذروك قذائـف العَـدوّ هبـاء. والآن، في ذهنهـا، بوضـوح ورقـة شَـجرٍ محفوظـة في غـلاف بلاسـتيكي،

(صفارة البلدية تنطلق)

سمعت الكلمات ترنُّ.

بعيـدًا بالأسـفل، إلى اليسـار، حيـث كانـت سـاحة انتظـار السـيارات بالمدرسـة الثانويـة -وحلقتهـا مـن مصابيـح الصوديـوم المقوَّسَـة التـي جعلـت منهـا مَعْلَـمًا أكيـدًا، رغـم أن مبنـى المدرسـة نفسـه لم يكـن مرئيًّـا في الظـلام- توهَّجَـت شرارة كأن الـرب قـدح حجـرًا بالفـولاذ.

(حيث توجد خزانات النفط)

تـردَّدَت الـشرارة، ثـم شـعَّت بلـون برتقـالي. والآن صـار بمقـدورك أن تـرى المدرسـة، وهـي مشـتعلة.

كانـت في طريقهـا بالفعـل إلى الخزانـة لتتنـاول معطفهـا عندمـا هـزَّ الانفجـار الثقيـلُ المـدوِّي الأرض تحـت قدميهـا وجعـل آنيـةَ أُمِّهـا مـن الخـزف الصينـي تصلصـل في الدواليـب.

مـن مقـال "نجونـا مـن الحفـل الراقـص الأسـود" بقلـم نورمـا واطسـون (نُـشر في عـدد أغسـطس 1980 مـن مجلـة ريـدرز دايجيسـت كمقـالٍ مـن نوعيـة "الدرامـا في الحيـاة الواقعيـة"):

... وحـدث الأمـر بسرعـة شـديدة، حتـى أن أحـدًا لم يعـرف فِعـلًا مـاذا كان يحـدث. كُنَّـا جميعًـا واقفـين نصفِّـق ونغنـي أغنيـة المدرسـة. ثـم -كنـت عنـد طاولـة المرشـدين إلى جـوار الأبـواب الرئيسـية تمامًـا، أنظـر إلى خشـبة المسرح- كان هنـاك بريـق عندمـا انعكسـت الأضـواء الكبـيرة فـوق

خشبة المسرح على شيء معدني. كنت واقِفةً مع تينا بليك وستيلا هوران، وأعتقد أنهما شاهدتاه أيضًا.

في لحظة واحدة كانت هناك طرطشة حمراء هائلة في الهواء. ضرب بعضها الجدارية وسال في خيوط طويلة. عرفت فورًا، حتى قبل أن ينسكب عليهما، أنه دم. اعتقدت ستيلا هوران أنه دهان، لكن كان لديَّ شعورٌ مُسبَق؛ تمامًا كالمرة التي صدَمَت فيها شاحنةُ القَشِّ أخي.

غرقا تمامًا. ونالت كاري النصيب الأكبر. بدت تمامًا وكأنها غطست في دلوٍ من الطِّلاء الأحمر. جلست هناك فقط. لم تتحرَّك قطُّ. تفرَّق أفراد الفرقة الأقرب إلى المسرح: خوسيه والمونجلوز. كان لدى عازف الجيتار المنفرد جيتارٌ أبيض، وقد تناثر الدم فوقه كله.

قلت: "يا إلهي، إنه دم!".

عندما قُلتُ هذا، صرخت تينا. كانت صرختها عالية جدًّا، ورنَّت بوضوح في قاعة الاحتفالات.

كان الناس قد توقَّفوا عن الغناء وكل شيء هادئ تمامًا. لم أستطع التَّحرُّك. انغرست في مكاني. رفعت ناظِرَيَّ ورأيتُ دلوين يتدليان بالأعلى فوق العرشين، يتأرجحان ويُقَرقِعان معًا. كانا ما زالا يقطران. وفجأة سقطا، ووراءهما الكثير من الخيوط المرتخية. ضرب أحدهما رأس تومي. وأصدر صوتًا مُدوِّيًا، كأنه رنَّةُ جرس.

جعل هذا أحدَهم يضحك. لا أعرف مَن كان، لكنها لم تكن ضحكةَ شَخصٍ عندما يرى شيئًا ظريفًا ومُبهِجًا. كانت ضحكة فظَّةً وهيستيريَّةً ومُريعة.

في تلك اللحظة ذاتها، فتحت كاري عينيها.

كان هذا عندما بدؤوا جميعًا في الضحك. ضحكتُ أيضًا، فليساعدني الله. كان شيئًا غريبًا... غريبًا جدًّا.

عندما كنتُ بِنتًا صغيرة كان لديَّ كتاب قصص والت ديزني اسمه "أغنية الجنوب"، وكانت به قصة العم ريموس تلك عن الدُّمية المصنوعة من القار فيها. كانت بها صورة لدمية القار جالسة في منتصف الطريق، مثل واحد من فناني الأداء الزنوج في الزمن القديم، بوجهها المسوَّد وعينيها الكبيرتين البيضاوين. عندما فتحت كاري عينيها كانت أشبهَ بذلك. كانتا الجزء الوحيد منها الذي لم يكن أحمر بالكامل. وسقط الضوء عليهما وجعلهما زجاجيَّتَيْن. ليساعدني الله، بَدَت بالضبط مثل الممثِّل إيدي كانتور وهو يؤدي تلك الفقرة التي يؤديها بعينين جاحظتين.

ذلك ما جعل الناس تضحك. لم نستطع أن نتحاشى ذلك. كان واحِدًا من هذه الأشياء التي تجعلك إمَّا تضحك أو تُجَنُّ. لقد كانت كاري هدف كل نكتة لفترة طويلة جدًّا، وشعرنا جميعًا أننا جزءٌ من شيء مُميَّز تلك الليلة. كان الأمر وكأننا نشاهد شخصًا يلتحق من جديد بالجنس البشري، وللحظة شَكرتُ الرَّبَّ على هذا. ثم حدث **ذلك**. ذلك الرعب.

وهكذا لم يكن هناك أي شيء آخر نفعله. لم يكن أمامنا إلا أن نضحك أو نبكي، ومن كان بمقدوره أن يدفع نفسه إلى البكاء على كاري بعد كل تلك السنين؟

جلست هناك فقط، مُحدِّقة فيهم، واستمرَّ الضحك في الازدياد، وأصبح أعلى وأعلى. كان الناس يمسكون ببطونهم وينثنون ويشيرون إليها. تومي هو الوحيد الذي لم يكن ينظر إليها. كان مُنطَرِحًا بعض الشيء على مقعده وكأنه راح في النوم. لكن لم يكن بمقدورك أن تعرف أنه مصاب؛ لأن طرطشة الدم عليه كانت بالِغَةَ السُّوء.

وبعد ذلك وجهها... انكسر. لا أعرف كيف أصفه بغير ذلك. رفعت يديها إلى وجهها وقامت متعثِّرةً قليلًا على قدميها. تكَعبَلَت تقريبًا في

قدميها وتعثَّرَت، وجعل هذا الناس يضحكون أكثر. ثم قامت نوعًا ما... بالقفز من فوق الخشبة. كان الأمر أشبهَ بمشاهدة ضفدعة كبيرة حمراء تقفز من فوق ورقة زنبق طافية. تعثَّرَت مرة أخرى تقريبًا، لكنها ظلَّت واقِفةً على قدميها.

جاءت الآنسة ديسياردن تعدو نحوها، ولم تَعُد تضحك إطلاقًا. كانت ترفع ذراعيها إليها. لكنها عندئذ انحرفت عن مسارها وارتطمت بالحائط إلى جوار المسرح. كان هذا أغربَ شيء. لم تتعثر أو غير ذلك. وكأن أحدًا دفعها، لكن لم يكن هناك أحد.

جرت كاري عبر الحشد ويداها متشبِّثتان بوجهها، ومدَّ أحدهم قدمه، لا أعرف من كان، وسقطت مُنبَطِحةً على وجهها، تارِكةً خطًّا طويلًا أحمر على الأرضية. وقالت: "أووف!" أذكر هذا. جعلني هذا أضحك بشكل أقوى، سماع كاري تقول أووف هكذا. بدأت تزحف على طول الأرضية وبعد ذلك نهضت وجَرَت خارِجةً. جَرَت مارَّةً بي. كان بمقدورك أن تشمَّ الدم. بدا كشيء مقرف ومتعفِّن.

نزلت السلالم درجتين في كل خطوة، وبعد ذلك خرجت من الأبواب. ومضت.

خَبَا الضحك نوعًا ما، تدريجيًّا. بعض الناس كانوا ما زالوا يهتزُّون وينخرون. أخرجليني بروك منديلًا أبيض كبيرًا وكان يمسح عينيه. بدت سالي مكمانوس شاحبة تمامًا، وكأنها على وشك أن تتقيَّأ، لكنها كانت ما زالت تقهقه ولم يبدُ أنها قادرة على التوقُّف. وكان بيلي بوسنان واقِفًا هناك فقط وفي يده عصا المايسترو الصغيرة وهو يهزُّ رأسه. وكان مستر لوبلين جالِسًا بالقرب من الآنسة ديسياردن ويطلب منديلًا ورقيًّا. كان أنفها ينزف.

يجب أن تفهموا أن كل هذا حدث فيما لا يزيد عن دقيقتين. لم يكن بمقدور أحد أن يقوم بتجميع الصورة الكاملة. كُنَّا مذهولين.

بعضهــم كانــوا يتجوَّلــون في المــكان، يتحدَّثــون قليــلًا، لكــن ليــس كثــيراً. انفجــرت هيلــين شــايرز باكيــة، وجعــل هــذا بعــض الآخريــن يجفلــون.

ثم صرخ أحدهم: "اطلبوا طبيبًا! هيا، اطلبوا طبيبًا بسرعة!".

كان خوسـيه ڤريـك. كان فـوق المـسرح، راكِعًـا إلى جـوار تومـي روس، وكان وجهــه أبيــض كالــورق. حــاول أن يرفعــه، وســقط العــرش وتدحــرج تومــي عــلى الأرض.

لم يتحــرَّك أحــد. كانــوا جميعًــا يُحدِّقــون فقــط. شــعرت وكأني تجمَّــدتُ في الثلــج. كل مــا اســتطعت التفكــير فيــه هــو قــول يــا إلهــي. يــا إلهــي، يــا إلهــي، يــا إلهــي. وعندئــذ جــاءت تلــك الفكــرة الأخــرى زاحفــة، وكانــت كأنهــا ليســت فكــرتي عــلى الإطــلاق. كنــت أفكــر في كاري. وفي اللــه. انشــبَكَ كُلُّ شيء ببعضــه، وكان الأمــر فظيعًــا.

تطلَّعَت ستيلا إليَّ وقالت: "كاري عادت".

وقلت: "نعم، هذا صحيح".

انصفقــت كل أبــواب القاعــة مُنغَلِقَــة. كان الصــوت أشــبهَ بأيــدٍ تُصفِّــق. صرخ أحدهــم في الخلــف، وأطلــق هــذا الــصراخ حالــة مــن الاندفــاع الجماعــي. جــروا نحــو الأبــواب مندفعــين. وقفــت هنــاك فقــط، غــير مُصدِّقــة لمــا يحــدث. وعندمــا نظــرتُ، تمامًــا قبــل أن يصــل أولهــم إلى هنــاك ويبــدأ في الدفــع. رأيــت كاري تنظــر، ووجههــا كُلُّــه مُلطَّــخٌ، كهِنــديٍّ يضــع ألــوان الحــرب عليــه.

كانت تبتسم.

كانــوا يدفعــون الأبــواب، ويدقُّــون عليهــا، لكنهــا لم تتزحــزح. ومــع تَكــدُّس المزيــد منهــم عندهــا، تمكَّنَــت مــن رؤيــة أول الواصلــين منهــم هنــاك يصطدمــون بهــا، وهــم ينخــرون ويلهثــون. والأبــواب لا تنفتــح. وتلــك الأبــواب لا توصــد أبــدًا. فهــذا مــن قوانــين الولايــة.

خـاض مسـتر سـتيفنز ومسـتر لوبلـين في الزحـام، وبـدآ يجذبانهـم بعيـدًا، قابضـين عـلى السُـترات والتَّنُّـورات وأي شيء. كانـوا جميعًـا يصرخـون ويتدافعـون كالقطيـع. صفـع مسـتر سـتيفنز بضـع فتيـات ولكـم ڤيـك مـوني في عينـه. كانـا يصرخـان فيهـم كي يخرجـوا مـن أبـواب الحريـق الخلفيـة. أطـاع البعـض. وكان هـؤلاء هـم مَـن عاشـوا.

عندئـذ بـدأت تمطـر... عـلى الأقـل ذلـك مـا اعتقـدت أنـه الحـال في البدايـة. كان هنـاك مـاء يتسـاقط في المـكان كلـه. رفعـت ناظـري وكانـت كل المَرَشَّـات تعمـل، في كافـة أنحـاء صالـة الألعـاب. كان المـاء يـضرب أرض ملعـب كـرة السـلة ويتنـاثـر. خوسـيه ڤريـك كان يـصرخ في أعضـاء فرقتـه كي يُطفِئـوا مُكـبِّرات الصـوت والميكروفونـات الكهربائيـة بسرعـة، لكنهـم كانـوا قـد فـرُّوا جميعًـا. قفـز هابِطًـا مـن فـوق خشـبة المـسرح.

توقَّـفَ الذعـر عنـد الأبـواب. تراجـع النـاس مبتعديـن، رافعـين عيونهـم نحـو السـقف. سـمعت أحدهـم -أظنـه دون فرانهـام- يقـول: "سـيدمر هـذا ملعـب كـرة السـلة".

بـدأ بعـض الأشـخاص الآخريـن في التحـرُّك نحـو تومـي روس والنظـر إليـه. فجـأة أردت أن أخـرج مـن ذلـك المـكان. أخـذت بِيَـدِ تينـا بليـك وقلـت: "هيـا نجـري. بسرعـة".

كي تصـل إلى أبـواب الحريـق، كان عليـك أن تقطـع ممـرًّا قصـيرًا إلى يسـار خشـبة المـسرح. كانـت هنـاك مَرَشَّـات أيضًـا، لكنهـا لم تكـن تعمـل. وكانـت الأبـواب مفتوحـة- تمكَّنـتُ مـن رؤيـة بضـع أشـخاص يجـرون خارجـين. لكـن أغلبهـم كانـوا فقـط واقفـين في الجـوار يتبادلـون النظـرات مذهولـين. بعضهـم كانـوا ينظـرون إلى لطخـات الدمـاء حيـث سـقطت كاري. كان المـاء يغسـلها ويمحوهـا.

أمسـكت ذراع تينـا وبـدأت أجذبهـا نحـو لافتـة الخـروج. في نفـس تلـك اللحظـة كانـت هنـاك التماعـة ضـوء هائلـة، وصرخـة، وأنـين مُرعِـب راجع.

التفتُّ ورأيت خوسيه ڤريك ممسِكًا بواحد من حوامل الميكروفونات. لم يستطع أن يُفلِتَه. كانت عيناه جاحظتين وشَعره واقِفًا، وبدا كما لو أنه يرقص. كانت قدماه تنزلقان دائرتين في الماء وبدأ الدخان يخرج من قميصه.

سقط فوق أحد مُكبِّرات الصوت -كانت أجهزة كبيرة الحجم، ارتفاعها خمسة أو ستة أقدام- الذي سقط بدوره في الماء. تعالى ردُّ الفعل في صرخة تَصمُّ الآذان وتفلق الرؤوس، ثم كانت هناك ومضة أخرى حارقة وتوقف الصراخ. كان قميص خوسيه مشتعلًا.

صرخت تينا فيَّ: "اجري! هيا يا نورما، من فضلك!".

جرينا خارجتين إلى الرواق، وانفجر شيء ما وراء خشبة المسرح- أظنُّه مفاتيح الطاقة الرئيسية. نظرت ورائي لثانية واحدة فقط. كان بمقدورك أن ترى ما كان فوق خشبة المسرح مباشرة، حيث كان جسد تومي؛ لأن الستار كان مرفوعًا. كانت كل كابلات الإضاءة الثقيلة في الهواء، متدلِّيةً ومنتفضة ومتلوِّيةً كثعابين خرجت من سَلَّةِ فقير هندي. ثم جذب أحدها اثنين آخرين. انفجرت ومضة بنفسجية عندما اصطدمت الكابلات بالماء، وبعد ذلك صرخ الجميع مرة واحدة.

عندئذ كنَّا خارج الباب نجري عبر ساحة انتظار السيارات. أعتقد أني كنت أصرخ. لا أتذكَّر جيدًا. لا أتذكر أي شيء جيدًا بعد أن بدؤوا في الصراخ. بعد أن ضربت كابلات الجهد العالي تلك الأرضية المغطاة بالماء...

بالنسبة لتومي روس، البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا، جاءت النهاية بسرعة ورحمة ودون ألم تقريبًا.

لم يكـن حتـى واعيًـا قَـطُّ بـأن شـيئًا هامًـا كان يحـدث. كانـت هنـاك ضجَّـة مُقَعقِعَـة متخبِّطـة ربطهـا عـلى الفـور بذكـرى

(هكذا كانت تنطلق دلاء الحليب)

طفولية لمزرعة عمِّه جالين وبعد ذلك بـ

(شخص ما أسقط شيئًا ما)

الفرقة أسفله. لمح خوسيه ڤريك ينظر فوق رأسه

(ماذا لديَّ هالة قديس أم شيء آخر)

وبعـد ذلـك ارتطـم بـه الدلـو الممتلـئ حتـى رُبعـه بالدمـاء. ضربتـه الحافَـة المرتفعـة بامتـداد الإطـار السـفلي عـلى أُمِّ رأسـه و

(آه هذا يؤلم)

غـاب سريعًـا عـن الوعـي. كان مـا زال مُمـدَّدًا عـلى خشـبة المـسرح عندمـا امتـدَّت النـار الناشـئة عـن المُعِـدَّات الكهربائيـة لفرقـة خوسـيه والمونجلـوز إلى جداريـة المراكبـي الڤينيـسي، وبعـد ذلـك إلى المخـزون الـذي قرضتـه الفـئران مـن الأزيـاء والكتـب والأوراق القديمـة في الكواليـس وفي الصنـدرة.

كان ميِّتًا عندما انفجر خزَّان النفط بعد نصف ساعة.

من شريط أخبار الأسوشيتدبرس نيو إنجلاند، 10:46 مساء:

تشامبرلين، مين (أب)

اندلـع حريـق خـارج عـن السـيطرة في مدرسـة إيويـن الثانويـة المجمعة حاليًـا. كان هنـاك حفـل راقـص مقـام بالمدرسـة وقـت انـدلاع الحريـق الـذي يُعتقـد أنـه ناتـج عـن مـاس كهـربي في الأسـاس. يقـول شـهود عيان إن نظـام الـرَّشِّ الخـاص بالمدرسـة انطلـق دون إنـذار، مُتسـبِّبًا في انقطـاع

التيار عن مُعِدَّات فرقة روك موسيقية. كما يذكر بعض شهود العيان انقطاعات في كابلات الطاقة الرئيسية. من المعتقد أن عددًا يناهز مائة وعشرة أشخاص قد يكونون محبوسين في صالة الألعاب المشتعلة بالمدرسة. يقال إن مراكز الإطفاء في البلدات المجاورة: ويستوفر، موتون، لويستون، قد تلقَّت طلبات مساعدة، وهي الآن أو بعد قليل ستكون في الطريق. ومع ذلك، لم تَرِد أخبار عن أي إصابات حتى الآن. انتهى.

10:46 مساء 27 مايو، 6904 د (أب)

من شريط أخبار الأسوشيتدبرس نيو إنجلاند، 11:22 مساء:

عاجل

تشامبرلين، مين (أب)

هزَّ انفجارٌ مُدَوٍّ مدرسة توماس إيوين الثانوية المجمَّعة في بلدة تشامبرلين الصغيرة بولاية مين. أُرسلت ثلاث شاحنات إطفاء من البلدة في وقت سابق لمكافحة حريق في صالة الألعاب الرياضية، حيث كان هناك حفل مدرسي راقص مقام، لكن دون جدوى. لقد تعرَّضت كل صنابير الإطفاء في المنطقة للتخريب، ويقال إن ضغط الماء من خطوط المدينة في المنطقة من شارع سبرينج إلى ساحة جراس انعدم. قال أحد رجال الإطفاء: "لقد جُرِّدَت الأشياء اللعينة من خراطيمها. لا بُدَّ أنها تفجَّرَت كالآبار بينما كان هؤلاء الأطفال يحترقون". حتى الآن جرى استنقاذ ثلاث جُثَث. جرى التعرُّف على إحداها، وهو توماس ب. ميرز؛ رجل إطفاء من تشامبرلين. أمَّا الجُثَّتان الأخريان فمن الواضح أنهما يَخُصَّان اثنين من حضور الحفل. ونُقل ثلاثة رجال إطفاء آخرين إلى استقبال مستشفى موتون يعانون من حروق طفيفة واستنشاق الدخان. من المعتقد أن الانفجار وقع عندما وصلت النيران إلى خزانات الوقود بالمدرسة التي توجد بالقرب من صالة الألعاب.

أمَّـا الحريـق نفسـه فيُعتقـد أنـه بـدأ في مُعِـدَّات كهربائيـة سـيئة العـزل بعـد خَلَـلٍ في نظـام الـرش. انتهـى.

11: 22 مساء 27 مايو، 70119 إ (أب)

لم يكـن لـدى سـو إلَّا تصريـح بالقيـادة، لكنهـا أخـذت مفاتيـح سـيارة أمهـا مـن لوحـة المشـاجب إلى جـوار الثلاجـة وجَـرَت إلى الجـراج. كانـت سـاعة المطبـخ تشـير إلى الحاديـة عـشرة بالضبـط.

ضغطـت عـلى البنزيـن بقـوة فغمـرت بـه مُحـرِّك السـيارة الـذي توقَّـف في محاولتهـا الأولى، وأجـبرت نفسـها عـلى الانتظـار قبـل أن تحـاول مـرة أخـرى. هـذه المـرة سـعل المحـرِّك ودار، وخرجـت بالسـيارة هـادِرةً مـن الجـراج في تهـوُّر، ليُقَرقِـع أحـدُ رفـارف السـيارة مُرتَفِعًـا ومُنخَفِضًـا. دارت، وأثـارت العجـلات الخلفيَّـة الحـصى. انحرفـت سـيَّارة أمهـا البلايمـوث موديـل 77 صاعـدة الطريـق، وتمايَلَـت عـلى جانبـه كذيـل السـمكة جاعِلـةً سـو تشـعر بالغثيـان يتصاعـد في جوفهـا. عندئـذ فقـط أدركـت سـو أنهـا كانـت تَـئِنُّ أنينًـا عميقًـا في حلقهـا، كحيـوان وقـع في مصيـدة.

لم تتوقَّـف عنـد الإشـارة الحمـراء التـي كانـت علامـةً عـلى تقاطـع الطريـق السـادس وطريـق بـاك تشـامبرلين. مـلأت سـارينات عربـات الإطفـاء الليـل في الـشرق، حيـث كانـت تشـامبرلين تتاخـم ويسـتوفر، ومـن الجنـوب خلفهـا- موتـون.

كانت تقريبًا عند سفح التل عندما انفجرت المدرسة.

ضغطـت عـلى مكابـح الطاقـة بقدميهـا الاثنتـين وارتمـت عـلى عجلـة القيـادة كدُميَـةٍ مـن خِـرَق القـماش. وَلوَلَـت الإطـارات عـلى الإسـفلت. بطريقـة مـا تحسَّـسَـت البـاب حتـى انفتـح وخرجـت، مُظَلِّلَـةً عينيهـا في مواجهـة الوهـج.

شقَّ لسانٌ من اللهب طريقه نحو السماء، منطلقًا في إثر سحابة مرفرفة من ألواح السقف الفولاذية والأخشاب والورق. كانت الرائحة كثيفة وزيتيَّةً. أضاء الشارع الرئيسي كما لو انطلق فوقه مسدَّسٌ مضيء. في تلك المسافة الرهيبة بين الثواني رأت أن جناح صالة الألعاب الرياضية بأكمله في مدرسة إيوين كان حُطامًا مُشتَعِلًا مندلق الأحشاء.

جاءت صدمة الانفجار بعد لحظة، ضربتها دافِعةً إيَّاها إلى الوراء. هبَّت قمامة الطريق مارَّةً بها في اندفاعة رهيبة ومفاجئة، مع لفحة من الهواء الساخن ذكَّرتها على نحوٍ عابر بــ

(رائحة قطار الأنفاق)

رحلة قامت بها إلى بوسطن في العام السابق. جلجلت نوافذ صيدلية بيلز هوم ومحل كيلي فروت كومباني وسقطت إلى الداخل.

كانت سو قد خرَّت ساقِطةً على جنبها، وأضاءت النيران الشارع بنور ظهيرة جهنمية. ما حدث بعد ذلك حدث بالحركة البطيئة بينما كان عقلها يعدو بثبات قُدُمًا

(ماتوا هل ماتوا جميعًا كاري لماذا أفكِّر في كاري)

بإيقاعه الخاص السريع. كانت السيارات تندفع نحو مسرح الأحداث، وبعض الناس كانوا يجرون بأردية البيت وقمصان النوم والبيچامات. رأت رَجُلًا يخرج من الباب الأمامي لقسم بوليس ومحكمة تشامبرلين المجمعين. كان يتحَّرك ببطء. كانت السيارات تتحرك ببطء. حتى الناس كانوا يجرون ببطء.

رأت الرجل عند درجات قسم البوليس يُكوِّر يده حول فمه ويصرخ بشيءٍ؛ غير واضح فوق زعيق صفارة البلدية، وسارينات الحريق، والفم الوحشي للنيران. بدا كأنه يقول:

"أنت! لا تمنع هذا الحزين!".

كان الشـارع بأكملـه مبتَـلًّا هنـاك. تراقَـصَ الضـوء عـلى المـاء. وامتـد حتـى محطـة بنزيـن تيديـز أموكـو.

"... لا تمنع، هذا...".

وبعد ذلك انفجر العالم.

مـن شـهادةٍ تحـت القسـم لتومـاس ك. كويـلان، أُدلي بهـا أمـام مجلـس تحقيقـات ولايـة مـين فيـما يتَّصِـل بأحـداث 28-27 مايـو في تشـامبرلين، مين (النسـخة المختـصرة التاليـة مـن "الحفـل الأسـود: تقريـر لجنـة وايـت"، دار سـيجنوت بوكس، نيويـورك، 1980):

س: سيد كويلان، هل أنت مقيم في تشامبرلين؟

ج: نعم.

س: ما هو عنوانك؟

ج: حصلـت عـلى غرفـة فـوق صالـة حـمام السـباحة. ذلـك هـو المـكان الـذي أعمـل فيـه. أمسـح الأرضيـات، أنظـف الطـاولات، أعمـل عـلى الماكينـات- ماكينـات الكـرة والدبابيـس، كـما تعـرف.

س: أيـن كنـتَ ليلـة السـابع والعشريـن مـن مايـو في السـاعة العـاشرة والنصـف مسـاء يـا سـيد كويـلان؟

ج: طيـب... في الحقيقـة، كنـت في زنزانـة الحجـز في قسـم البوليـس. أحصـل عـلى أجـري أيـام الخميـس مـن كل أسـبوع، كـما تـرى. ودائمًـا أخـرج وأشرب حتـى الثُّمالـة. أذهـب إلى الكاڤالييـه، أشرب بعـض زجاجـات بـيرة شـليتز، ألعـب القليـل مـن البوكـر في القاعـة الخلفيـة. لكنـي عندمـا

أشرب أصير سافِلًا. أشعر وكأن مباراة رولر ديربي[1] تجري في رأسي. مشكلة، صح؟ ذات مرة خبطتُ رَجُلًا في رأسه بمقعد و...

س: هل كان من عادتك الذهاب إلى قسم البوليس عندما تشعر بأن هذه النوبات المزاجيَّة تنتابك؟

ج: نعم. أوتيس الكبير صاحبي.

س: أنت تقصد الشريف أوتيس دويل مأمور هذه المقاطعة؟

ج: نعم. قال لي أن أذهب إليه في أي مرة أبدأ في الشعور بالسَّفالة. في الليلة السابقة على حفل المدرسة، كانت زُمرَةٌ مِنَّا في القاعة الخلفية نلعب مُشتَقَّات البوكر، وبدأت أفكر في أن مارسيل دوباي السريع يغشُّ. كنت سأعرف على نحو أفضل لو كنت في كامل وعيي -فكرة رجل فرنسي عن الإيقاع بأي رجل سريع هي النظر في أوراق لعبه- لكن هذا ما يبقيني حيًّا. كنت قد شربت زجاجتين أو ثلاثًا من البيرة، كما تعرف؛ لذا شبكت أصابعي ومضيت إلى القسم. كان بليسي قائمًا بالعمل، وحبسني في زنزانة الحجز رقم 1. بليسي فتى طيب. كنت أعرف أمه، لكن ذلك منذ سنوات عديدة.

س: سيد كويلان، هل تعتقد أن بإمكاننا مناقشة ليلة السابع والعشرين؟ الساعة العاشرة والنصف مساء؟

ج: أليس هذا ما نفعله؟

س: أتمنى هذا مُخلِصًا. استمر.

ج: طيب، حبسني بليسي حوالي الثانية والربع صباح الجمعة، وسقطت نائمًا على الفور. يمكنك أن تقول إنني فقدتُ الوعي. صَحَوتُ حوالي الساعة الرابعة عصرًا، تناوَلتُ ثلاث حبَّاتٍ من الأسبرين، وعُدتُ

(1) رياضة بأحذية التزلُّج تُلعَب ما بين فريقين يتكوَّن كلُّ فريق من 15 لاعبًا، بينهم 5 في الملعب، يوجد حوالي 1250 دوري للهُواة حول العالم، معظمها في الولايات المتحدة. (المترجم)

إلى النوم. لديَّ موهبة استثنائية في هذا. يمكنني النوم حتى تذهب آثار سَكرتي تمامًا. يقول أوتيس الكبير إنه ينبغي أن أكتشف كيف أقوم بهذا وأنال براءة اختراع. يقول إنني أستطيع أن أوفِّر على العالم الكثير من الألم.

س: أنا متأكِّدٌ أنك تستطيع يا سيد كويلان. والآن متى استيقظت مرة أخرى؟

ج: حوالي العاشرة ليلة الجمعة. كنت جائِعًا جدًّا؛ لذا قرَّرتُ أن أذهب للحصول على بعض الطعام من حافلة الطعام.

س: تركوك وحدك تمامًا في زنزانة مفتوحة؟

ج: بالتأكيد. أنا شخص رائع عندما أكون في كامل وعيي. في الحقيقة، ذات مرة...

س: فقط أَخبِر اللجنة بما حدث عندما غادَرتَ الزنزانة.

ج: انطلقت صفارة الحريق، ذلك ما حدث. انتابني ذُعرٌ رهيب وحقٌّ يسوع. لم أسمع تلك الصفارة ليلًا منذ انتهت حرب ڤيتنام. لذا جريت صاعدًا إلى الطابق العلوي ولم يكن هناك أحد من أولاد العاهرة في المكتب. قلتُ لنفسي، لعنة الجحيم الحارقة! سينال بليسي جزاءه على ذلك. من المفترض دائمًا أن يكون هناك أحدٌ قائم بالعمل، في حالة ورود مكالمة. لذلك اتَّجهتُ إلى النافذة ونظرت خارجًا.

س: هل من الممكن رؤية المدرسة من تلك النافذة؟

ج: طبعًا. هي في الناحية الأخرى من الشارع، بعد بلوك ونصف. كان الناس يجرون في كل مكان ويصرخون. وعندئذ رأيت كاري وايت.

س: هل سبق ورأيت كاري وايت قبل ذلك؟

ج: لا.

س: إذًا كيف عرفت أنها كاري؟

ج: من الصَّعب شرح هذا.

س: هل كان باستطاعتك أن تراها بوضوح؟

ج: كانت واقِفةً تحت عمود نور، قرب صنبور الحريق عند ناصية الشارع الرئيسي وشارع سبرينج.

س: هل حدث شيء ما؟

ج: والعياذ بالمسيح، انفجر غطاء الصنبور في ثلاثة اتجاهات مختلفة: يسارًا ويمينًا وإلى أعلى في اتجاه السماء.

س: متى حدث ذلك... آه... الخلل؟

ج: حوالي الحادية عشرة إلا الثلث. لا يمكن أن يكون بعد ذلك.

س: ماذا حدث بعد ذلك؟

ج: انطلقت نحو وسط البلدة. يا إلهي! بَدَت رهيبةً. كانت ترتدي ثوب سهرة تقريبًا، أو ما تبقَّى منه، وكانت مُبتَلَّةً تمامًا من ذلك الصنبور ومُغطَّاة بالدماء. بدت وكأنها زحفت خارجة للتَّوِّ من حادثة سيارة. لكنها كانت تبتسم ابتسامةً عريضة. لم أرَ قَطُّ مثل هذه الابتسامة. كانت أشبهَ برأس الموت. وظلَّت تنظر إلى يديها وتدعكهما في فستانها، محاوِلةً أن تزيل الدماء، ومُفكِّرةً أنها لن تتخلَّص منها أبدًا وكيف ستسيل الدماء في البلدة كلها وتجعلها تدفع الثمن. كان شيئًا رهيبًا.

س: كيف يمكن أن تكون لديك أي فكرة عمَّا كان يدور بذهنها؟

ج: لا أعرف. لا يمكنني الشرح.

س: طوال بقية شهادتك، أتمنَّى أن تلتزم بما رأيت يا سيد كويلان.

ج: حاضر. كان هناك صنبورٌ على ناصية ساحة جراس، وقد انفجر هذا أيضًا. كان بمقدوري رؤية هذا على نحو أفضل. كانت صواميل التثبيت الكبيرة على الجوانب تنفكُّ وحدها. رأيت ذلك يحدث. طارت تمامًا كما حدث في الصنبور الآخر. وكانت كاري سعيدة. كانت تقول لنفسها: سيمنحهم ذلك دُشًّا، سوف... أُفّ! آسف. عندئذ بدأت شاحنات الإطفاء تمر، وفقدت أثرها. توقَّفَت المضخَّات الجديدة عند المدرسة وشغَّلوا هذه الصنابير ورأوا أنها لن تأتي بأي ماء. كان الرئيس بيرتون يصرخ فيهم عندما انفجرت المدرسة. يا يسوع!

س: هل غادرتَ قسم البوليس؟

ج: نعم. أردت أن أجد بليسي وأحكي له عن تلك العاهرة المجنونة وصنابير الحريق. ألقيت نظرة على محطَّة بنزين تيدي أموكو، ورأيت شيئًا جعل الدم يتجمَّد في عروقي. كانت مضخَّات البنزين الست كلها مفصولة عن كلَّاباتها. لقد مات تيدي دوكامب منذ 1968، ربنا بيحبه، لكن ولده كان يقفل هذه المضخَّات كل ليلة، تمامًا مثلما اعتاد تيدي نفسه أن يفعل. كل قفل من أقفالها ماركة "ييل" كان مُتدلِّيًا من مشبكه مُحطَّمًا. وكانت الخراطيم مُلقاةً على مدرج الطريق، والمغذيات الأوتوماتيكية مفتوحة في كل واحد. كان البنزين ينسكب على الرصيف وفي الشارع. يا أم المسيح المقدَّسة! عندما رأيت هذا، انكمشت خصيتاي. ثم رأيت هذا الشخص يجري بسيجارة مشتعلة.

س: ماذا فعلت؟

ج: صِحتُ فيه. قلتُ شيئًا مثل: **أنت! احترس من هذه السيجارة! أنت لا تفعل، هذا بنزين!** لكنه لم يسمعني قطُّ. لا عجب، فقد كانت سارينات الحريق وصفارة البلدية والسيارات المسرعة تروح وتجيء في الشارع. رأيت أنه سيرمي السيجارة، فغطست عائدًا إلى الداخل.

س: ماذا حدث بعد ذلك؟

ج: بعـد ذلـك؟ أي شيء كان ليحـدث بعـد ذلـك؟ جـاء الشـيطان إلى تشـامبرلين...

عندمـا سـقط الدلـوان، لم تـدرك في البدايـة إلا قعقعـةً معدنيَّـةً عاليـة قطعـت الموسيقى، وبعـد ذلـك غرقـت في الـدفء والبَلَـل. أغلقـت عينيهـا بشـكل غريـزي. تصاعَـدَت نخـرةٌ مـن جانبهـا، وفي ذلـك الجـزء مـن عقلهـا الـذي اسـتيقظ مؤخَّـرًا، أحسَّـت بـألم قصـير.

(تومي)

توقَّفَـت الموسـيقى بشـكل متصـادم متنافـر، وبقيـت بضعـة أصـوات معلَّقـةً مثـل أوتـار مقطوعـة، وفي جمـود الانتظـار المفاجـئ، الـذي يمـلأ الفـراغ بـين الواقعـة والإدراك، مثـل القـدر الغاشـم، سـمعت أحدهـم يقـول بوضـوح إلى حـدٍّ مـا:

"يا إلهي، إنه دم!".

وبعـد لحظـة، كـما لـو لتعزيـز صِحَّـة هـذه العبـارة، أو لجعلهـا واضحـة تمامًـا وكُلِّيَّـةً، صرخ أحدهـم.

جلسـت كاري مُغلَقـةَ العينـين، وأحسَّـت بمَـدٍّ الرعـب الأسـود يتصاعـد في رأسـها. في النهايـة، كانـت ماما عـلى حـقٍّ. لقـد نالـوا منهـا مـرَّةً أخـرى، خدعوهـا مـرَّةً أخـرى، جعلوهـا أضحوكـةً مـرَّةً أخـرى. كان مـن المفـترض لهـذا الرعـب أن يكـون مُكـرَّرًا ومُمِـلًّا، لكنـه لم يكـن؛ لقـد أتـوا بهـا إلى هنـا، هنـا عـلى المـسرح أمـام المدرسـة بأكملهـا، وكـرَّروا مشـهد غرفـة الاسـتحمام... فقـط قـال الصـوت

(يا إلهي إنه دم)

شيئًا أكثر فظاعة من التفكير فيه. لو فتحت عينيها وكان هذا صحيحًا، آه، ماذا إذًا؟ ماذا إذًا؟

بدأ أحدهم يضحك، ضحكة كصوت ضبع وحيد خائف، وفتحت هي عينيها، فتحتهما لترى مَن كان ووجدت الأمر صحيحًا، الكابوس الأخير، كانت حمراءَ وتَقطُر دَمًا، لقد أغرقوها في سِرِّ الدم ذاته، أمامهم جميعًا، وتلوَّنَت أفكارها

(آه... أنا... **مُغطَّاة**... به)

بلون أرجوانيٍّ شنيع، مع شعورها بالاشمئزاز والخزي. كان بمقدورها أن تشمَّ رائحة جسدها التي كانت تفوح بنَتَنِ الدم، تلك الرائحة الفظيعة المبتلَّة النحاسية. في مشكالٍ وامض من الصُّوَر رأت الدماء تسيل بكثافة على فخذيها العاريتين، وسمعت الوقع المستمرَّ لماء الدُّشِّ على البلاط، وأحسَّت بالنقر الناعم للسدادات القطنية والفوط الصحية على جلدها بينما الأصوات تحضها كي **تسدَّها**، وذاقت مرارة الرعب الوفيرة الباهظة. لقد منحوها أخيرًا الدش الذي أرادوه.

انضمَّ صوتٌ ثانٍ إلى الأول، وتبعه صوتٌ ثالث -قهقهة عالية لفتاة- ورابع وخامس وسادس ودستة، وكلهم، كلهم يضحكون. كان فِيك موني يضحك. استطاعت أن تراه. كان وجهه متجمِّدًا تمامًا ومصدومًا، لكن تلك الضحكة خرجت منه بنفس الطريقة.

جلست ساكنة تمامًا، تارِكةً الضَّجَّة تنحسر من فوقها مثل الزَّبَد. كانوا ما زالوا جميعًا جميلين وكان ما زال هناك سِحرٌ وروعة، لكنها عبَرَت خَطًّا وغَدَت الحكاية الخيالية الآن مُخضَرَّةً بلون الفساد والشر. في هذه الحكاية ستقضم تفَّاحة سامة، ويهاجمها الأقزام، وتأكلها النمور.

كانوا يضحكون عليها مرة أخرى.

وفجأة انبثق بداخلها ذلك الإدراك الرهيب بمقدار السوء الذي خُدِعَت به، وثمة صرخة رهيبة بلا صوت

(إنهم **ينظرون إليّ**)

حاولت أن تخرج منها. وضعت يديها على وجهها لتُخفيه وقامت مُتعثِّرةً من مقعدها. كل ما دار بتفكيرها أن تجري، أن تخرج من دائرة الضوء، أن تترك الظلام يبتلعها ويخفيها.

لكن الأمر كان أشبهَ بالجري عبر دِبْس السُّكَّر. كان ذهنها الخائن قد أبطأ الوقت إلى درجة الزحف؛ كما لو أن الرب قد حوَّل المشهد كله من سرعة 78 لَفَّة في الدقيقة[1] إلى 33 وثلث لفَّة في الدقيقة. حتى الضحك بدا أنه صار أعمق وتباطأ إلى قعقعة آلة باص مشؤومة.

التفَّت قدماها إحداها بالأخرى، وكادت تسقط من فوق حافة المسرح. أمسكت بنفسها، وانحنت، وقفزت هابطة إلى الأرض. تضخَّم صوت الضحك الطاحن أعلى وأعلى. كان أشبه بصخور تحتكُّ ببعضها البعض.

لم تكن تريد أن ترى، لكنها **رأت**؛ كانت الأضواء أكثر سطوعًا ممَّا يجب، واستطاعت أن ترى كل وجوههم. أفواههم، أسنانهم، عيونهم. استطاعت أن ترى يديها المخطَّطَتَيْن بالدماء أمام وجهها.

كانت الآنسة ديسياردن تجري نحوها، وكان وجه الآنسة ديسياردن مُمتَلِئًا بالعطف الكاذب. استطاعت كاري أن ترى ما يقبع تحت السطح حيث كانت الآنسة ديسياردن الحقيقية تُقَهقِهُ وتكتم ضحكها ببذاءة عانِسٍ قَذِرة. انفتح فم الآنسة ديسياردن وخرج صوتها مُرعِبًا وبطيئًا وعميقًا:

"دعيني أساعدك يا عزيزتي. آه، أنا في شدَّة الأس...".

(1) السرعة العادية لأسطوانة الفونوغراف. (المترجم)

نظرت إليها بحدَّة

(التوي)

وطـارت الآنســة ديســياردن لترتطــم بالجــدار إلى جانــب المــسرح وتســقط متكوِّمَــة.

جـرت كاري. جـرت وسـطهم. يداهـا عـلى وجهها لكنهـا كانت تسـتطيع أن تـرى مـن خـلال سـجن أصابعهـا، اسـتطاعت أن تراهـم، كيـف كانـوا: جميلـون، مُلتفُّـون بالضـوء، مُتَسربِلـون بأرديـة **القبـول** الملائكيـة الوهَّاجـة. الأحذيـة اللامعـة، الوجـوه الصافيـة، تسريحـات الشَّـعر في مراكـز التجميـل الحريصـة، الأثـواب البرَّاقـة. تقهقـروا مبتَعِديـن عنهـا كـما لـو كانـت وبـاء، لكنهـم اسـتمرُّوا في الضحـك. ثـم امتـدَّت قَـدَمٌ في مكـر

(آه نعم هذا ما يأتي بعد ذلك آه نعم)

وسـقطت عـلى يديهـا وركبتيهـا وبـدأت تزحـف، تزحـف بامتـداد الأرضيـة وشَـعرُها المتجلِّـط بالدمـاء ملتَصِـقٌ بوجههـا، تزحـف مثـل القدِّيـس بولـس عـلى طريـق دمشـق، ذلـك الـذي أعمـى الضوءُ عينيـه. بعـد ذلـك سـيركل أحدهـم مؤخِّرتهـا.

لكـنَّ أحـدًا لم يفعلهـا، وبعـد ذلـك كانـت تتعـثَّر ناهِضـةً عـلى قدميهـا مـن جديـد. بـدأت الأشـياء تـسرع مـن حركتهـا. خرجـت مـن البـاب، خرجـت إلى الـرواق، ثـم هرولـت هابِطـةً الدرجـات التـي صعدتهـا هـي وتومـي في مهابَـةٍ منـذ سـاعتين.

(مات تومي ثمنٌ كامِلٌ دفع ثمنًا كامِلًا لجلبه وباء إلى مكان الضوء)

هبطتهـا في قفـزات كبـيرة خرقـاء، وصـوت الضحـك يخفـق مـن حولهـا كطيـور سـوداء.

ثم، الظلام.

فـرَّت عـبر المـرج الأمامـي الواسـع للمدرسـة، فاقِـدَةً صندلهـا الـذي اشـترته خصِّيصًـا للحفـل، وهارِبـةً بقدَمـيْن حافيتـين. كان نجيـل المـرج المـدرسي المقصـوص بعنايـة أشـبه بالمخمـل، وقـد تغطَّـى بـرذاذ خفيـف مـن النـدى، وكان الضحـك وراءهـا. بـدأت تهـدأ قليـلًا.

ثـم التـوت قدماهـا وسـقطت بكامـل طولهـا قـرب صـاري العلـم. تمـدَّدَت هامِـدةً، متقطِّعـة الأنفـاس، ووجههـا السـاخن مدفـون في العشـب البـارد. وبـدأت دمـوع الخِـزي تنسـاب، سـاخِنةً وثقيلـة كـما كان ذلـك الدَّفـق الأول مـن دم الحيـض. لقـد هزموهـا، تفوَّقـوا عليهـا، مـرة وإلى الأبـد. قـضي الأمـر.

والآن سـتنهض عـلى قدميهـا بعـد قليـل، وتنسـلُّ إلى البيـت عـبر الشـوارع الخلفيـة، مُلتَزِمـةً بالظـلال في حالـة مـا إذا جـاء أحدهـم ليبحـث عنهـا، وتجـد مامـا، وتعـترف أنهـا كانـت مُخطِئَـة...

(!!لا!!)

الفـولاذ بداخلهـا -وكان هنـاك مقـدار كبـير منـه- ثـار فجـأةً وصرخ بهـذه الكلمـة في قـوة. الخزانـة؟ الصَّلـوات الشـاردة الـلا نهائيـة؟ المنشـورات الدينيـة والصليـب والطائـر الميكانيـكي فقـط في سـاعة الوقـواق ماركـة بـلاك فوريسـت ليشـير إلى بقيـة سـاعات وأيـام وسـنوات وعقـود عمرهـا؟

فجـأة، كـما لـو أن جهـاز ڤيديـو دار في ذهنهـا، رأت الآنسـة ديسـياردن تجـري نحوهـا، ورأتهـا ترتمـي بعيـدًا عـن طريقهـا كدُميَـةٍ مـن خِـرَق القـماش عندمـا سَـلَّطَت ذهنهـا عليهـا، دون حتـى أن تُفكِّـر بشـكلٍ واعٍ في ذلـك.

انقلبـت عـلى ظهرهـا، وعيناهـا تحدِّقـان عـلى اتسـاعهما في النجـوم مـن وجههـا المصبـوغ. لقـد نَسِـيَت

(!! القوة!!)

لقد حان الوقت لتعليمهم درسًا. آن الأوان لأن تُرِيهَم شيئًا أو اثنين. قهقهت بطريقة هيستيرية. كانت واحدة من عبارات ماما الأثيرة.

(ماما تعود إلى البيت وتنزل حقيبة يدها ونظَّارتها تلمع طيِّب أظن أني جعلت ذلك الغريب يرى شيئًا أو اثنين في المحل اليوم)

هناك نظامُ رَشٍّ. يمكنها أن تفتحه، تفتحه بسهولة. قهقهت مرة أخرى ونهضت، وبدأت تسير حافِيَةَ القدمين عائِدةً نحو أبواب الرواق. تفتح نظام الرَّشِّ وتغلق كل الأبواب. تتطلَّع إليهم وتدعهم يرونها وهي تتطلَّع إليهم، تشاهد وتضحك بينما يُدمِّر الدُّشُّ فساتينهن وتسريحاتهن ويذهب بلمعة أحذيتهم. أسفها الوحيد أنه لا يمكن أن يكون دمًا.

كان الرواق خاليًا. توقَّفَت في منتصف طريقها وهي تصعد الدرجات **والتوي**، فانصفقت كل الأبواب موصَدَة بتأثير القوة المركَّزَة التي وجَّهَتها إليها، وانغلقت مزاليج الأبواب التي تعمل بضغط الهواء. سمعت بعضهم يصرخون وكان صراخهم في أذنيها موسيقى، موسيقى سول عذبة.

للحظة لم يتغيَّر أي شيء، وبعد ذلك كان بمقدورها أن تحسَّ بهم يدفعون الأبواب، راغبين في فتحها. كان الضغط تافِهًا. لقد انحبسوا

(**انحبسوا**)

وتردَّدَت الكلمة بشكل مُسكِرٍ في ذهنها. كانوا أسفل إبهامها، في نطاق سُلطَتِها. **سلطتها**! يا لها من كلمة!

أكملت صعودها وتطلَّعَت بالداخل ورأت چورچ داوسون مهروسًا أمام الزجاج، يجاهد ويدفع من وراءه، ووجهه ملتوٍ من الجهد. كان هناك آخرون خلفه، وبدوا جميعًا مثل سَمَكٍ في حوض ماء.

رفعت عينيها في لمحة سريعة، نعم؛ أنابيب الرَّشِّ موجودة، بفوَّهاتها الضئيلة الأشبه بأقحوانات معدنية. وكانت هذه الأنابيب تمرُّ خلال ثقوب صغيرة في الحائط الأخضر المبني من الطوب الخرساني. وكان هناك الكثير منها بالداخل، كما تذكَّرَت. قواعد مقاومة الحريق، أو ما شابه.

قواعد مقاومة الحريق. في ومضة استدعى ذهنها

(كابلات سوداء سميكة مثل الثعابين)

كابلات الطاقة الممتدَّة في كل أنحاء المسرح. كانت بعيدة عن نظر الجمهور، تُخفيها أضواء الخشبة الأمامية، لكنها اضطرت إلى أن تخطو بحذر فوقها كي تصل إلى العرش. كان تومي يمسك بذراعها.

(النار والماء)

ارتفَعَت بذهنها وتحسَّسَت به الأنابيب وتتبَّعَتها. باردة، مليئة بالماء. تذوَّقَت طعم الحديد في فمها، المعدن البارد المبلَّل، طعم الماء المشروب من فوَّهة خرطوم في حديقة.

التووا.

للحظة لم يحدث شيء. ثم بدؤوا يتراجعون القهقرى عن الأبواب، ناظرين حولهم. سارت إلى مستطيل الزجاج الصغير في الباب الأوسط ونظرت في الداخل.

كانت تُمطِر في صالة الألعاب.

بدأت كاري تبتسم.

لم تكن قد نالت من كل الأنابيب، بعضها فقط. لكنها وجدت أنه بالتطلُّع إلى نظام الرش بعينيها، كان يمكنها تتبُّع مساره بذهنها في سهولة أكبر. بدأت تفتح المزيد من الفوَّهات، والمزيد. لكن هذا لم يكن كافيًا. لم يشرعوا في البكاء بعدُ؛ لذا لم يكن هذا كافيًا.

(ألحقي بهم الأذى إذًا ألحقي بهم الأذى)

كان هناك صبيٌّ فوق خشبة المسرح بالقرب من تومي، يُلوِّح بجنون ويصرخ بشيء ما. وبينما هي تراقبه، نزل من فوق المسرح وجرى نحو مُعدَّات فرقة الروك. أمسك بواحد من حوامل الميكروفونات وتسمَّر في مكانه. شاهدته كاري، مُندَهِشَة، بينما جسده يؤدِّي رقصة كهربائية بلا حراك تقريبًا. اختلطت قدماه في الماء، وانتصب شَعرُه كالأشواك، وانفتح فمه مرتعشًا، كفم سمكة. بدا مُضحِكًا. وبدأت كاري تضحك.

(إذًا قسمًا بالمسيح فليبدوا جميعًا مُضحِكين)

وفي هبَّةٍ مفاجئة عمياء، استدعت كل القوة التي أمكنها الشعور بها.

انطفأت بعض الأضواء. وانبعث وميضٌ باهر في مكان ما عندما ارتطم كابل طاقَةٍ سارية ببِركَةِ ماء. أحسَّت بخبطات ثقيلة في ذهنها بينما كانت مفاتيح قطع التيار الكهربائي تمرُّ بحالة من العجز عن العمل. الصبي الذي كان يمسك بالميكروفون سقط فوق أحد مكبِّرات الصوت وأعقب ذلك انفجار ذو شرارات بنفسجية ثم بدأت الرايات المصنوعة من ورق الكريب المواجهة للمسرح في الاحتراق.

أسفل العرشين تمامًا، كان كابل كهرباء 220 فولت يطقطق على الأرض وبجواره روندا سيمارد تؤدِّي رقصة دُميَة مجنونة بفستانها التُّل الأخضر. اشتعلت تنُّورَتُها المنفوشة فجأة وسقطت على وجهها، وهي ما زالت ترتجُّ.

لعل كاري في هذه اللحظة كانت قد تخطَّت الحافة. مالت على الأبواب، وقلبها يدقُّ في جنون، لكن جسدها باردٌ كمُكعَّبات الثلج. كان وجهها كالِحًا، لكن بقع حُمَّى حمراء غائمة ارتسمت على كل وجنة. نبضت رأسها بشدَّة، وضاع التفكير الواعي.

ترنَّحَت مُبتَعِدةً عن الأبواب، وهي ما زالت تُبقيها مُغلَقةً، فاعلة ذلك دون تفكير أو تخطيط. وفي الداخل كانت النار تزداد توهُّجًا وأدركت هي على نحو غائم أن الجدارية لا بُدَّ قد أمسكت فيها النيران.

انهارت فوق الدرجة العلوية ووضعت رأسها على ركبتيها، محاوِلةً أن تُهدِّئ أنفاسها. كانوا يحاولون الخروج من الأبواب من جديد، لكنها أبقتها مُغلَقةً بسهولة- لم يكن هذا وحده ليشكِّل أي جهد. أخبرها شعورٌ مُبهَمٌ ما أن قِلَّةً منهم يخرجون من أبواب الحريق، لكن دعهم. ستنال منهم فيما بعد. ستنال منهم جميعًا. كل مَن بقي.

هبطت الدرجات ببطء وخرجت من الأبواب الأمامية، وهي ما زالت محافظة على انغلاق أبواب صالة الألعاب. كان ذلك سهلًا. كل ما كان عليك فعله أن تراهم في ذهنك.

انطلقت صفارة البلدية فجأةً، جاعِلةً إيَّاها تصرخ وتضع يديها أمام وجهها

(الصفارة إنها مجرد صفارة الحريق)

للحظة. فقدت عينُ عقلها رؤيةَ أبواب صالة الألعاب وكاد بعضهم يخرج. لا، لا، يا أشقياء. صَفَقَت الأبواب مُغلِقَةً إيَّاها من جديد على أصابع أحدهم -بدا وكأنه ديل نوربرت- في عضادة الباب وممزِّقةً إصبعًا.

بدأت تسير مترنِّحةً عبر المرج من جديد، في هيئة خيال مآتة بعينين جاحظتين، نحو الشارع الرئيسي. على يمينها كان وسط البلدة -المتجر الكبير ومحل كيلي فروت ومركز التجميل ومحل الحلاق ومحطات البنزين وقسم البوليس ومحطة المطافئ-

(سيطفئون حريقي)

لكنهم لن يفعلوا. بدأت تقهقه بصوتٍ مجنون: منتصر، خاسر، ظافر، مرعوب. وصلت إلى أول صنبور وحاوَلَت أن تلوي صواميل التثبيت الكبيرة المدهونة على الجانب.

(أوهه)

كانت ثقيلة. كانت ثقيلة جدًّا. التوى المعدن بإحكامٍ ليعيقها. لا يهم.

لوته بشكل أقوى وأحسَّت به يستجيب. ثم لوت الثلاثة جميعهم مرَّةً واحدة، مُتراجِعةً إلى الوراء في وقفتها، وانفكُّوا في غمضة عين. انفجر الماء خارجًا وصاعدًا، وطارت إحدى صواميل التثبيت خمسَة أقدامٍ أمامها في سرعة انتحارية. ضرَبَت الشارع، وقفزت عاليًا في الهواء، واختفت. انبجس الماء بضغط أبيض في شكل صليبي.

بدأت تسير نحو ساحة جراس مبتسمة، مترنِّحة، وقلبها يدقُّ بمعدَّلٍ أكبر من مائتي دقَّة في الدقيقة. لم تكن واعية بأنها تدعك يديها الداميتين في فستانها مثل ليدي ماكبيث، أو بأنها كانت تبكي حتى وهي تضحك، أو بأن جزءًا خَفِيًّا من عقلها كان يتوق إلى دمارها الكامل والنهائي.

لأنها كانت ستأخذهم معها، وسيكون هناك حريق هائل، حتى تمتلئ الأرض برائحة نتنها.

فتحت صنبور ساحة جراس، وبعد ذلك بدأت تسير إلى محطَّة بنزين تيدي أموكو. تَصادَف أن كانت أول محطة بنزين مرَّت بها، لكنها لم تكن الأخيرة.

من شهادة تحت القسم للمأمور أوتيس دويل، أُدلي بها أمام مجلس تحقيقات ولاية مين (من "تقرير لجنة وايت")، ص 29-31:

س: حضرة المأمور، أين كنت في ليلة السابع والعشرين من مايو؟

ج: كنت في الطريق 179، المعروف بطريق أولد بنتاون، أقوم بالتحقيق في حادثة سيارة. كان هذا في الحقيقة على خطٍّ بلدة تشامبرلين والمؤدي إلى ديرهام، لكنني كنت أساعد ميل كريجر؛ ضابط شرطة ديرهام.

س: متى أُبلِغتَ أوّل مرّة أن مشكلةً وقَعَت في مدرسة إيوين الثانوية؟

ج: تلقَّيتُ رسالة لاسلكية من الضابط چاكوب بليسي في الساعة 10:21.

س: ماذا كانت طبيعة الاتصال اللاسلكي؟

ج: قال الضابط بليسي إن هناك مشكلة في المدرسة، لكنه لم يعرف إن كانت خطيرة أم لا. قال إن هناك الكثير من الصراخ، وأن أحدهم قد جذب بضعة إنذارات حريق. قال إنه ذاهب إلى هناك ليرى ويُحدِّد طبيعة المشكلة.



س: هل قال إن هناك حريقًا بالمدرسة؟

ج: لا يا سيدي.

س: هل طلبتَ منه أن يعود إليك بتقرير؟

ج: نعم.

س: وهل عاد الضابط بليسي إليك بتقرير؟

ج: لا. قُتل في الانفجار التالي لمحطَّة بنزين تيدي أموكو على ناصية الشارع الرئيسي وشارع سمر.

س: متى تلقَّيتَ اتِّصالًا لاسلكيًّا تاليًا يتعلَّق بتشامبرلين؟

ج: في الساعة 10:42. كنتُ عندئذ عائدًا إلى تشامبرلين مع مُشتَبَهٍ به في المقعد الخلفي لسيارتي: سائق مخمور. كما قلت، كانت القضية فعليًّا في بلدة ميل كريجر، لكن لا يوجد حجز في ديرهام. عندما وصلت به إلى تشامبرلين، وجدت أنه لم يَعُد لدينا واحد نحن أيضًا.

س: ما الاتصال الذي جاءك في الساعة 10:42؟

ج: تلقَّيتُ مكالمة من بوليس الولاية أعيد إرسالها من إدارة المطافئ بموتون. قال المرسل من بوليس الولاية إن هناك حريقًا وشغبًا ظاهرًا في مدرسة إيوين الثانوية، وانفجارًا مُحتَمَلًا. لم يكن أحد متأكِّدًا من أي شيء في ذلك الوقت. تذكَّر، حدث كل شيء في غضون أربعين دقيقة.

س: نفهم هذا يا حضرة المأمور. ماذا حدث بعد ذلك؟

ج: قُدتُ سيارتي عائِدًا إلى تشامبرلين مُشغِّلًا السارينة والوامض. كنت أحاول الاتصال بچاك بليسي دون أن أُوَفَّق في هذا. كان هذا عندما ظهر توم كويلان وبدأ يهذي حول اشتعال البلدة بأكملها وانقطاع المياه.

س: هل تعرف في أي وقت بالضبط كان ذلك؟

ج: نعم يا سيدي. كنت محافظًا على تسجيل كل شيء قبلها. كانت الساعة 10:58.

س: يزعم كويلان أن محطة أموكو انفجرت في الحادية عشرة.

ج: كنت لأقبل بالمتوسط يا سيدي. قُلْ إنها العاشرة وتسع وخمسون دقيقة.

س: متى وصلت إلى تشامبرلين بالضبط؟

ج: في الساعة 11:10 مساء.

س: مـاذا كان انطباعـك الفـوري لـدى وصولـك يـا حـضرة المأمـور دويـل؟

ج: كنت مذهولًا. لم أستطع تصديق ما كنت أراه.

س: وماذا **كنت** تراه بالضبط؟

ج: كان النصـف العلـوي بأكملـه لقسـم البلـدة التجـاري يشـتعل. دُمِّـرَت محطّـة أموكـو. ولم تكـن وولـوورث أكـثرَ مـن لَهَـبٍ مُسـتَعِر. وكانـت النـار قـد امتـدَّت إلى الواجهـات الخشـبية لثلاثـة محلَّات بجوارهـا: حانـة دوفي وجريـل، محـل كيـلي فـروت كومبـاني، وصالـة البليـاردو. كانـت الحـرارة ضاريـةً. وكانـت الـشرارات تتطايـر عـلى سـطوح وكالـة عقـارات مايتلانـد ومتجـر سـيارات دوج برانـز ويسـترن. جـاءت خمـس شـاحنات إطفـاء، لكنهـا لم تسـتطع أن تفعـل إلا القليـل. كل صنبـور حريـق في هـذه الناحيـة كان فارغًـا. الشـاحنات الوحيـدة التـي قامـت بـأي عمـل عـلى الإطـلاق كانـت مضخّتـي إطفـاء قديمتـين متطوِّعَتَـيْن مـن ويسـتوفر، وكل مـا اسـتطاعتا فعلـه أن بلَّلَتـا سـطوح المبـاني المحيطـة. وبالطبـع المدرسـة الثانويـة. لقـد دُمِّـرَت... تمامًـا. بالطبـع هـي معزولـة إلى حـدٍّ كبـير -لا يوجـد شيء قريـب منهـا بمـا يكفـي لأن يشـتعل- لكـن يـا إلهـي، كل هـؤلاء الأطفـال بالداخـل... كل هـؤلاء الأطفـال...

س: هل قابلت سوزان سنيل لدى دخولك البلدة؟

ج: نعم يا سيدي. لقد لوَّحَت لي كي أتوقَّف.

س: متى كان ذلك؟

ج: ما إن دخلت البلدة... 11:12، ليس بعد ذلك.

س: ماذا قالت؟

ج: كانت شديدة الاضطراب. تعرَّضت لحادث سيارة صغير -انزلاق- وكانت لا تكاد تعي ما تقول. سألتني إن كان تومي قد مات. سألتها مَن كان تومي، لكنها لم تَرُدَّ. سألتني إن كُنَّا قد أمسكنا بكاري قبل ذاك.

س: اللجنة مُهتمَّة على نحوٍ بالغ بذلك الجزء من شهادتك يا حضرة المأمور دويل.

ج: نعم يا سيدي، أعرف ذلك.

س: كيف ردَدتَ على سؤالها؟

ج: حسنٌ، لا توجد غير كاري واحدة في البلدة على حدِّ عِلمي، وهي ابنة مارجريت وايت. سألتها إن كانت لكاري علاقة بالنيران. أخبرتني الآنسة سنيل أن كاري هي مَن فعلتها. كانت تلك كلماتها: "فعَلَتها كاري. فعَلَتها كاري." قالتها مرتين.

س: هل قالت أي شيء آخر؟

ج: نعم يا سيدي. قالت: "لقد آذوا كاري لآخر مرَّة".

س: حضرة المأمور، هل أنت واثِقٌ أنها لم تَقُل: "**لقد آذينا كاري** لآخر مرة"؟

ج: أنا واثق تمامًا.

س: هل أنت متأكِّدٌ؟ مائة في المائة؟

ج: سيدي، كانت البلدة تشتعل من حولنا. أنا...

س: هل كانت تشرب؟

ج: أستميحك عُذرًا؟

س: هل كانت تشرب؟ قلتَ إنها تورَّطَت في حادث تَحطُّم سيارة؟

ج: أعتقد أني قلتُ حادث انزلاق صغير.

س: ولا يمكنك التأكُّد من أنها قالت **نحن** بدلًا من **هم**؟

ج: أظن أنها ربما قالتها، لكن...

س: ماذا فعلت الآنسة سنيل بعد ذلك؟

ج: انفجرت في البكاء. فصفَعتُها.

س: لماذا فعلت ذلك؟

ج: بَدَت مُصابةً بحالة من الهيستيريا.

س: وهل هدأت في النهاية؟

ج: نعم يا سيدي. هدأت وسيطرت على نفسها بشكل جيِّد جدًّا، في ضوء أن فتاها كان من المحتَمَل أنه ميِّت.

س: هل استجوبتها؟

ج: حسنٌ، ليس بالطريقة التي تستجوب بها مُجرِمًا، إذا كان هذا ما تقصده. سألتها إن كانت تعرف أي شيء عمَّا قد حدث. فكَرَّرَت ما كانت قد قالته بالفعل، لكن بطريقة أهدأ. سألتها أين كانت عندما بدأت المشكلة، وأخبرتني أنها كانت في البيت.

س: هل استجوبتها أكثر من ذلك؟

ج: لا يا سيدي.

س: هل قالت لك أي شيء آخر؟

ج: نعم يا سيدي. سألتني -توسَّلَت إليَّ- أن أجد كاري وايت.

س: وماذا كان ردُّ فِعلِك على ذلك؟

ج: طلبتُ منها أن تعود إلى البيت.

س: شكرًا حضرة المأمور دويل.

خرج ڤيك موني من الظِّلال قرب مكتب صرافة بانكرز تراست لخدمة ركاب السيارات وعلى وجهه ابتسامة. كانت ابتسامة كبيرة وفظيعة، ابتسامة القط شيشاير[1]، ترتسم على نحوٍ غامض في الظلام الناري كذكرى واهنة للجنون. شعره الذي كان مُمشَّطًا بعناية من أجل واجباته كمقدِّم للحفل، صار الآن مُشعَّثًا شائِكًا كعُشِّ الغراب. وعلى جبهته قطرات صغيرة من الدماء من أثر سقطة لا يتذكَّرها في فراره المجنون من حفل الربيع. إحدى عينيه كانت متورِّمةً بلون أرجواني ومنغلقة تمامًا. سار إلى داخل سيارة الدورية الخاصة بالمأمور دويل، وارتدَّ جافِلًا مثل كرة البلياردو، وابتسم للسائق المخمور الغافي في المقعد الخلفي. ثم التفت إلى دويل، الذي كان قد انتهى للتَّوِّ من حديثه مع سو سنيل. ألقت النيران ظلالًا متمايِلةً من الضوء على كل شيء، مُحيلةً العالم إلى تلك الدرجات الحمراء الداكنة بلون الدم الجاف.

عندما التفت دويل، تشبَّث به ڤيك موني. تشبَّث بدويل كما قد يتشبَّث ريفيٌّ عاشق بامرأته في عناق راقص. قبض على دويل بذراعيه واعتصره، وطوال هذا الوقت كان يحملق بابتسامته العريضة المجنونة مُتطلِّعًا إلى وجه دويل الذي قال:

- ڤيك...

- شدَّت كل المقابس...

قالها ڤيك برفق، مبتسمًا.

- شدَّت كل المقابس وفتحت المياه وششششش، وششششش، وششششش.

(1) قطٌّ خيالي من شخصيات الكاتب لويس كارول في رواية "مغامرات أليس في بلاد العجائب"، والمعروف بابتسامته المزعجة المميزة. (المترجم)

- ڤيك...

- لا يمكننـا أن نتركهـم. آه لا، لالالا. لا يمكننـا. كاري شـدَّت كل المقابـس.احترقـت رونـداسـيمارد تمامًـا.آه يـا يسـوووووووع...

صفعـه دويـل مرتـين، هـوت كفُّـه الخشـنة عـلى وجـه الصبـي مبـاشرة. ماتـت الصرخـة في مباغَتَـةٍ صادمـة، لكـن بقيـت الابتسـامة، كصـدى للـشَّرِّ. كانـت ابتسـامة عريضـة ومخيفـة.

قال دويل بخشونة:

- ماذا حدث؟ ماذا حدث في المدرسة؟

- كاري...

قالها ڤيك مُتَمتِمًا.

- كاري حدثت في المدرسة. هي...

خبا صوته وابتسم مُطرِقًا إلى الأرض.

هزَّه دويل ثلاث هزَّاتٍ حادَّة. اصطكَّت أسنان ڤيك معًا كالصنوج.

- ماذا عن كاري؟

تمتم ڤيك:

- ملكة الحفل. ألقوا الدم عليها هي وتومي.

- ماذا...

كانـت السـاعة 11:15. انفجـرت محطـة بنزيـن تـوني سـيتجو في شـارع سـمر فجـأة بـدويٍّ هائـل متحـشرج. أضـاء الشـارع بضـوء كالنهـار جعلهـما يترنحـان عائِدَيْـن نحـو سـيارة البوليـس وهـما يحميـان عيونهـما بأيديهـما. صعـدت سـحابة هائلـة زيتيـة فـوق أشـجار الـدردار في متنـزَّه كورتهـاوس

بـارك، مضيئـة بحـيرة البـط والماسـة المميـزة لشـعار "ليتـل ليـج"[1] بلـون قُرمـزيٍّ. وسـط الهديـر المقرقـع الجائـع الـذي تبـع ذلـك، اسـتطاع دويـل أن يسـمع صلصلـة الزجـاج والخشـب وكتـل الخرسـانة الخاصـة بمحطَّـة البنزيـن وهـي تعـود إلى الأرض. تـلا ذلـك انفجـارٌ ثانـوي، جعلهـما يجفـلان ثانيـة. ورغـم ذلـك لم يكـن باسـتطاعته أن يفهـم تمـام الفهـم

(بلدتي هذا يحدث في بلدتي)

أن هـذا كان يحـدث في تشـامبرلين، في **تشـامبرلين**، بحـق اللـه!، حيـث كان يـشرب الشـاي المثلَّـج في شرفـة بيـت أمـه الأماميـة المشمسـة ويُحكِّـم مباريـات كـرة السـلة في "دوري أنشـطة البوليـس" ويقـوم بجولـةٍ أخـيرة في الطريـق السـادس مـرورًا بحانـة كاڤالييـه قبـل أن يـأوي إلى الفـراش في الثانيـة والنصـف صباحًـا كل يـوم. كانـت بلدتـه تشـتعل.

خـرج تـوم كويـلان مـن قسـم البوليـس وجـرى قاطِعًـا الرصيـف إلى سـيارة دويـل. كان شَـعرُه واقِفًـا في كل اتجـاه، وكان يرتـدي زِيَّ العمـل الأخـضر القـذر وفانلـة داخليـة، وقـد انتعـل حـذاءه الواطِـئ وكل فَـردةٍ في القـدم الخطـأ، لكـن دويـل اعتقـد أنـه لم يكـن سـعيدًا قَـطُّ إلى هـذا الحَـدِّ برؤيـة أحـد في حياتـه. كان تـوم كويـلان مُمثِّـلًا لتشـامبرلين مثلـه مثـل أي شيء، وهـا هـو- سـليم.

قال لاهثًا:

- يا إلهنا المقدَّس! هل رأيت **ذلك**؟

- ماذا يحدث؟

تساءل دويل باقتضاب. فأجابه كويلان:

(1) منظَّمـة غـير هادفـة للربـح ومقرُّهـا في ولايـة بنسـيلڤانيا، الولايـات المتحـدة، والتـي تُنظِّـم فِـرَق البيسـبول المحليـة للشـباب والكـرة اللينـة في جميـع أنحـاء الولايـات المتحـدة وبقيـة العالم. (المترجـم)

- كنتُ أصغي إلى اللاسلكي. أرادت بلَدِيَّتا موتون وويستوفر أن تعرفا إن كان ينبغي لهما أن تُرسِلَا سيارات إسعاف، وقلت نعم بحق الجحيم، أرسِلوا كل شيء. وعربات نقل الموتى أيضًا. هل فعلت الصواب؟

- نعم...

مرَّر دويل يديه في شعره، وقال:

- هل رأيت هاري بلوك؟

كان بلوك مفوَّض المرافق العامة في البلدة، والتي تشمل المياه.

- لا. لكن الرَّيِّس ديجهان يقول إن لديهم ماءً في مُربَّع رينيه القديم في الناحية الأخرى من البلدة. وهم يوصلون خرطومًا الآن. أمسكتُ ببعض الأطفال، وهم يقيمون مستشفى في قسم البوليس. إنهم أولاد جيدون، لكنهم سيريقون بعض الدماء على بلاطك يا أوتيس.

أحسَّ أوتيس دويل بموجة من الوهم تجتاحه. بالتأكيد لا يمكن أن تجري هذه المحادثة في تشامبرلين. **لا يمكن**.

- لا بأس يا تومي. فعلتَ الصواب. عُدْ إلى هناك وابدأ في الاتصال بكل طبيبٍ تجده في دليل التليفونات. أنا ذاهب إلى شارع سمر.

- طيب يا أوتيس. لو رأيت هذه العاهرة المجنونة، خُذ حذرَك.

- مَن؟

لم يكن دويل جهوري الصوت، لكنه صاح الآن متسائِلًا.

جفل توم كويلان وقال:

- كاري. كاري وايت.

- مَن؟ كيف تعرف؟

رمش كويلان بعينيه في بطء، وقال:

- لا أعرف. لقد خطر لي ذلك... فقط بطريقة ما.

من شريط أخبار الأسوشيتدبرس الوطني، 11:46 مساء:

تشامبرلين، مين (أب)

ضربت كارثة فادحة الأركان بلدة تشامبرلين بولاية مين الليلة. امتدَّ حريقٌ، يُعتقد أنه بدأ في مدرسة إيوين الثانوية خلال حفل راقص بالمدرسة، إلى منطقة وسط البلدة، مُتسبِّبًا في انفجارات عديدة سوَّت الكثير من منطقة وسط البلدة بالأرض. ويقال أيضًا إن منطقة سكنية إلى غرب منطقة وسط البلدة تحترق. ومع ذلك، فإن جُلَّ الاهتمام موجَّهٌ في هذه اللحظة إلى المدرسة الثانوية حيث كان يقام حفل تخرُّج راقص. من المعتَقَد أن كثيراً من حضور الحفل محبوسون في الداخل. قال أحد رجال الإطفاء الذين تم استدعاؤهم من ويستوفر إلى مسرح الأحداث إن إجمالي الرقم المعروف للموتى وصل إلى سبعة وستين. أغلبهم طلاب المدرسة الثانوية. وبسؤاله كم يمكن أن يبلغ العدد الإجمالي بحدٍّ أقصى قال: "لا نعرف. نخشى أن نُخمِّن. سيكون هذا أسوأ من حريق ملهى كوكونت جروف[(1)]". في التقرير الأخير الوارد إلينا ذُكِر أن ثلاثة حرائق تستعر خارجة عن السيطرة في البلدة. وهناك تقارير غير مؤكَّدة عن احتمال أن تكون الحرائق مُتعمَّدة. انتهى.

11:46 مساء 27 مايو، 8943 ف (أ ب)

---

(1) كان حريق Cocoanut Grove في بوسطن، ماساتشوستس، الولايات المتحدة في 28 نوفمبر 1942، أشدَّ الحرائق دمويَّةً في تاريخ الولايات المتحدة، وثاني حريق في مبنى واحد دموية في

لم تـرد أي تقاريـر أخـرى لـ "أ ب" مـن تشـامبرلين. في السـاعة 12:06 صباحًـا، انفتـح أنبـوب الغـاز الرئيـسي في چاكسـون أڤنيـو. في السـاعة 12:17 ألقـى عامِـلُ إسـعاف مـن موتـون عُقـبَ سـيجارة بينـما كانـت سـيارة النجـدة تُـسرِع نحـو شـارع سـمر.

دمَّـر الانفجـار مـا يقـرب مـن نصـف مُربَّـعٍ سَـكنيٍّ في ضربـة واحـدة، وشـمل مكاتـب الـبرق في تشـامبرلين. قبـل أن تصـل السـاعة إلى 12:18 صباحًـا، كانـت تشـامبرلين مقطوعـةً عـن بقيـة البـلاد التـي كانـت تنـام بالطبـع غافلـة.

في السـاعة 12:10، قبـل سـبع دقائـق مـن انفجـار خـطِّ الغـاز الرئيـسي، عـانى سـنترال التليفـون مـن انفجـارٍ أقـلَّ حِـدَّة: عُطل تـام لكل خـطٍّ تليفون مـا زال يعمـل في البلـدة. الفتيـات الثـلاث المنهـكات في نوبـة العمـل ظللـن في مواقِعِهـنَّ، لكنهـن عَجَـزن تمامًـا عـن التعامُـل مـع المشـكلة. عملـن وعـلى وجوههـن تعبيرات رُعـبٍ خشـبية، محـاوِلاتٍ أن يوصلـن مكالمات لا مجـال لتوصيلهـا.

وهكذا اندفع أهل تشامبرلين في الشوارع.

خرجـوا كغـزو مـن المقابـر التـي تقـع في المنعطـف المفصـلي الـذي يُشـكِّله تقاطُـع طريـق بيلسـكويز مـع الطريـق السـادس؛ خرجـوا بأرديـة البيـت وثيـاب النـوم البيضـاء، كـما لـو أنهـم في أكفـانٍ ملفوفـة. خرجـوا بالبيچامـات وبكـرات الشَّـعر (السـيدة داوسـون، ابنهـا المرحـوم الآن كان هـو الشـاب المـرح جِـدًّا، خرجـت وعـلى وجههـا قِنـاعٌ طينـيٌّ وكأنهـا تسـتعدُّ لعَـرضٍ إنشـاديٍّ سـاخر تؤديـه فرقـة مـن الزنـوج). خرجـوا لـيروا

التاريخ الأمريـكي، أسـفر عـن مقتـل 492 شـخصًا. كان "جـروڤ" واحـدًا مـن أكـثر الأماكـن الليليـة شُـهرَة في بوسـطن، حيـث اجتـذب العديـد مـن مشـاهيرها. (المترجـم)

ما حدث لبلدتهم، ليروا إن كانت ترقد بالفعل مُحترِقةً ودامية. خرج الكثيرون منهم أيضًا ليموتوا.

كان شارع كارلين مُحتَشِدًا بهم، بطوفان منهم، يتحرَّكون نحو وسط البلدة عبر الضوء المحموم للسماء، عندما خرجت كاري من كنيسة الأبرشانيِّين[1] في شارع كارلين، حيث كانت تصلي.

دخَلَت قبل خمس دقائق فقط، بعد فتح خطِّ الغاز الرئيسي (كان هذا سهلًا؛ بمجرَّد أن تَصَوَّرته ممدودًا هناك تحت الشارع كان ذلك سهلًا)، لكنها بَدت كساعات. لقد صَلَّت طويلًا وبعُمقٍ، أحيانًا بصوتٍ عالٍ، وأحيانًا في صمت. دقَّ قلبها بعنف وإرهاق. برزت عروق وجهها وعنقها. امتلأ ذهنها بمعرفةٍ ضَخمةٍ **بالقوى، وبالهاوية.** صلَّت أمام المذبح، راكِعةً في ثوبها المبتل والممزق والدامي، قدماها حافيتان وقذرتان وداميتان من زجاجة مكسورة داست عليها. أنفاسها مخنوقة في دخولها وخروجها من حلقها، وامتلأت الكنيسة بالتأوُّهات والتمايُلات والانكسارات مع انبثاق الطاقة النفسية منها. سقطت دِكَك، وطارت كتُبُ تراتيل، وأبحر قربانٌ مُقدَّسٌ فضِّيٌّ في صمت عبر الظلام المُقَبَّب لصحن الكنيسة كي يتحطَّم على الحائط البعيد. صلَّت ولم تكن هناك أي استجابة. لم يكن هناك أحد- أو لو كان، فقد ابتعد مرتعِدًا منها. لقد أشاح الرَّبُّ بوجهه بعيدًا، ولِم لا؟ كان هذا الرعب صنيعَه بقدر ما كان صنيعَها. وهكذا غادرت الكنيسة، تركتها لتعود إلى البيت وتجد أمَّها وتجعل الدمار كامِلًا.

---

(1) الأبرشانيون طائفة من فرقة البروتستانت المسيحية. يعتقدون أن لجميع المسيحيين مدخلًا مباشرًا إلى الله عن طريق المسيح. وأنهم، بناء على ذلك، متساوون. وهم بخلاف الفرق المسيحية الأخرى يرفضون التحكُّم الخارجي من الأساقفة والمجالس، ويقرِّرون أنه يتعيَّن على كل طائفة أن تتولى شؤونها بنفسها، ويشمل ذلك اختيار الكهنة. (المترجم)

توقَّفَت عند الدرجة الأخيرة، ناظِرةً إلى جموع الناس وهم يتدفَّقون نحو وسط البلدة. حيوانات. فليحترقوا إذًا. فلتمتلئ الشوارع برائحة تضحيتهم. فليُسمَّ هذا المكان رقا[1]، إيخابود[2]، الأفسنتين[3].

التووا.

وتوهَّجَت مُحوِّلات الكهرباء أعلى أعمدة الإضاءة بضوءٍ أرجواني لامع، وبخَّت شرارات كالألعاب النارية الدوَّارة. سقطت أسلاك الجهد العالي في الشوارع مختلطة متشابِكةً وامتدَّ بعضها مُتلوِّيًا كالثعابين، وكان هذا سيِّئًا لهم لأن الشارع بأكمله امتلأ بالأسلاك وبدأت رائحة النَّتَن، بدأ الاحتراق. بدأ الناس يصرخون ويتقهقرون ولمس بعضهم الكابلات ودخلوا في رقصات كهربائية مُرتجَّة. انهار بعضهم بالفعل في الشارع، وتصاعد الدخان من أرديتهم ومناماتهم.

التفتت كاري ونظرت بثباتٍ إلى الكنيسة التي غادرتها للتَّوِّ. انصفق الباب الثقيل فجأة مُنغَلِقًا، كما لو أن ريح إعصار هبَّت عليه.

واستدارت كاري نحو البيت.

من شهادة تحت القَسَم للسيدة كورا سيمارد أُدلي بها أمام مجلس تحقيقات الولاية (من **تقرير لجنة وايت**) ص 217-218:

(1) كلمة وردت في إنجيل "مَتَّى"، يُرجَّح أنها مُشتَقَّة من كلمة أرامية معناها "فارغ" أو "تافه"، وهو تعبيرٌ يفيد الازدراء. (المترجم)

(2) اسم عِبريٌّ معناه "أين المجد؟"، أو "لا مجد"- ورد في سِفر "صموئيل الأول" بالكتاب المقدس كابنٍ لفينحاس حفيد هارون، وقد وُلِدَ بعد وصول الأخبار السيئة إلى أمِّه بعد موت زوجها وحَميها وأَخْذِ تابوت الرب. (المترجم)

(3) اسم الكوكب الذي ورد في سِفر "الرؤيا" على أنه سقط من السماء فسمَّم مياه الأنهار والينابيع ومات بسببه كثير من الناس. (المترجم)

س: سيدة سيمارد، يتفهَّم المجلس أنك فقَدتِ ابنتَكِ ليلة الحفل، ونحن متعاطفون معكِ أعمق التعاطف. سنجعل هذا التحقيق قصيراً قدر الإمكان.

ج: أشكركم. بالطبع أريد المساعدة لو أمكنني ذلك.

س: هل كنتِ في شارع كارلين حوالي الساعة 12:12، عندما خرَجَت كاري وايت من (كنيسة الأبرشانيين الأولى) في ذلك الشارع؟

ج: نعم.

س: لماذا كنتِ هناك؟

ج: اضطرَّ زوجي إلى الذهاب إلى بوسطن خلال نهاية الأسبوع في مَهمَّة عملٍ، وكانت روندا في حفل الربيع. كنت في البيت وحدي أشاهد التليفزيون وأنتظرها. كنت أشاهد فيلم سهرة الجمعة عندما انطلقت صفارة البلدية، لكني لم أربط هذا بالحفل الراقص. لكن بعد ذلك وقع الانفجار... لم أعرف ماذا أفعل. حاوَلتُ أن أتَّصِل بالبوليس لكني وجدتُ إشارة مشغول بعد أول ثلاثة أرقام. أنا... أنا... بعد ذلك...

س: خُذي وقتك يا سيدة سيمارد. كل ما تحتاجينه من وقت.

ج: غدَوتُ في حالة من الجنون. وقع انفجارٌ ثانٍ -أعرف الآن أنها كانت محطَّة بنزين تيدي أموكو- وقرَّرتُ أن أذهب إلى وسط البلدة وأرى ما كان يجري. كان هناك وهج في السماء، وهج رهيب. كان هذا عندما دقَّت السيدة شايرز على الباب بقوة.

س: السيدة چورچيت شايرز؟

ج: نعم، فهم يعيشون بعد الناصية. 217 شارع ويلو. وهو شارع متفرِّع من شارع كارلين. كانت تدقُّ الباب بقوة وتنادي: "كورا، هل أنت موجودة؟ هل أنت بالداخل؟". ذهبتُ إلى الباب. كانت

ترتـدي رداء حمَّامها وخُفَّيها. بـدت قدماهـا بارِدَتَيْن. قالـت إنهـم اتَّصلـوا بويستوڤر لـيروا إن كانـوا يعرفـون أي شيء وأخبروهـم أن المدرسـة تحـترق. قلـت: "آه يـا ربي الرحيـم، رونـدا في الحفـل".

س: هــل كان هــذا عندمــا قــرَّرتِ أن تذهبــي إلى وســط البلــد مــع السـيدة شـايرز؟

ج: لم نُقـرِّر شيـئًا. فقـط ذهبنـا. وضَعـتُ قدمـي في خُـفٍّ مَنـزليٍّ- أعتقـد أنـه يخـصُّ رونـدا. كان مرسـومًا عليـه فِطـرُ النَّفَّـاث الأبيـض. كان ينبغـي أن ألبـس حـذائي، لكنـي لم أكـن قـادِرةً عـلى التفكـير. وأظـن أني غـير قـادرة عـلى التفكـير الآن. فيـم تريـدون أن تسـمعوني أتكلَّـم عـن حـذائي؟

س: احْكِ الموضوع بطريقتك وكما تشائين يا سيدة سيمارد.

ج: ش.. شـكرًا. أعطيـت السـيدة شـايرز سُـترةً قديمـة كانـت في الجـوار، وانطلقنـا.

س: هل كان هناك أناس كثيرون يسيرون في شارع كارلين؟

ج: لا أعرف. كنتُ مُنزَعِجةً للغاية. ربما ثلاثون شخصًا. ربما أكثر.

س: ماذا حدث؟

ج: كُنَّـا نسـير أنـا وچورچيـت نحـو الشـارع الرئيـسي، ممسِـكَتيْن إحدانـا بيـد الأخـرى، تمامًـا كـما لـو كُنَّـا فتاتـين صغيرتـين تسـيران في مـرج بعـد الظـلام. كانـت أسـنان چورچيـت تصطـكُّ. أذكـر هـذا. أرَدتُ أن أطلـب منهـا التوقُّـف عـن اصطـكاك أسنانها، لكنـي اعتقـدت أن هـذه سـتكون وقاحـة. عـلى بُعـد مُربَّـعٍ سَـكنيٍّ ونصـف مـن كنيسـة الأبرشـين، رأيـت البـابَ ينفتـح ودار بخلـدي أن شـخصًا مـا قـد دخـل ليطلـب عَـونَ الـرَّبِّ. لكـن بعـد ثانيـة واحـدة عرفـت أني كُنـتُ مُخطِئـة.

س: كيـف عرفـتِ؟ مـن المنطقـي تمامًـا أن تفـترضي مـا افترضتِـه في البدايـة، أليـس كذلـك؟

ج: عرفتُ فقط.

س: هل عرَفتِ الشخص الذي خرج من الكنيسة؟

ج: نعم. كانت كاري وايت.

س: هل سبق ورأيتِ كاري وايت من قبل؟

ج: لا. لم تكن واحدةً من صديقات ابنتي.

س: هل رأيتِ صورةً لكاري وايت من قبل؟

ج: لا.

س: وعلى أي حال كان الوقت ظلامًا وكنتِ على مبعدة مربع سكني ونصف من الكنيسة.

ج: نعم يا سيدي.

س: سيدة سيمارد، كيف عرفتِ أنها كانت كاري وايت؟

ج: عرفت فقط.

س: هذه المعرفة يا سيدة سيمارد: هل كانت مثل ضوء دخل في عقلك؟

ج: لا يا سيدي.

س: كيف كانت؟

ج: لا أستطيع أن أقول لك. خَبَت مُتلاشِيةً كما يخبو الحلم. بعد ساعة من استيقاظك لا يمكنك أن تتذكَّر إلَّا أنَّكَ حَلُمتَ. لكني عرفت.

س: هل كان هناك أي إحساس شعوري صاحب هذه المعرفة؟

ج: نعم. الرعب.

س: ماذا فعلتِ بعد ذلك؟

ج: التفتُّ إلى چورچيت وقلت: "ها هي". وقالت چورچيت: "نعم، إنها هي". وبدأت تقول شيئًا آخر، وعندئذ أضاء الشارع كله بوهج ساطع وتعالت أصوات فرقعة ثم بدأت خطوط الكهرباء تسقط في الشارع، وبعضها تبصق شرارات حيَّةً. ضرب أحدها رَجُلًا أمامنا وان... انفجرت فيه ألسنة اللهب. بدأ رجل آخر يجري وداس على واحد منها وجسده فقط... تقوَّس إلى الوراء، كما لو أن ظهره تحوَّل إلى مطَّاط. وبعد ذلك سقط أرضًا. كان هناك أشخاص آخرون يصرخون ويجرون، يجرون فقط بطريقة عمياء، وسقط المزيد والمزيد من الكابلات. تدلَّت في المكان كله متلوِّيةً كالثعابين. وكانت سعيدةً بهذا. **سعيدة**! كان بمقدوري **الشعور** بأنها سعيدة. عرفت أن عليَّ الحفاظ على رأسي. كان الناس الذين يجرون يتعرَّضون للصعق بالكهرباء. قالت چورچيت: "أسرعي يا كورا. آه يا إلهي، لا أريد أن أحترق حيَّةً". قلت: "توقَّفي عن هذا. علينا أن نستخدم عقولنا يا چورچيت، وإلا فإننا لن نستخدمها مرة أخرى أبدًا". شيء أحمق كهذا. لكنها لم تُنصِت. أفلتت يدي وبدأت تجري نحو الرصيف. صرختُ فيها كي تقف -كان هناك واحد من هذه الكابلات الرئيسية الثقيلة مقطوعًا أمامنا تمامًا- لكنها لم تُنصِت. وهي... هي... آه، كان بمقدوري أن أشمَّ رائحتها عندما بدأت تحترق. فقد بدا الدخان وكأنه يتفجَّر خارِجًا من ثيابها، وفكَّرت أن هذا ما لا بُدَّ أن يكون عليه المرء عندما ينصعق بالكهرباء. كانت الرائحة حلوة، كرائحة لحم الخنزير. هل شمَّ أحدكم من قبل تلك الرائحة؟ أحيانًا أشمُّها في أحلامي. وقفت ساكنة تمامًا، أشاهد چورچيت شايرز وهي تتحوَّل إلى السواد. وقع انفجار كبير في ويست إند -أعتقد أنه خطُّ الغاز الرئيسي- لكني لم ألاحظ هذا حتى. نظَرتُ حولي وكنت وحيدة تمامًا. كل الآخرين إمَّا هربوا أو كانوا يحترقون. رأيت سِتَّ جُثَثٍ ربما. كانوا أشبهَ بأكوام من الأسمال القديمة. سقط أحد الكابلات على الشرفة الأمامية لبيت إلى اليسار، وأمسكت فيه

النيران. استطَعتُ أن أسمع ألواح الخشب المتزعزعة قديمة الطراز وهي تطقطق مثل الفشار. بدا وكأني وقفت هناك زمنًا طويلًا، وأنا أقول لنفسي حافظي على رأسك. بدت وكأنها ساعات. بدأت أخشى أن يغشى عليَّ وأسقط على أحد الكابلات، أو أن أُصاب بنوبة هلع وأبدأ في الجري. مثل... مثل چورچيت؛ لذا بدأت أمشي. خطوة واحدة كل مرة. ازداد الشارع سطوعًا، بسبب البيت المحترق. خطَوتُ من فوق سِلكَيْن حَيَّيْن ودُرتُ حول جُثَّةٍ لم تكن أكثر من بِركة صغيرة. أنا... أنا... أنا كنت مُضطرَّةً للنظر كي أرى إلى أين كنت ذاهبة. كان هناك خاتم زواج في يد الجثة، لكنه كان أسود تمامًا. **أسود** تمامًا. يا يسوع، كنت أفكر. آه يا ربي الرحيم. خطَوتُ من فوق كابل آخر، وبعد ذلك كان هناك ثلاثة آخرون، معًا جميعًا. وقفتُ فقط أتطلَّع إليهم. فكَّرتُ أني لو تجاوَزتُهم سأكون بخير لكني... لم أجرؤ. هل تعرفون ما ظلَلتُ أفكِّر فيه؟ تلك اللعبة التي تلعبونها عندما تكونون أطفالًا. خطوة العملاق. كان هناك صوت في عقلي يقول: يا كورا، خذي خطوة عملاقة واحدة فوق الأسلاك الحية في الشارع. وكنتُ أفكِّر **هل يمكنني؟ هل يمكنني؟** أحدهم كان ما زال يبصق بضع شرارات، لكن الاثنين الآخرين بدا أنهما هامدان. لكن لا يمكنك أن تعرف. بدا الخط الثالث ميِّتًا أيضًا. هكذا وقفتُ هناك، منتظرة أن يأتي أحدهم ولم يأتِ أحد. كان البيت ما زال يحترق وامتدَّت ألسنة اللهب إلى المرج والأشجار والسياج المجاورين له. لكن لم تأتِ أي سيارة إطفاء. بالطبع لم تأتِ. كان الجانب الغربي بأكمله يحترق إبَّان ذلك. وشعرت بالوهن الشديد. وأخيرًا أيقنت أني إمَّا أن أقوم بالخطوة العملاقة أو يغشى عليَّ، وهكذا اتَّخَذتُها، خطوة عملاقة قدر ما استطعت، ونزل كعبٌ خُفِّي على مسافة لا تزيد عن بوصة من السِّلك الأخير. ثم تجاوَزتُ هذه الكابلات ودُرتُ حول طرف سِلكٍ آخر، وبعد ذلك بدأت أجري. وهذا كل ما أتذكَّره. عندما أتى الصباح كنتُ مُتمدِّدةً على بطانية في

قسم البوليس مع كثير من الأشخاص الآخرين. بعضهم -قِلّة منهم- كانوا صبية في ثياب حفلهم وبدأت أسألهم إن كانوا قد رأوا روندا. وقالوا... ق.. ق.. قالوا...

(استراحة قصيرة)

س: أنتِ متأكِّدَة بشكل شخصي من أن كاري وايت هي مَن فعلت ذلك؟

ج: بلى.

س: أشكُرُكِ يا سيدة سيمارد.

ج: أود أن أسأل سؤالًا لو سمحتم.

س: بالطبع.

ج: ماذا سيحدث لو أن هناك آخرين مثلها؟ ماذا سيحدث للعالم؟

من كتاب "وانفجر الظل..." (ص 151):

عندما أصبحت الساعة 12:45 من صباح يوم 28 مايو، كان الموقف في تشامبرلين حرِجًا. كانت المدرسة قد احترقت تمامًا فوق قطعة معزولة نسبيًّا من الأرض، لكن منطقة وسط البلدة كانت مُشتَعِلةً. تقريبًا كل المياه في تلك المنطقة كانت مُستَنزَفَة، لكن توافَر ما يكفي (بضَغطٍ مُنخَفِض) من أنابيب المياه الرئيسية في شارع ديجهان لإنقاذ المباني التجارية بعد تقاطُع الشارع الرئيسي وشوارع أوك.

انفجار محطّة بنزين توني سيتجو في الجزء الشمالي من شارع سمر نتج عنه حريقٌ ضارٌ لن تتم السيطرة عليه إلا قرب العاشرة صباح ذلك اليوم. كانت المياه متوافِرةً في شارع سمر؛ لكن لم يكن هناك

ببساطة رجال إطفاء أو مُعِدَّات مقاومة حرائق لاستخدامها. كانت المُعِدَّات وقتها في طريقها من لويستون، أوبرن، ليسبون، برونزويك، لكن لم يَصِل شيء حتى الساعة الواحدة.

في شارع كارلين، وقع حريق كهربائي بسبب خطوط الكهرباء الساقطة. سيخرج في النهاية أحشاء الجانب الشمالي كله من الشارع، بما في ذلك البيت الذي وَلَدَت فيه مارجريت وايت ابنتها.

في الجانب الغربي من البلدة، أسفل ما يُسمَّى بشكل شائع تَلُّ بريكيارد هِل، حَدَثَت أسوأ كارثة: انفجار خطٍّ غازٍ رئيسيٍّ، والذي نتج عنه حريق استَعَرَ خارجًا عن السيطرة طوال أغلب اليوم التالي.

ولو نظرنا إلى هذه النقاط المضيئة على خريطة للبلدية (انظر الصفحة المقابلة) يُمكِنُنا تمييز مسار كاري- طريق طواف ملتف من الدمار عبر البلدة، لكنه مسار ذو وجهة محددة غالبًا: البيت...

انقلب شيء ما في غرفة المعيشة، واعتدلت مارجريت وايت، مائِلةً برأسها إلى جانب. التمعت سكين الجزار ببرود في ضوء ألسنة اللهب. كانت الكهرباء قد انقطعت في وقتٍ ما من قبل، وجاء الضوء الوحيد في البيت من الحريق في الشارع.

سقطت إحدى الصور من فوق الحائط مُحدِثَةً ضَجَّة. وبعد لحظة سقطت ساعة الوقواق ماركة بلاك فوريست. ندت عن الطائر الميكانيكي زعقة صغيرة مخنوقة ثم سكن هامِدًا.

زعقت السارينات من البلدة بلا نهاية، لكن كان ما زال بمقدورها سماع وقع الخطوات عندما تعالى عند مدخل البيت.

انفتح الباب كأن ريحًا اجتاحته. خطوات في الصالة.

سمعت اللوحات الجِصِّيَّة في غرفة المعيشة (المسيح، الضيف غير المرئي؛ ماذا كان ليفعل يسوع؛ اقتربت الساعة؛ لو كانت الليلة يوم الحساب؛ هل أنت مستعد) تنفجر واحدة بعد الأخرى، مثل طيور الجص في مضمار الرماية.

(آه لقد كنتِ هناك ورأيتِ العاهرات يرقصن على منصَّات خشبية)

اعتدلت في جلستها على مقعدها الدائري كتلميذ نجيب يجلس في مواجهة الفصل. لكنَّ عينيها كانتا مُشَوَّشَتَيْن.

انفتحت نوافذ غرفة المعيشة بعنف إلى الخارج.

انصفق باب المطبخ ودخلت كاري.

بدا أن جسدها قد التوى، انكمش، كأنها عجوز شمطاء. كان فستان الحفل قد صار خِرَقًا وأسمالًا، وبدأت دماء الخنازير تتجلَّط وترتسم خطوطًا. على جبهتها كانت هناك بُقعَةٌ من الشحم، وركبتاها مخدوشتان مجلوطتان. همست:

- ماما...

عيناها كانتا لامعتين بشكلٍ غير طبيعي، كعيني الصقر، لكن فمها كان يرتجف. لو كان هناك أحد يشاهد هذا المشهد، لأدهشه التشابُه بينهما .

جلست مارجريت وايت على مقعدها الدائري في المطبخ، والسكين القاطع مُخبَّأ وسط طيَّات ثوبها في حِجرها. قالت بوضوح:

- كان ينبغي أن أقتل نفسي عندما وضعه فيَّ. بعد المرة الأولى، قبل أن نتزوَّج، وعَدَني. لن تَحدُث مرَّةً أخرى أبدًا. قال إننا فقط... انزلقنا. صدَّقتُه. سقطتُ وفقَدتُ الطفل، وكان هذا حُكم الله. شعرتُ أن الخطيئة قد كُفِّر عنها. بالدم. لكن الخطيئة لا تموت أبدًا. **الخطيئة... لا تموت... أبدًا.**

التمعت عيناها.

- ماما، أنا...

- في البدايـة كان كل شيء عـلى مـا يـرام. عِشـنا بـلا خطيئـة. نِمنـا في نفـس الفـراش، أحيانًـا بَطنًـا لبطـن، وآه، كان بمقـدوري الشـعور بوجـود الحَيَّـة، لكننـا... لم... نفعـل... قـطُّ... حتـى...

وبدأت تبتسم، وكانت ابتسامةً قاسيةً مُريعةً.

- وتلـك الليلـة رأيتـه ينظـر إليَّ بتلـك الطريقـة. جَثَونـا لنُصـلّي طَلَبًـا للقُـوَّة وهـو... لمسـني. في ذلـك المـكان. ذلـك المـكان النسـائي. وطردتـه مـن البيـت. رحـل لسـاعات، وصلَّيـتُ مـن أجلـه. كان بمقـدوري رؤيتـه في عـين عقـلي، يسـير في شـوارع منتصـف الليـل، يصـارع الشـيطان كـما صـارع يعقـوبُ مَـلاكَ الـرب. وعندمـا عـاد، كان قلبـي ممتلِئًـا بالامتنـان.

توقَّفَـت قليـلًا، مبتَسِـمةً تلـك الابتسـامة الجافـة عديمـة الـروح إلى ظـلال الغرفـة المتقلِّبـة.

- ماما، لا أريد أن أسمع هذا!

بـدأت الأطبـاق تنفجـر في الدواليـب مثـل الحـمَّام الطينـي المسـتخدَم في تدريبـات التصويـب.

- بعـد أن دخـل شَـمَمتُ الويسـكي في أنفاسـه. وأخـذني. **أخـذني!** ونَتَنُ الويسـكي في النُّـزُل القـذر مـا زال عالِقًـا بـه، أخـذني... **وأعجبنـي ذلـك!**

صرخت بالكلمات الأخيرة نحو السقف.

- أعجبتني آه كل هذه المضاجعة القَذِرَة ويداه فوقي فوقي كلي!

- **ماما!**

(ماما!!)

قطعـت حديثهـا كأنهـا تلقَّـت صفعـةً، ورمشـت بعينيهـا ناظِـرةً إلى ابنتهـا. ثـم قالـت بنـبرة صـوت أكـثر طبيعيـة:

- قتلـتُ نفـسي تقريبًـا! وبـكى رالـف وتحـدَّث عـن الكفَّـارة، ولم أتحـدَّث، وبعـد ذلـك مـات، وبعـد ذلـك اعتقـدتُ أن الـرب قـد زارني بالسَّرطـان؛ أنـه كان يُحـوِّل أعضـائي الأنثويـة إلى شيء أسـود ومتعفِّـن مثـل روحـي الآثمـة. لكـن هـذا كان ليغـدو يسـيرًا للغايـة. فالـرَّبُّ يعمـل بطُـرُقٍ غامضـة ليـؤدِّي مُعجزاتـه وعجائبـه. أرى ذلـك الآن. عندمـا بـدأت الآلام ذهَبـتُ وأتيـت بسـكِّين... هـذا السـكين (ورَفَعتـه)... وانتظرتُـكِ كي تـأتي حتـى أتمكَّـنَ مـن تقديـم أضحيتـي. لكنـي كنـتُ ضعيفـةً وتراجَعـتُ. تناوَلـت هـذا السـكين في يـدي مـرة أخـرى عندمـا كنـتِ في الثالثـة، وتراجَعـتُ مـرة أخـرى. وهكـذا الآن أتى الشـيطان إلى البيـت.

رفَعَـت السـكين، وثبتـت عيناهـا، كأنهـما منوَّمتـان، عـلى الانحنـاءة اللامعـة لنصلهـا.

أخذت كاري خطوة بطيئة متخبِّطة إلى الأمام.

- جئـتُ لأقتُلَـكِ يـا مامـا. وكنـت تنتظريـن هنـا لتقتلينـي. يـا مامـا، أنـا... هـذا ليـس صوابًـا، يـا مامـا. هـذا ليـس...

- هيا نصلِّي...

قالتهـا مامـا بنعومـة. ثبَتَـت عيناهـا عـلى عينَـيْ كاري، وكان فيهـما عطـفٌ مجنـونٌ رهيـب. غَـدَا نـور النـار أكـثرَ سـطوعًا الآن، متراقصًـا عـلى الجـدران كالدراويـش.

- للمرة الأخيرة، هيا نصلي.

- **آه يا ماما ساعديني!**

صرخت كاري. وسقَطَت على ركبتيها، مُطرِقَةَ الرأس، رافعة اليدين في توسُّل.

مالت ماما إلى الأمام، وهبط السكين في قوس لامع.

انتفَضَت كاري إلى الخلف، ربما بعد أن رأت المشهد بطرف عينها، وبدلًا من أن يخترق ظهرها، غاص السكين في كتفها حتى المقبض. اشتبكت قدما ماما في ساقيْ مقعدها، وسقطت مُنبَطِحَةً وهي جالسة.

حدَّقَت إحداهما في الأخرى في لوحة صامتة.

بدأت الدماء تَنِزُّ من حول مقبض السكين وتتناثر على الأرض.

ثم قالت كاري بنعومة:

- سأمنحك هدية يا ماما.

حاوَلَت مارجريت أن تنهض، فترنَّحَت، وسقَطَت من جديد على يديها وركبتيها. وصرخت بصوتٍ أجشّ:

- ماذا تفعلين؟

- أتخيَّل قَلبَكِ يا ماما. يكون الأمر أسهل عندما ترين الأشياء في ذهنك. قلبك عضلةٌ كبيرة حمراء. يدقُّ قلبي على نحوٍ أسرع عندما أستخدم قوتي. لكنَّ قَلبَكِ يَدقُّ على نحوٍ أبطأ قليلًا الآن. أبطأ قليلًا.

حاوَلَت مارجريت أن تنهض مرَّةً أخرى، ففشلت، ورسمت علامة العين الشريرة في مواجهة ابنتها.

- أبطأ قليلًا يا ماما. هل تعرفين ما هي الهديَّة يا ماما؟ ما أردتِه دومًا. الظلام. وأيًّا كان المكان الذي يعيش فيه الرب.

همست مارجريت وايت:

- أبانا الذي في السموات...

- أبطأ يا ماما. أبطأ.
- ... ليتقدَّس اسمك...
- أستطيع أن أرى الدماء تنزف بداخلك. أبطأ.
- ... ليأتِ ملكوتك...
- قدماكِ ويداكِ مثل الرخام، مثل المرمر. بيضاء.
- ... لِتَكُن مشيئتك...
- مشيئتي يا ماما. أبطأ.
- ... على الأرض...
- أبطأ.
- كما... كما... كما في...

سقَطَت على وجهها، ويداها ملتويتان.

- كما في السماء.

همست كاري:

- نقطة.

أطرَقَت ناظِرةً إلى نفسها، ووضعت يديها بضَعفٍ حول مقبض السكين.

(لا آه لا هذا يؤلم هذا ألَمٌ أكبر ممّا يُحتمل)

حاوَلَت أن تنهض، وفشلت، ثم رفعت نفسها مُستَنِدةً على مقعد ماما. اجتاحها دوارٌ وغَثيانٌ. كان بمقدورها أن تتذوَّق طعم الدم، حادًّا وزَلِقًا، في مؤخِّرَة حلقها. كان الدخان اللاذع والخانق ينساب عبر النوافذ الآن. وصلت ألسنة اللهب بالفعل إلى البيت المجاور، حتى أن

الشرارات الآن كانت تشِعُّ بنعومة على السقف الذي ثقبته الصخور بوحشية قبل ألف عام.

خرجت كاري من الباب الخلفي، وتعثَّرَت في المرج، واستراحت

(أين ماما؟)

مستندةً إلى شجرة. كان هناك شيء من المفترض بها أن تفعله. شيء يتعلَّق بـ

(ساحات انتظار السيارات الخاصَّة بنُزل الطرق)

الملاك ذي السيف. السيف الناري.

لا يهمُّ. سيأتي إليها.

عبَرَت الساحات الخلفية إلى شارع ويلو، وبعد ذلك زحفت صاعِدةً الجسر إلى الطريق السادس.

كانت الساعة 1:15 صباحًا.

كانت الساعة 11:20 مساء عندما عادت كريستين هارجنسن مع بيلي نولان إلى الكافالييه. صعدا السُّلَّم الخلفي، وعبَرَا الصالة، وقبل أن تتمكَّن من أن تفعل شيئًا أكثر من إضاءة الأنوار، كان يجذب بلوزتها.

- بحقِّ الله دعني أفُكّ أزرارها...

- فلتذهب إلى الجحيم.

شقَّها فجأة من ظهرها. تمزَّق القماش بصوتٍ مُباغِتٍ خَشِن. انخلع زرارٌ واحد ورفَّ على الأرضية الخشبية العارية. تناهت إليهما موسيقى أغنية "هونكي تونكين" خافتة، وارتجَّ المبنى قليلًا بالرقص الحماسي الأخرق للفلاحين وسائقي الشاحنات وعُمَّال المطاحن

والنـادلات ومُصفِّفـات الشَّـعر، للشـباب قائـدي الموتوسـيكلات وداهنـي شَـعرِهم بالڤازلـين مـع فتياتهـم مـن بلـدتَيْ ويسـتوڤر ولويسـتون.

- إيه...

- اهدئي.

صفعَهـا، فاهتـزَّت رأسـها بقـوة إلى الـوراء. اتَّخَـذَت عيناهـا لمعـةً مُحايِـدةً ومَيِّتـة.

- هذه هي النهاية يا بيلي.

تراجَعَـت مُبتَعِـدةً عنـه، بثديـين ممتلئـين داخـل حمَّالـة صدرهـا، وبطـن مشـدودة، وسـاقين طويلتـين ومحبوكَتَـيْن في بنطالهـا الچينـز؛ لكنهـا تراجَعَـت نحـو السريـر.

- انتهى الأمر.

- طبعًا...

اندفـع نحوهـا ولكَمَتـه... لكمـة قاسـية عـلى نحـو مُذهِـلٍ اسـتقرَّت عـلى وجنتـه.

اعتدل ولوى رأسه قليلًا.

- لقد ناوَلتِني لكمةً بكدمَةٍ أيَّتها العاهرة.

- وسأناولك المزيد.

- ستفعلين، أنتِ على حَقٍّ لعين.

حـدَّق أحدهـما في الآخـر، لاهِثَـيْن، غاضِبَـيْن. ثـم بـدأ هـو يفـكُّ أزرار قميصـه، وابتسـامة صغـيرة تلـوح عـلى وجهـه.

- لقد بدأناها يا تشارلي. لقد بدأنا بالفعل.

كان يدعوها تشارلي كلَّما أحسَّ بالسرور منها. فكَّرَت بلمحة سخرية باردة أن هذا الاسم يبدو أنه مُرادِفٌ نَوعيٌّ في قاموسه يعني: مومس جيدة.

أحسَّت بابتسامة صغيرة ترتسم على وجهها، مسترخية قليلًا، وكان هذا عندما ألقى قميصه في وجهها وانحنى، ناطِحًا إيَّاها في بطنها كالماعز، مُلقِيًا بها على السرير. زعقت أسلاك الفراش. دقَّت بقبضتيها في عجز على ظهره.

- ابتَعِد عني! ابتعد عني! ابتعد عني! أنت يا كُرَة الشَّحم اللعينة، **ابتعد عني!**

كان يبتسم لها مُكشِّرًا عن أنيابه، وبجذبة واحدة سريعة عنيفة انكسر سحَّابها، وتحرَّر فخذاها. كان يقول ناخِرًا:

- تتَّصِلين ببابا؟ أهذا ما ستفعلين؟ هه؟ هذا كل شيء يا حبيبتي؟ تتَّصِلين ببابا كلب الصيد القانوني العجوز الضخم؟ هه؟ كنتُ لأفعلها بك، أتعرفين هذا؟ كنتُ لأُسْقِطه كلَّه على فرجك اللعين. أتعرفين هذا؟ هه؟ أتعرفين؟ دم الخنازير من أجل الخنازير، صحيح؟ على فَرْجِكِ اللعين مباشرة. أنت...

كانت قد كفَّت فجأة عن المقاومة. توقَّف هو قليلًا، مُحدِّقًا فيها، وقد ارتَسَمَت على وجهها ابتسامة عجيبة.

- أردتها بهذه الطريقة طوال الوقت، أليس كذلك؟ أيُّها الحُثالة البائس الحقير. هذا صحيح، أليس كذلك؟ يا فريد زمانك المقرف ذا الخصية الواحدة والقضيب القصير.

ارتسَمَت على وجهه ابتسامة عريضة بطيئة مجنونة وقال:

- لا يهم.

- لا، لا يهم.

قالتها واختفت ابتسامتها فجأة، ونفَرَت عروق رقبتها بينما كانت تتنخَّم... وبصقت في وجهه.

وغاصًا في غيبوبة حمراء عنيفة.

بالأسفل ضجَّت الموسيقى ولهثت (أتناول حبوبًا بيضاء صغيرة وعيناي مفتوحتان على اتساعهما/ ستة أيام على الطريق، وها أنا عائد إلى بيتي الليلة)[1] موسيقى كانتري/ ويسترن، في كامل سرعتها، عالية جدًّا، سيئة جدًّا، فرقة من خمسة رجال يرتدون قمصان رعاة بقر مُطرَّزة وبنطلونات جينز جديدة ضيقة الساقين بها مسامير لامعة، بين حينٍ وآخر يمسحون عن جباههم مزيجًا من العَرَق وجعَّة "ڤيتاليس" الخالية من الكحول، جيتار أساسي، إيقاع، جيتار ستيل[2]، جيتار دوبرو[3]، طبول: لم يسمع أحدٌ صُفَّارة البلدية، ولا الانفجار الأول، ولا الثاني؛ وعندما انفجر خطُّ الغاز الرئيسي وتوقَّفت الموسيقى وذهب أحدهم إلى ساحة انتظار السيارات وبدأ يصرخ مُذيعًا الخبر، كانت كريس وبيلي نائمين.

استيقظت كريس فجأةً وأشار المنبه على الطاولة الجانبية إلى الواحدة وخمس دقائق. كان أحدهم يطرق الباب بقوة ويزعق:

- بيلي! استيقظ! هيا! هيا!

تحرَّك بيلي، وتَقلَّب، وأطاح بالمُنبِّه على الأرضية. اعتدل في جلسته وقال بصوت غليظ:

- ماذا هناك بحق المسيح؟

---

(1) من أغنية Six Days on the Road التي اشتهرت عندما غناها مطرب موسيقى الكانتري: ديف دادلي سنة 1963 وحققت نجاحا كبيرا. (المترجم)

(2) أي جيتار يُعزف عليه بتحريك قِطعَةٍ من المعدن أو أي مادَّة صُلبَة على الأوتار المعفوقة. (المترجم)

(3) جيتار رنَّان مخروطيٌّ ذو هيكل خشبي. (المترجم)

أحسَّ بلسعة في ظهره. كانت العاهرة قد غطَّته بخدوش طويلة. تقريبًا لم يلاحظ ذلك في وقته، لكنه قرَّر الآن أن يعيدها إلى البيت مُقوَّسَة الساقين. فقط ليُرِيَها مَن كان بـ...

أدهشه الصمت. صمت. لا تغلق الكافالييه أبوابها قبل الثانية صباحًا؛ وفي الحقيقة كان ما زال بمقدوره رؤية أضواء النيون تومض وتنطفئ من خلال نافذة العلِّيَّة المتربة. باستثناء الطَّرق الثابت

(حدث شيء ما)

كان المكان في سكون المقابر.

- بيلي، هل أنتَ موجود؟ إيه!

همست كريس:

- مَن هذا؟

كانت عيناها لامعتين ويقظتين في ضوء النيون المتقطِّع.

قال شاردًا:

- چاكي تالبوت...

ثم رفع صوته:

- ماذا؟

- دعني أدخل يا بيلي. لا بُدَّ أن أتكلَّم معك!

نهض بيلي وسار إلى الباب عاريًا. أزال قفل الباب العتيق وفتحه.

اندفع چاكي تالبوت داخِلًا. كانت عيناه مذعورتَيْن ووجهه مُلطَّخ بالسُّخام. كان يُنهي شرابه مع ستيف وهنري عندما جاء الخبر في الثانية عشرة وعشر دقائق. عادوا إلى البلدة في سيارة هنري الدودچ القديمة ذات السقف القابل للطي، ورأوا خطَّ الغاز الأساسي في جادَّة

جاكسـون وهـو ينفجـر مـن أعـلى تـلّ بريكيـارد هِـل. عندمـا اسـتعار چـاكي السـيارة وبـدأ يقـود عائـدًا في الثانيـة عـشرة والنصـف، كانـت البلـدة في حالـة فـوضى مذعـورة.

قال لبيلي:

- تشـامبرلين تحـترق، البلـدة اللعينـة بأكملهـا. المدرسـة دُمِّـرَت. المركـز التجـاري دُمِّـر. ويسـت إنـد انفجـرت- الغـاز. وشـارع كارلين يحـترق. ويقولـون إن كاري وايـت مَـن فعلتهـا!

قالت كريس:

- آه يا إلهي!

بدأت تنهض من السرير وتتلمَّس طريقها بحثًا عن ملابسها.

- ماذا...

- اخرسي وإلا سأركل مؤخِّرَتَكِ.

قالها بيلي بهدوء. ثم التفت إلى چاكي مرّة أخرى وأومأ له كي يكمل:

- لقـد رأوهـا. رآهـا كثـير مـن النـاس. يقولـون إنهـا كانـت مُغطَّـاة بالـدم تمامًـا يـا بيـلي. كانـت في ذلـك الحفـل اللعـين الليلـة... لم يـدرك سـتيڤ وهـنري الأمـر لكـن... بيـلي هـل أنـت ... دم الخنازير ذلـك... هـل كان...

- نعم...

- يا خبر!

تراجـع چـاكي مُتعـثِّرًا نحـو إطـار البـاب. اصفـرَّ وَجهُـه بشـدَّة في ضـوء المصبـاح الوحيـد في الصالـة.

- يا يسوع... بيلي... البلدة كلها...

- كاري دَمَّرَت البلدة بأكملها؟ كاري **وايت**؟ هُراؤكَ زاد وفاض.

قالها بهدوء، برزانة تقريبًا. خلفه كانت كريس ترتدي ثيابها بسرعة. قال چاكي:

- اذهب وانظر من النافذة...

ذهب بيلي ونظر خارجًا. كان الأفق الشرقي بأكمله قد استحال قرمزيًّا، واشتعلت السماء باللون ذاته. بل إنه وهو ينظر، كانت ثلاث سيارات مطافئ تصرخ عابرة. استطاع أن يُميِّز الأسماء المكتوبة عليها في وهج إضاءة الشارع التي كانت تُميِّز ساحة انتظار السيارات الخاصة بالكاڤالييه. قال بيلي:

- يا ابن العاهرة! هذه الشاحنات من برونزويك.

قالت كريس:

- برونزويك؟ إنها على مبعدة أربعين ميلًا. هذا لا يمكن...

التفت بيلي إلى چاكي تالبوت وقال:

- طيب. ماذا حدث؟

هز چاكي رأسه وقال:

- لا أحد يعرف، ليس بَعدُ. بدأ الأمر في المدرسة الثانوية. نالت كاري وتومي روس لقبَيْ الملك والملكة، وعندئذ سكب أحدهم دلوين من الدماء عليهما وفرَّت كاري. ثم أمسكت النيران بالمدرسة، ويقولون إن أحدًا لم يخرج. ثم انفجرت محطَّة بنزين تيدي أموكو، ثم محطَّة موبيل في شارع سمر...

قال له بيلي مصحِّحًا:

- سيتجو، إنها محطة سيتجو.

- **ومَن يبالي بهذا الخراء؟**

قالها چاكي صارخًا ثم أكمل:

- كانت هي، في كل مكانٍ حَدَثَ به شيء كانت هي! وهذان الدلوان... لم يرتدِ أحدٌ مِنَّا قُفَّازات...

- سأعتني بهذا...

- أنت لم تفهم الأمر يا بيلي. كاري...

- اخرج.

- بيلي...

- اخرج وإلا سأكسر ذراعك وأطعمك إياه.

تراجَعَ چاكي خارِجًا من الباب بحذر.

- عُدْ إلى البيت. لا تتحدَّث إلى أحدٍ. سأعتني بكل شيء.

- طيب. تمام. فقط فكِّرتُ يا بيلي...

صفق بيلي الباب.

بادَرَته كريس على الفور:

- بيلي، ماذا سنفعل مع تلك العاهرة كاري؟ آه يا إلهي ماذا سنفعل...

صفعها بيلي، مُطوِّحًا بذراعه كلها، ومطيحًا بكريس على الأرض. جلست كريس منبَطِحَةً في صمتٍ مذهول للحظة، وبعد ذلك أمسكت بوجهها وبدأت تنشج.

ارتدى بيلي بنطاله، وتيشرته، وحذاءه ذا الرقبة. ثم اتجه إلى الحوض الخزفي المتكسِّر في الركن، فتح زِرَّ المصباح أعلاه، وبلَّل رأسه، وبدأ يُمشِّط شَعره، منحنيًا ليرى انعكاس صورته في المرآة العتيقة المبقَّعة. وراءه، جلست كريس هارجنسن على الأرض، ملتوية الجسد والملامح، تمسح الدم عن شفتها المشقوقة.

قال بيلي:

- سأخبرك بما سنفعله. سنذهب إلى البلدة ونتفرَّج على النيران. ثم سنعود كلٌّ إلى بيته. ستخبرين والدك العزيز العجوز أننا ذهبنا إلى الكافاليه لنشرب البيرة عندما حدث ما حدث. وسأخبر أمي العزيزة العجوز بنفس الكلام. تمام؟

- بيلي... بصماتك..

كان صوتها مخنوقًا، لكنه مليء بالاحترام. قال بيلي:

- بصماتهم. أنا كنتُ أرتدي قُفَّازًا.

- هل سيعترفون؟ لو اعتقلهم البوليس واستجوبهم...

- طبعًا، سيعترفون.

كانت الحلقات والتموُّجات سليمةً تقريبًا. التمَعَت في ضوء المصباح الكئيب المبقَّع بفضلات الذباب مثل دوَّامات في المياه العميقة. كان وجهه هادئًا، رابط الجأش. وكان المشط الذي استخدمه مُشطَ جَيبٍ قديم مضعضع، تجلَّط الشحم عليه. كان أبوه قد منحه إيَّاه في عيد ميلاده الحادي عشر، ولم تنكسر سِنَّةٌ واحدة فيه. ولا واحدة.

قال:

- ربما لن يجدوا الدلوين أبدًا. ولو وجدوهما، ربما تكون كل البصمات قد انمحت كلها في الحريق. لا أعرف. لكن لو قبض دويل على أي واحد منهم، سأفرُّ إلى كاليفورنيا. وأنتِ افعلي ما تريدين.

- هلَّا أخذتني معك؟

تساءَلَت ناظِرَةً إليه من مجلسها على الأرض، وقد تورَّمَت شفتاها إلى حجم زنجي، وعيناها متضرِّعتان.

ابتسم.

- ربما.

لكنه لن يفعل. ليس بعد الآن.

- هيا. سنذهب إلى البلدة.

هبطا إلى الطابق السفلي وعَبَرَا صالة الرقص الخالية، حيث كانت المقاعد ما زالت مدفوعة إلى الخلف وزجاجات البيرة قائمة مهجورة على الطاولات.

وبينما كانا يخرجان من باب الحريق قال بيلي:

- هذا المكان مقرف على أي حال.

ركبا سيارته، وأدار المحرك. وعندما أضاء الكشَّافَيْن الأماميين، بدأت كريس في الصراخ، ويداها مضمومتان على خديها.

أحسَّ بيلي بالأمر في نفس الوقت: شيء ما في ذهنه،

(كاري كاري كاري كاري)

حضور ما.

كانت كاري واقِفةً أمامهما، ربما على مبعدة سبعين قدمًا.

صوَّرَتها الأضواء العالية في هيئة شبيهة بالمشاهد الشَّبحيَّة في أفلام الرعب الأبيض والأسود، تقطر دمًا بعضه تجلَّط بالفعل. كثير منه الآن دمها هي نفسها. كان مقبض سكِّين الجزار ما زال بارزًا من كتفها، وكان ثوبها مُغطًّى بالقذارة وبُقَع العشب. لقد زحفت أغلب المسافة من شارع كارلين، نصف مَغشيٍّ عليها، لتُدمِّر هذا النُّزُل- ربما هو ذاته النُّزُل الذي بدأ فيه قَدَر خلقها المشؤوم.

وقفت تترنَّح، وذراعاها مفرودتان مثل ذراعي منوِّم مغناطيسي مسرحي، وبدأت تمشي مترنِّحةً نحوهما.

حـدث ذلـك في بحـر ثانيـة. لم تجـد كريـس الوقـت كي تنهـي صرختهـا الأولى. كانـت أفعـال بيـلي الانعكاسـية جيـدة جـدًّا وكان ردُّ فِعلـه فوريًّـا. انتقـل إلى السرعـة الأولى، وضغـط عـلى دواسـة البنزيـن إلى آخرهـا.

صرخـت إطـارات الشـيڤروليه عـلى الأسـفلت، وقفـزت السـيارة إلى الأمـام كوحـش قديـم ورهيـب مـن آكلي البـشر. ازداد حجـم شـبح كاري في الزجـاج الأمامـي ومعـه أصبـح الحضـور أعـلى صوتًـا

(**كاري كاري كاري**)

وأعلى صوتًا

(**كاري كاري كاري**)

كمذيـاع مفتـوح عـلى أعـلى صـوت. بـدا أن الوقـت ينغلـق حولهـم في إطـارٍ وللحظـة تجمَّـدوا حتـى في الحركـة: بيـلي

(**كاري** تمامًـا مثـل الـكلاب كاري تمامًـا مثـل الـكلاب اللعينـة **كاري** يـا بـروسي أتمنـى لـو أمكـن **كاري** أن تكـون **كاري** أنـت)

وكريس

(**كاري** يسـوع ليـس قتلهـا **كاري** لم أقصـد أن أقتلهـا **كاري** بيـلي أنـا لا **كاري** أريـد أن **كاري** أرى هـذا **كا**)

وكاري نفسها.

(أرى العجلـة عجلـة السـيارة بـدال البنزيـن العجلـة أرى **العجلـة** آه يـا إلهـي قلبـي قلبـي قلبـي)

وأحـسَّ بيـلي فجـأة بسـيارته تنقلـب خائِنـةً، تغـدو حيَّـة، تنزلـق في يديـه. دارت الشـيڤروليه في نصـف دائـرة مدخِّنـة، وأنابيـب العـادم تُصـدِر جَلبـةً، وفجـأة بـدأ الجـدار الجانبـي للكاڤالييـه يكـبر، ويكـبر، ويكـبر

(هذا هو)

وارتطَمَا بـه بسرعـة أربعـين كيلومـترًا في السـاعة، والسـيارة مـا زالـت تتسـارع، وتناثَـرَ الخشـبُ صاعِـدًا إلى أعـلى في انفجـار مُصطَبِـغ بالنيـون. ارتمـى بيـلي إلى الأمـام وانغـرز فيـه عمـود التوجيـه. أمـا كريـس فارتمـت مغروسـة في لوحـة العـدادات.

انشـقَّ خـزّان البنزيـن مفتوحًـا، وبـدأ الوقـود يكـوِّن بِركَـةً حـول مؤخِّرة السـيارة. سـقط جـزء مـن إحـدى أنابيـب العـادم فيهـا، واشـتعل البنزيـن نـارًا موقَـدَة.

رقـدت كاري عـلى جانبهـا، مُنغَلِقَـة العينـين، وهـي تلهـث بشـدَّة. كان صدرهـا مُشـتَعِلًا.

بدأت تجرُّ نفسها عبر ساحة انتظار السيارات، دون وجهة.

(مامـا أنـا آسـفة كل شيء سـار عـلى نحـو خاطـئ آه يـا مامـا آه مـن فضلـك آه مـن فضلـك أنـا متألمـة بشـدَّة يـا مامـا مـاذا أفعـل)

وفجـأة لم يَعُـد يهـمُّ الأمـر بعـد الآن، لم يكـن ليَهُـم شيء لـو أمكنهـا أن تنقلـب، تنقلـب وتـرى النجـوم، تنقلـب وتنظـر مـرة واحـدة وتمـوت.

وهكذا وجدتها سو في الساعة الثانية صباحًا.

عندمـا تركهـا المأمـور دويـل، سـارت سـو قاطِعـةً الشـارع وجلَسَـت عـلى درجـات محطَّـة غسـل السـيارات. حدَّقَـت في السـماء المشـتعلة دون أن تراهـا. مـات تومـي. عرفـت أن هـذا صحيـح وتقبَّلَتـه بسـهولة كانـت مخيفـة.

وقد فعلتها كاري.

لم تكـن لديهـا أي فكـرة حـول كيـف عرفـت ذلـك، لكـن قناعتهـا كانـت واضِحـةً وصحيحـة كعمليـة حسـابية.

مـرَّ الوقـت. لا يهـم. لقـد قتـل ماكبـث النـوم وقتلـت كاري الوقـت. جيِّـد جـدًّا. ملاحظـة ذكيـة. ابتسـمت سـو في حـزن. هـل يمكـن أن تكـون هـذه نهايـة بطلتنـا، الآنسـة الحلـوة الصغـيرة بنـت السادسـة عـشرة عامًـا؟ لا خـوف الآن مـن نـادي الريـف والمغاسـل. لا خـوف أبـدًا. انتهـى. احـترق. مـرَّ أحدهـم وهـو يجـري، مُتَمتِـمًا بـشيء عـن احـتراق شـارع كارلـين. هـذا جيـد لشـارع كارلـين. لقـد رحـل تومـي. ولقـد عـادت كاري إلى البيـت لتقتـل أمهـا.

(؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟)

اعتدلت فجأة في جلستها، محدِّقة في الظلام.

(؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟)

لم تعـرف كيـف عرفـت. لم يكـن لهـذا أي علاقـة بـأي شيء قرأتـه مـن قبـل عـن التخاطُـر. لم تكـن هنـاك أي صـور في رأسـها، ولا ومضـات كشـف بيضـاء هائلـة، فقـط معرفـة عاديـة؛ مثلـما تعـرف أن الصيـف يـلي الربيـع، أن السَّرطـان يمكـن أن يقتلـك، أن أم كاري ميتـة بالفعـل، أن...

(!!!!!)

اضطـرب قلبهـا بشـدَّة في صدرهـا. ميتـة؟ فحصـت معرفتهـا بالحادثـة، محاوِلَـةً أن تتجاهـل الغرابـة الملفتـة لأن تعـرف مـن الـلا شيء.

نعـم، ماتـت مارجريـت وايـت. شيء لـه علاقـة بقلبهـا. لكنهـا طَعَنَـت كاري. كاري مصابـة إصابـة سـيئة. كانـت...

ولا مزيد.

نهَضَـت وجَـرَت إلى سـيارة أمهـا. بعـد عـشر دقائـق توقَّفَـت عنـد ناصيـة شـارعي برانـش وكارلـين، التـي كانـت مُشـتَعِلةً. لم تكـن هنـاك شـاحنات إطفـاء متوافـرة لمحاربـة الحريـق بعـدُ، لكـن متاريـس خشـبية كانـت قـد

وُضِعَت بعرض طرفي الشارع، وأضاءت أواني طريق[1] مدخنة مشحمة لافتة تقول:

خطر! أسلاك مكشوفة!

شقَّت سو طريقها عبر حديقتين خلفيَّتَيْن وسياج من البراعم خدش جسدها بأشواك قصيرة قاسية. خرجت من ساحة تسبق بيت آل وايت وعبرت إلى هناك.

كان البيت مُشتَعِلًا، والسطح مُستَعِرًا. من المستحيل مجرد التفكير في الاقتراب بما يكفي للنظر بداخله. لكن في نور النار القوي رأت شيئًا أفضل: خيط دماء كاري المتناثرة. تَبِعَته برأس مطرقة، مارَّةً بالبُقَع الأكبر حيث استراحت كاري، وعابِرةً سياجًا آخر، بعرض حديقة خلفية في شارع ويلو، وبعد ذلك خاضت في كتلة متشابكة من أشجار الصنوبر والبلوط الجرداء. وراء ذلك، التفَّ نتوءٌ صَخريٌّ قصيرٌ غير مُمهَّد -لا يزيد كثيرًا عن ممرٍّ- مع ارتفاع الأرض إلى اليمين، منحرفًا بعيدًا عن الطريق السادس.

توقَّفَت فجأة عندما ساوَرَها الشَّكُّ بقوة شديدة وعارمة. بافتراض أنها ستتمكَّن من العثور عليها، ماذا إذًا؟ سكتة قلبية؟ محروقة؟ خاضعة للسيطرة ومُجبَرَة على السير أمام سيارة عابرة أو عربة إطفاء؟ معرفتها الغريبة أخبرتها أن كاري ستكون قادرة على كل هذه الأشياء.

(تبحث عن رجل بوليس)

قهقهت قليلًا على تلك الفكرة وجلست وسط العشب، الذي كان النَّدى قد أكسبه طراوَةً كالحرير. لقد وجدت رجل بوليس بالفعل. وحتى بافتراض أن أوتيس دويل قد صدَّقها، ماذا إذًا؟ جاءتها صورة ذهنية لمائة مُطارِدٍ يائس يحيطون بكاري، طالبين منها أن تُسلِّم

---

(1) قدور وآنية توضع في الطريق وتوقد فيها نارٌ للإضاءة أو الزينة. (المترجم)

أسـلحتها وتستسـلم. ترفـع كاري يديهـا مطيعـةً وتنتـزع رأسـها مـن فـوق كتفيهـا. تُسـلِّمها للمأمـور دويـل، الـذي يضعهـا بوقـار في سَـلَّةٍ مـن الخـوص مكتـوب عليهـا (معـرض النـاس أ)

(وتومي ميت)

لا بـأس، لا بـأس. بـدأت تبـكي. وضَعَـت يديهـا عـلى وجههـا ونشـجت فيهـما. هـبَّ نسـيم خفيـف عـبر شُـجَيرات العرعـر فـوق قمـة التـل. صراخ المزيـد مـن عربـات الإطفـاء في مرورهـا عـلى الطريـق السـادس مثـل كلاب صيـد حمـراء ضخمـة في الليـل.

(البلدة تحترق كلها آه لا بأس)

لا فكـرة لديهـا عـمَّا قضتـه مـن وقـت جالسـة هنـاك، تبـكي في نصـف إغفـاءة مُضنِيَـة. لم تكـن حتـى واعيـة بأنهـا كانـت تتبـع مسـار كاري نحـو الكاڤاليـيـه، ليـس أكـثر مـن وعيهـا بعمليّـة التنفُّـس إلَّا إذا فكَّـرَت فيهـا. كانـت كاري مُصابَـةً عـلى نحـو شـديد السـوء، وماضيـة وحدهـا بتصميـم وحـشي في هـذه اللحظـة. كانـت المسـافة إلى الكاڤاليـيـه ثلاثـة أميـال، حتـى عـبر الريـف، بينـما كانـت كاري ماضيـة. سـو

(شاهدت؟ فكرت؟ لا يهم)

كاري وهـي تسـقط في غديـرٍ وتجـرُّ نفسـها خارجـة، مُتجمِّـدةً وترتعش. كان مـن المدهـش فعـلًا أن تسـتمر في المـضي. لكـن هـذا بالطبـع كان مـن أجـل مامـا. أرادتهـا مامـا أن تكـون سـيفَ المـلاك النـاري، لتدمِّـر...

(ستدمر ذلك أيضًا)

نهضـت وبـدأت تجـري بشـكل أهـوج، غـير عابئـة بتتبُّـع خيـط الدمـاء. لم تَعُـد بحاجـة لتتبعـه بعـد ذلـك.

من كتاب "وانفجر الظل..." (ص 164-165):

أيًّا كان ما يمكن لأيٍّ مِنَّا أن يعتقد بشأن حكاية كاري وايت، فقد انتهت. حان الوقت كي نلتفت إلى المستقبل. كما يشير دين ماكجوفين، في مقاله الممتاز في "كتاب العلوم السنوي"، لو رفضنا القيام بذلك، سنضطر على نحوٍ مُؤكَّدٍ غالبًا أن نتحمَّل العواقب- والأغلب أن يكون الثمن فادحًا.

يثور هنا سؤال أخلاقي شائِكٌ. هناك تقدُّم يجري بالفعل نحو العَزل التام لچين التحريك الذهني. ثمة افتراض مُعيَّن في المجتمع العلمي (انظر مثلًا مقال بورك وهانيجان "رؤية نحو عزل چين التحريك الذهني مع توصيات علمية بشأن عوامل التحكُّم" في حولية الميكروبيولچي، بيركلي: 1982) بأنه عندما يستقرُّ ويتأسس إجراء اختباري، سيخضع كل الأطفال في سِنِّ الدراسة لهذا الاختبار بشكل روتيني مثلما يخضعون الآن لاختبار حُقَن السُّلِّ تحت الجلد. لكنَّ التخاطُر الذهني ليس جرثومةً؛ بل هو جزء من الشخص المصاب كما هو الحال بالنسبة للون عينيه.

لو ثبت وجود قدرة واضحة على التخاطُر الذهني في مرحلة من مراحل البلوغ، وإذا أُجري هذا الاختبار الافتراضي للتخاطر الذهني على الأطفال الداخلين الصف الأول، فسيكون لدينا بالتأكيد تحذير مُسبَق. لكن في هذه الحالة، هل يعني التحذير المسبق التسلُّح المُسبَق؟ لو تَبيَّن أن اختبار السُّلِّ إيجابي، يمكن علاج الطفل أو عزله. أمَّا لو تَبيَّن أن اختبار التخاطُر الذهني إيجابيٌّ، فليس لدينا أي علاج إلا رصاصة في الرأس. وكيف يمكن عَزلُ شخص ستكون لديه في النهاية القدرة على تقويض وهدم كل الجدران؟

وحتى لو أمكن تحقيق العزل بنجاح، هل سيسمح الشعب الأمريكي بانتزاع طفلة صغيرة جميلة من والديها لدى أوَّل مَلمَحِ بلوغٍ كي تُحبس في قبوِ بَنكٍ لبقية حياتها؟ أشكُّ في ذلك. خاصة عندما تعمل لجنة وايت بكل هذا الاجتهاد لإقناع الرأي العام بأن الكابوس الذي حدث في تشامبرلين كان مُصادَفةً كاملة.

في الحقيقة، يبدو أننا قد عُدنَا إلى المربع رقم واحد...

من شهادة تحت القسم لسوزان سنيل، أُدلي بها أمام مجلس تحقيقات ولاية مين (من تقرير لجنة وايت) ص 306-472:

س: والآن يا آنسة سنيل، يودُّ المجلس أن يراجع شهادتك المتعلِّقة بلقائك المزعوم مع كاري وايت في ساحة انتظار السيارات الخاصة بالكافالييه...

ج: لماذا تستمرُّون في طرح نفس الأسئلة مرارًا وتكرارًا؟ لقد أخبرتكم مرَّتَيْن بالفعل.

س: نريد أن نتأكد من أن التسجيل صحيح في كل...

ج: تريدون أن تُوقِعوا بي وأنا أكذب، أليس هذا ما تقصدونه بالفعل؟ أنتم لا تعتقدون أني أقول الحقيقة، أليس كذلك؟

س: تقولين إنَّكِ وجدتِ كاري في...

ج: هلَّا أجبتَني؟

س: ... في حوالي الساعة الثانية صباح الثامن والعشرين من مايو. أهذا صحيح؟

ج: لن أجيب أي أسئلة أخرى حتى تجيبوا السؤال الذي طرحته للتَّوِّ.

س: آنسة سنيل، هـذه الهيئـة مُخوَّلـة بمقاضاتـك بتُهمَـة الازدراء إذا رفَضـتِ أن تجيبـي بنـاء عـلى أي أُسُـسٍ أخـرى غـير الأُسُـس الدسـتورية.

ج: لا أبـالي بمـا أنتـم مُخوَّلـون بفعلـه. لقـد فقـدتُ شَـخصًا أُحبُّـه. تفضَّلـوا وألقـوا بي في السـجن. لا أبـالي. أنـا... أنـا... آه، اذهبـوا إلى الجحيـم. كلكـم، اذهبـوا إلى الجحيـم. أنتـم تحاولـون أن... أن... لا أعـرف، تصلبـوني أو مـا شـابه. فقـط ابتعـدوا عنـي!

(استراحة قصيرة)

س: آنسة سنيل، هل أنتِ مُستعدَّة لإكمال شهادتك هذه المرَّة؟

ج: نعم. لكنني لن أتعرَّض للمضايقة المتكرِّرة يا سيدي الرئيس.

س: بالطبـع لا يـا سـيدتي الشـابة. لا أحـد يريـد أن يضايقـك. والآن أنـت تزعمـين أنـك وجَـدتِ كاري في سـاحة انتظـار السـيارات الخاصـة بهـذه الحانـة في حـوالي السـاعة الثانيـة. هـل هـذا صحيـح؟

ج: نعم.

س: عرفتِ الوقت.

ج: كنت أرتدي الساعة التي تراها في معصمي الآن حالًا.

س: للتأكُّـد. أليسـت الكاڤاليـه عـلى بُعـدٍ يزيـد عـن ستة أميـال مـن المـكان الـذي ترَكـتِ فيـه سـيارة والدتـك؟

ج: إنها على جانب الطريق. وهي أقرب إلى ثلاثة أميال على طول.

س: هل سِرتِ هذه المسافة؟

ج: نعم.

س: والآن لقـد شـهدتِ سـابقا بأنـك "كنـتِ تعرفـين" أنـك تقتربـين مـن كاري. هـل يمكنـك تفسـير هـذا؟

ج: لا.

س: هل أمكَنَكِ شَمُّها؟

ج: ماذا؟

س: هل اتَّبَعتِ أنفك؟

(ضحك في المكان)

ج: هل تلهو بي؟

س: أجيبي على السؤال من فضلك.

ج: لا. لم أتتبَّع أنفي.

س: هل أمكنَكِ أن تريها؟

ج: لا.



س: تسمعيها؟

ج: لا.

س: إذًا كيف أمكَنَكِ أن تعرفي بوجودها؟

ج: كيف عرف توم كويلان؟ أو كورا سيمارد؟ أو ڤيك موني المسكين؟ كيف عرف أيٌّ منهم؟

س: أجيبي على السؤال يا آنسة. ليس هذا بالمكان أو الزمان الملائمين للوقاحة.

ج: لكنهم قالوا إنهم "عرفوا فقط"، أليس كذلك؟ لقد قرأتُ شهادة السيدة سيمارد في الجرائد! وماذا عن صنابير الحريق التي انفتحت وحدها؟ ومضخَّات البنزين التي كُسِرَت أقفالُها وانفتحت وحدها؟ وخطوط الكهرباء التي سقطت من أعمِدَتِها! و...

س: آنسة سنيل، من فضلك...

ج: هذه الأشياء في سجل محاضر هذه اللجنة!

س: ليس هذا موضوعنا هنا.

ج: إذًا ما هو موضوعكم؟ هل تبحثون عن الحقيقة أم كبش فداء فقط؟

س: أنت تُنكِرين أنه كانت لديك معرفة مُسبَقَة بمكان وجود كاري وايت؟

ج: بالطبع أنكر. إنها فكرة سخيفة.

س: فعلًا؟ ولماذا هي سخيفة؟

ج: حسنٌ، إذا كنت تشير إلى مؤامَرةٍ من نوع ما، فهي سخيفة لأن كاري كانت تموت عندما وجدتها. ولم تكن طريقةً سهلةً في الموت بأي حال من الأحوال.

س: إذا لم تكن لديك معرفة مُسبَقة بمكان وجودها، كيف أمكنك أن تذهبي مباشرة إلى موقعها؟

ج: آه أيها الرجل الغبي! هل استمعت إلى أي شيء قُلتُه هنا؟ كان الجميع يعرفون أن كاري وراء كل شيء! كان يمكن لأي أحد أن يجدها لو أعمل عقله في الأمر.

س: لكن لم يجدها أي أحد. بل وجدتِها أنتِ. هل يمكن أن تخبرينا لماذا لم يظهر الناس من كل مكان، كما تنجذب برادة الحديد إلى قطعة مغناطيس؟

ج: كانت قواها تضعف بسرعة. أعتقد ربما أن... أن نطاق تأثيرها كان ينكمش.

س: أعتقد أنك ستتَّفِقين معي في أن هذا افتراضٌ غَيبيٌّ نِسبيًّا.

ج: بالطبع هو كذلك. في موضوع كاري وايت، نحن جميعا غيبيون نسبيًّا.

س: كما تشائين يا آنسة سنيل. والآن لو أمكننا العودة إلى...

في البدايـة، عندمـا صعـدت الجـسر فيـما بـين مـرج هـنري درايـن وسـاحة انتظـار السـيارات الخاصـة بالكاڤالييـه، اعتقـدت أن كاري ميِّتـة. كان جسـدها في منتصـف الطريـق داخـل سـاحة الانتظـار، وبـدا متكوِّمًـا ومنكمشًـا عـلى نحـو غريـب. تذكَّـرت سـو الحيوانـات الميتـة التـي رأتهـا عـلى الطريـق 95 -حيوانـات المرمـوط وجـرذان الأرض والظربـان- والتـي دهسـتها الشـاحنات والسـيارات العريضـة.

لكـن الحضـور كان مـا زال في ذهنهـا، مُصدِرًا ذبذباتـه بعنـاد، مُكـرِّرًا حـروف نـداء شـخصية كاري وايـت مـرارًا وتكـرارًا. جوهـر كاري، صـورة كليـة لهـا. كان مكتومًـا الآن، ليـس عـالي النغمـة، لا يعلـن عـن نفسـه بنفيرٍ مُـدَوٍّ، لكنـه يعلـو ويخبـو في ذبذبـات ثابتـة.

لا واعية.

تسـلَّقَت الدرابزيـن الـذي يحـدُّ مسـاحة الانتظـار، شـاعِرةً بحـرارة النـار عـلى وجههـا. كانـت حانـة الكاڤالييـه بنايـة مؤطَّـرَة بالخشـب، وكانـت تحـترق في سرعـة. تبـدَّت البقايـا المتفحِّمـة لسيارة وسـط النـيران إلى يمـين البـاب الخلفـي. لقـد فعلتهـا كاري إذًا. لم تذهـب لتنظـر وتـرى إن كان أي أحـد موجـودًا فيهـا. لم يَعُـد يهـم، ليـس الآن.

سـارت إلى حيـث كانـت كاري راقِـدةً عـلى جانبهـا، غـير قـادرة عـلى سـماع وقـع خطواتهـا وسـط الطقطقـة الجائعـة للنـار. أطرقـت برأسـها ناظـرة إلى الجسـد المتكـوِّم بشـفقة مرتبكـة ومريـرة. بـرز مقبـض السـكين بقسـوة مـن كتفهـا، وكانـت راقـدة في بركـة صغـيرة مـن الدمـاء- بعضهـا كانـت تسـيل في خيـط مـن فمهـا. بـدت كـما لـو أنهـا كانـت تحـاول أن تنقلـب عـلى ظهرهـا عندمـا غلبهـا الإغـماء. تلـك القـادرة عـلى إشـعال الحرائـق، وإسـقاط كابـلات الكهربـاء، القـادرة عـلى القتـل بواسـطة الأفـكار فقـط؛ راقِـدَة هنـا غـير قـادرة عـلى أن تنقلـب عـلى ظهرهـا.

ركَعَت سو، وأمسكتها بذراع واحد من كتفها السليمة، وأدارتها برفق على ظهرها.

توجَّعَت كاري بصوت غائم، ورَفَّت عيناها. ازدادت حِدَّة إدراكها في ذهن سو، كما لو أن صورة ذهنية كانت تنجلي وتتَّضِح بؤرتها.

(مَن هنا)

وسو، دون تفكير، تحدَّثت بنفس الطريقة:

(أنا سو سنيل)

فقط لم تكن هناك حاجة للتفكير في اسمها. فكرة ذاتها كذاتها لم تكن كلمات ولا صورًا. فجأة جعل الإدراك كل شيء يقترب، جعله حقيقيًّا، وانبثق عطفها على كاري عبر ثِقَل الصدمة.

وكاري، في عتاب ناءٍ أبكم:

(أنتِ خَدعتِني... أنتم جميعًا خدعتموني)

(كاري أنا حتى لا أعرف ماذا حدث هل تومي)

(أنت خدعتِني هذا حدث خُدعَة خدعة خدعة آه خدعة قذرة)

كان خليط الصور والعواطف مُذهلًا، لا يمكن تصويره. الدم. الحزن. الخوف. الخدعة القذرة الأخيرة في سلسلة من الخدع القذرة: ومضت عابرة في خليط مُدوِّخ جعل ذهن سو يدور مترنِّحًا في عجز ويأس. تقاسَمَتا المجموع الكلي الرهيب لمعرفة تامة.

(كاري كفى كفى هذا يؤلمني)

الفتيات الآن يلقين الفُوَط الصحية ويغنين ويضحكن، ووجه سو منعكس على مرآة ذهنها: قبيح، كاريكاتوري، جعجاع، قاسي الجمال.

(انظري الخدع القذرة انظري حياتي كلها خدعة واحدة طويلة قذرة)

(انظري يا كاري انظري داخلي)

ونظرت كاري.

كان إحساسًا مُرعِبًا. لقد أصبح ذهنها ونظامها العصبي مكتبةً. أحدهم في احتياج شديد جرى عبرها، مُمَرِّرًا أصابعه بخِفَّةٍ على رفوف الكتب، رافِعًا بعضها، متصفِّحًا إيَّاها، مُعيدًا إيَّاها، تارِكًا بعضها تسقط، تارِكًا الصفحات تفرُّ بجنون

(لمحات هذا أنا وأنا طفلة أكرهه يا بابا آه يا ماما شفاه عريضة آه أسنان بوبي دفعني آه يا ركبتي السيارة أريد أن أركب السيارة سنذهب لزيارة العمَّة سيسيلي ماما تعالي بسرعة لقد تبوَّلت)

في رياح الذكرى؛ وما زال مستمرًّا ومستمرًّا، حتى يصل أخيرًا إلى رفٍّ بعنوان "تومي، وتحته عنوان فرعيٌّ "الحفل". تنفتح الكتب مَرمِيَّة، ومضات من الخبرة، رموز هامشية في كل الخطوط الهيروغليفية للعاطفة، أعقد من حجر رشيد.

تنظر كاري. وتجد أكثر ممَّا توقَّعَت سو نفسها- الحب تجاه تومي، الغيرة، الأنانية، حاجة لإخضاعه لإرادتها في مسألة اصطحاب كاري، القرف من كاري نفسها،

(كان يمكنها أن تعتني بنفسها على نحوٍ أفضل هي تبدو تمامًا كضفدعة صغيرة لعينة)

الكراهية للآنسة ديسياردن، الكراهية تجاه نفسها.

لكن لا وجود لنِيَّةٍ سيِّئة تجاه كاري شخصيًّا، لا خطَّة لوضعها أمام الجميع وتدميرها.

الإحساس المحموم لكونها منتهكة في أكثر ممرَّاتها سِرِّيَّة بدأ يخبو. شعرت بكاري تتراجع مُنسَحِبةً، ضعيفة ومُنهَكَة.

(لماذا لم تتركيني في حالي فقط)

(كاري أنا)

(كانـت ماما لتظل حيّـةً لقـد قتلـت أمـي أنـا أريدهـا آه هـذا يـؤلم صـدري يوجعنـي كتفـي آه آه آه أريـد مامـا)

(كاري أنا)

ولم تكـن هنـاك أي طريقـة لإكـمال تلـك الفكـرة، لا يوجـد أي شيء لإكمالهـا بـه. اجتـاح الرُّعـبُ سـو فجـأة، بـل أسـوأ مـن ذلـك لأنهـا لم تسـتطع أن تُحـدِّد اسـمًا لـه: فجـأة بَـدَت الإنسـانة الغريبـة النازفـة عـلى هـذا الأسـفلت المبقَّـع بالزيـت إنسـانة بـلا معنـى، إنسـانة شـنيعة في ألمهـا وموتهـا.

(يا ماما أنا مرعوبة يا ماما **ماما**)

حاولـت أن تنسـحب، أن تفـكَّ اشـتباك ذهنيهـما، أن تسـمح لـكاري عـلى الأقـل بخصوصيـة موتهـا، ولم تتمكّـن مـن هـذا. شـعرت أنهـا تمـوت هـي نفسـها ولم ترغـب أن تـرى هـذه المعاينـة المسـبقة لنهايتهـا الأخـيرة.

(كاري دعيني أمضي)

(ماما ماما ماما آآآآآآآآآه آآآآآآآآآه)

بلغـت الصرخـة الذهنيـة درجـةً صاعِـدةً مُبهِـرةً ومسـتحيلة ثـم بـدأت تخبـو فجـأة. للحظـة أحسَّـت سـو وكأنهـا تشـاهد لهـب شـمعة يختفـي في نفـق طويـل أسـود بسرعـة رهيبـة.

(إنها تموت آه يا إلهي أشعر بها تموت)

وبعد ذلك اختفى الضوء، وكانت الفكرة الواعية الأخيرة

(ماما أنا آسفة أين)

وانقطعـت، وظلَّـت سـو مضبوطـة الموجـات فقـط مـع الـتردُّد الفـارغ الأحمـق لأطـراف الأعصـاب الماديـة التـي ستسـتغرق سـاعات لتمـوت.

تعـثَّرَت مُبتَعِـدَةً عنهـا، رافِعـةً ذراعيهـا أمامهـا كامـرأة عميـاء، نحـو طـرف مسـاحة الانتظـار. تعـثَّرَت في الدرابزيـن الـذي يصـل ارتفاعـه إلى الركبـة وانقلبـت مـن فـوق الجـسر. نهضـت عـلى قدميهـا وترنَّحَـت سـائرة في الحقـل، الـذي كان مُمتلئًـا بأعمـدة بيضـاء غامضـة مـن ضبـاب الأرض. زقزقـت صراصـير الليـل غـير آبِهَـةٍ وصـدح طائـر السَّـوط الشرقـي

(طائر السوط الشرقي شخص ما يموت)

في هدأة الصباح الهائلة.

بـدأت تجـري، وهـي تشـهق وتزفـر بعمـق، هاربـة مـن تومـي، مـن النـيران والانفجـارات، مـن كاري، لكـن غالبًـا مـن الرعـب الأخـير- تلـك الفكـرة الأخـيرة المضـاءة المحمولـة بسرعـة داخـل نفـق الأبديـة الأسـود، متبوعـة بالطنـين الفـارغ الأحمـق للكهربـاء العاديـة.

بـدأت الصـورة العالِقَـة تخبـو عـلى غـير إرادتهـا، تارِكـةً عتمـة مُبارَكـةً بـارِدةً في ذهنهـا لا تعـرف شـيئًا. أبطـأت، توقَّفَـت، وأصبحـت واعيـةً بـأن شـيئًا مـا بـدأ يحـدث. وقفـت في منتصـف الحقـل الفسـيح المضبَّـب، مُنتَظِـرةً أن يحـلَّ الإدراك.

تباطأ تنَفُّسها السريع، تباطأ، وانحبس فجأة كما لو أن شوكة...

وفجأة انطلق في صرخة عواء واحدة هاربة.

في نفـس الوقـت الـذي أحسَّـت فيـه بالمسـار البطـيء لـدم الحيـض القاتـم وهـو ينثـال عـلى فخذيهـا.

الجزء الثالث

الحطام

مستشفى ويستوفر ميرسي/ تقرير مرضي

الاسم (الأخير) وايت (الأول) كاريتا (الأوسط) لا يوجد **بواسطة ر.م**

العنوان 47 شارع كارلين

تشامبرلين، مين 02249

غرفة الطوارئ لا أحد **سيارة الإسعاف** #16

العلاج المقدَّم لا شيء

وفاة عند الوصول (نعم) × (لا)......

توقيت الوفاة 28 مايو، 1979 – 2:00 ص (تقريبًا)

سبب الوفاة نزيف، صدمة، انسداد الشريان التاجي

و/أو انسداد شرايين القلب (محتمل)

الشخص المتعرِّف على المريض سوزان د. سنيل

19 طريق باك تشامبرلين

تشامبرلين، مين 02249

صِلة القرابة لا توجد

الهيئة الصادر التقرير لها ولاية مين

الطبيب الحاضر هارولد كوبليني، القسم الطبي

إخصائي علم الأمراض 7م

من شريط أخبار أسوشيتدبرس الوطني، الجمعة 5 يونيو 1979:

تشامبرلين، مين (أب)

يقول مسؤولو الولاية إن عدد الضحايا في تشامبرلين يقف عند رقم 409، وما زال 49 مُدرَجين في عِداد المفقودين. ويستمر التحقيق المتعلِّق بكاريبتا وايت وما تُسمَّى بظاهرة "التحريك الذهني" وسط شائعات متواصِلة بأن تشريحًا جرى للفتاة البيضاء قد كشف عن تشكيلاتٍ مُعيَّنة غير معتادة في المخ والمخيخ بالدماغ. وقد عيَّن حاكم هذه الولاية لجنةً استثنائية لدراسة المأساة بأكملها. انتهى.

تقرير نهائي 5 يونيو 0303ن (أب)

من جريدة لويستون دايلي صن، الأحد 7 سبتمبر (ص 3):

ميراث التحريك الذهني:

أرض وقلوب محترقة

تشامبرلين- ليلة الحفل في ذِمَّة التاريخ الآن. لقرونٍ ظَلَّ الحُكَماء يقولون إن الوقت يشفي الجراح، لكن ألم هذه البلدة الصغيرة غربي ولاية مين قد يكون مُهلِكًا. ما زالت الشوارع السكنية موجودة هناك في الجانب الشرقي للبلدة، تحرسها أشجار البلوط الرشيقة التي ظلَّت قائمة طوال مائتي عام. ما زالت الأبنية ذات الطابقين والأسقف المائلة والبيوت ذات الطرز الريفية في شارع مورين وبريكيارد هِل أنيقة وغير مُدمَّرة. لكن هذا الجزء الرعوي من نيو إنجلاند يقع على تخوم مركزٍ مُحطَّم وكالح، وكثير من البيوت الأنيقة تضع لافِتات "للبيع" في مروجها الأمامية. أما تلك التي ما زالت مأهولةً فتُميِّزها أكاليل سوداء على أبوابها الأمامية. ومن الشائع رؤية سيارات نقل صفراء لامعة تابعة لشركة الشحن "أليد" وشاحنات تابعة لشركة "يوهول" من مختلف الأحجام في شوارع تشامبرلين هذه الأيام.

ما زالت الصناعة الرئيسية للبلدة، مصانع تشامبرلين للنسيج، قائِمةً لم تمسسها النيران التي اجتاحت أغلب البلدة في هذين اليومين من شهر مايو. لكنها تعمل بورديَّةٍ واحدة فقط منذ الرابع من يونيو، ووفقًا لرئيس المصنع وليام أ. تشامبليز، هناك احتمال قوي بالمزيد من تسريحات العُمَّال. قال تشامبليز: "لدينا طلبيات، لكنك لا تستطيع تشغيل مصنع دون أشخاص يُبقون ساعة الدوام دائرة. ليس لدينا هؤلاء الأشخاص. لقد تلقَّيتُ إشعارات من أربعة وثلاثين رَجُلًا منذ الخامس عشر من أغسطس. الشيء الوحيد الذي يمكننا عمله الآن هو إغلاق مصنع الصِّباغة والقيام بعملنا في الخارج. نحن نكره تسريح

الرِّجـال، لكـن هـذا الأمـر يسـوء حتـى بلـغ بنـا الحـال درجـة الأمـل في النجـاة ماليًّـا".

لقـد عـاش روجـر فـيرون في تشـامبرلين لمـدة اثنـين وعشريـن عامًـا، وقـد عمـل في المصنـع ثمانيـة عـشر عامًـا منهـا. وقـد ترقَّـى خـلال ذلـك الوقـت مـن عامـل تعبئـة درجـة ثالثـة يكسـب ثلاثـة وسـبعين سِـنتًا في السـاعة إلى رئيـس عُـمَّال في المصبغـة؛ لكنـه يبـدو غـير متأثِّـر عـلى نحـو غريـب مـن احتـمال أن يفقـد وظيفتـه. قـال فـيرون: "سـأفقد أجـرًا جيِّـدًا فِعـلًا. وهـذا ليـس بالـشيء الـذي تتقبّلـه بسـهولة. تحدثنـا أنـا وزوجتـي في الأمـر. يمكننـا بيـع البيـت -يسـاوي 20.000 دولار عـلى الأقـل- ورغـم أننـا ربمـا لـن نجـد مَـن يشـتريه بنصـف هـذا الثمـن، إلا أننـا قـد نبـاشر الأمـر ونعرضـه للبيـع. لا يهـم. لم نَعُـد في الحقيقـة راغبـين في العيـش في تشـامبرلين بعـد ذلـك. فلتقُـل عـلى ذلـك مـا تشـاء، لكـن تشـامبرلين قـد أصبحـت مكانًـا سـيِّئًا بالنسـبة لنـا".

فـيرون ليـس وحـده في ذلـك. هـنري كيـلي، مالـك محـل تبـغ وماكينـة صـودا يُدعـى "كيـلي فـروت" إلى أن سـوَّته ليلـة الحفـل بـالأرض، ليسـت لديـه خُطَـطٌ في إعـادة بنـاء المـكان. يهـزُّ كتفيـه ويقـول: "لقـد راح الأولاد. لـو فتحـت المـكان مـرة أخـرى، سـتكون هنـاك أشـباح أكـثر مـن الـلازم في أركان أكـثر مـن الـلازم. سـآخذ أمـوال التأمـين وأتقاعـد في سـان بطرسـبرج".

بعـد أسـبوع مـن انقطـاع طريـق المـوت والدمـار أمـام إعصـار 54 في مدينـة ورسسـتر، امتـلأ الهـواء بأصـوات المطـارق ورائحـة الأخشـاب الجديـدة، وشـعور بالتفـاؤل والمرونـة البشريـة. لكـن لا أثـر لـشيء مـن هـذا في تشـامبرلين هـذا الخريـف. لقـد تـمَّ إخـلاء الطريـق الرئيـسي مـن الأنقـاض، وهـذا أقـصى مـا حـدث. الوجـوه التـي تقابلهـا مـلأى باليـأس الثقيـل. يـشرب الرجـال البـيرة دون حديـث في "بـار فرانـك" عـلى ناصيـة شـارع سـوليفان، وتتبـادل النسـاء حكايـات الأسى والفَقـد في السـاحات

الخلفيــة. لقــد أُعلِنَــت تشــامبرلين كمنطقــة كــوارث، والمــال متوافِــرٌ للمســاعدة في إنهــاض البلــدة مــن جديــد عــلى قدميهــا والبــدء في إعــادة بنــاء حــي الأعــمال.

لكــن العمــل الأســاسي لتشــامبرلين في الشــهور الأربعــة الماضيــة هــو الجنــازات.

مــن المعــروف الآن أن عــدد القتــلى وصــل أربعمائــة وأربعــين، ومــا زال ثمانيــة عــشر آخــرون غــير موضوعــين في الحســبان. وســبعة وســتون مــن القتــلى طُــلَّاب الســنة النهائيــة في مدرســة إيويــن الثانويــة وكانــوا عــلى وشــك التخــرُّج. ربمــا هــذا بالتحديــد، أكــثر مــن أي شيء آخــر، هــو مــا ســلب الــروح مــن تشــامبرلين.

لقــد دُفِنــوا يومــي 1 و2 يونيــو في ثــلاث جنــازات جماعيــة. وأقيمــت صــلاة تذكاريــة يــوم 3 يونيــو في ميــدان البلــدة. ولقــد كان أكــثر طقــسٍ شــهده كاتــب هــذا التقريــر إثــارةً للمشــاعر في حياتــه. كان الحضــور بــالآلاف، وكان التجمُّــع بأكملــه صامِتًــا بينــما عزفــت فرقــة المدرســة، التــي تقلَّــص عددهــا مــن خمســة وســتين فــردًا إلى مجــرَّد أربعــين، أغنيــة وشــعارات المدرســة.

أقيــم حفــل تَخــرُّج كئيــب في الأســبوع التــالي في أكاديميــة موتــون القريبــة، لكــن لم يكــن هنــاك إلا اثنــان وخمســون طالبًــا مُتبقِّيًــا ليتخرَّجــوا. هــنري ســتامبل، الطالــب المتفــوِّق، انفجــر باكيًــا أثنــاء إلقائــه خطبــة الــوداع ولم يســتطع إكمالهــا. ولم تكــن هنــاك أي حفــلات لليلــة التخــرُّج بعــد المراســم؛ فقــط أخــذ المتخرِّجــون شــهاداتهم وعــادوا إلى البيــوت.

ورغــم ذلــك، مــع تقــدُّم الصيــف، اســتمرَّت عربــات نقــل المــوتى في الــدوران حيــث يجــري اكتشــاف المزيــد مــن الجُثَــث. بالنســبة لبعــض السُّــكَّان يبــدو أن القــشرة تُنتــزع كل يــوم مــن جديــد، فينــزف الجــرح مــن جديــد.

لـو أنـك واحِـدٌ مـن السـاعين وراء الغرائـب الذيـن جاسـوا خـلال تشـامبرلين في الأسـبوع المـاضي، فقـد رأيـتَ بلـدة ربمـا تعـاني مـن سرطـان قاتِـلٍ للـروح. بضعـة أشـخاص، يبـدون تائهـين، يتجوَّلـون في مَمـرَّات متجـر إيـه آنـد بي للبقالـة. دُمِّـرَت كنيسـة الأبرشـيين في شـارع كارلـين، اجتاحتهـا النـيران، لكـن الكنيسـة الكاثوليكيـة الحَجَريَّـة مـا زالـت قائمـة في شـارع إيلـم، والكنيسـة الميثوديـة الأنيقـة قائمـة في الناحيـة الخارجيـة من الشـارع الرئيـسي، رغـم أنهـا موسـومة بالنـار، لم يُصِبهـا أذى. لكـن الحضـور قليـل. مـا زال العجائـز يجلسـون عـلى الـدِّكَك في ميـدان المحكمـة، لكـن هنـاك اهتـمام قليـل بلوحـات الشـطرنج والدامـا أو حتـى بتبـادُل الحديـث.

الانطبـاع العـام الـذي تخـرج بـه هـو لبلـدة تنتظـر أن تمـوت. ليـس كافيًـا، هـذه الأيـام، أن تقـول إن تشـامبرلين لـن تكـون أبـدًا كـما كانـت. ربمـا الأقـرب لحقيقـة أن تقـول ببسـاطة إن تشـامبرلين لـن تكـون مـرة أخـرى أبـدًا.

مقتطـف مـن رسالة بتاريـخ التاسـع مـن يونيـو أرسـلها الناظـر هـنري جرايـل إلى بيـتر فيلبـوت، المـشرف الأعـلى المـدارس:

... وهكـذا أشـعر أني لا أسـتطيع الاسـتمرار بعـد الآن في منصبـي الحـالي، شـاعِرًا، كـما هـو حـالي، أن هـذه المأسـاة كان مـن الممكـن تجنُّبهـا لـو كان لـديَّ فقـط المزيـد مـن التَّبصُّر. أوَدُّ منـك أن تقبـل اسـتقالتي لتسري بدايـة مـن 1 يوليـو، لـو كان هـذا مناسـبًا لـك ولفريـق عملـك...

مقتطـف مـن رسـالة بتاريـخ الحـادي عـشر مـن يونيـو أرسـلتها ريتـا ديسـياردن، مُعلِّمـة الألعـاب، إلى الناظـر هـنري جرايـل:

... أعيـدُ عقـدي إليـكَ هـذه المـرة. أشـعر أني سـأقتل نفـسي قبـل أن أقـوم بالتدريـس مـرَّةً أخـرى أصـلًا. أظـلُّ أفكِّـر إلى وقـتٍ مُتأخِّـر مـن الليـل: فقـط لـو مَـدَدتُ يـدي إلى هـذه الفتـاة، فقـط لـو، فقـط لـو...

عبـارة وُجِـدَت مكتوبـة بالطِّـلاء عـلى نجيـل قطعـة الأرض التـي كان بيـت آل وايـت مُقامًـا عليهـا:

كاري وايت تحترق من أجل خَطاياها

يسوع لا يخيب أبدًا

مـن مقـال "التحريـك الذهنـي: التحليـل ومـا بعـد الكارثـة" (حوليـة العلـوم، 1981) بقلـم ديـن د. ل. ماكجوفـين:

ختامًـا، أوَدُّ أن أشـير إلى المجازفـة الجسـيمة التـي تتَّخِذهـا السُّـلطات بدفنهـا موضـوع كاري وايـت تحـت السـجادة البيروقراطيـة- وأنـا أتحـدث تحديـدًا عـمَّا تُسـمَّى بلجنـة وايـت. يبـدو أن رغبـة السياسـيين في اعتبـار التحريـك الذهنـي ظاهِـرةً تحـدث مـرَّةً واحـدة في العمـر رغبـة قويـة جـدًّا، وفي الوقـت الـذي قـد يكـون هـذا مفهومًـا فيـه فإنـه ليـس مقبـولًا.

فعندمـا نتحـدث وراثيًـا، نقـول إن إحتـمال تكـرار الأمـر يصـل إلى 99 في المائـة. هـذا هـو الوقـت لأن نخطِّـط الآن لما يمكـن أن....

مـن كتـاب "تعبـيرات عاميَّـة مُفـسَّرة: دليـل للآبـاء" بقلـم جـون ر. كومبـس (نيويـورك: مطبعـة الفنـار، 1985) ص 73:

أن تشـتغل كاري: **أن تتسـبَّب إمَّـا في العنـف أو الدمـار؛ الفـوضى؛ الارتبـاك. (2) أن تُشـعِل حريقًـا مُتعمَّـدًا (إشـارة لـكاري وايـت 1963- 1979)**

من كتاب "وانفجر الظل.." (ص 201):

في موضـع آخـر مـن هـذا الكتـاب جرى ذِكـرُ صفحـة في إحدى كراسـات كاري وايـت المدرسـية كُتِـبَ فيهـا سـطرٌ مـن شـاعر الـروك الشـهير في السـتينيات، بـوب ديـلان، بشـكل متكـرِّر، كـما لـو كانـت حالـة مـن اليـأس.

ولعلـه ليـس مـن الخطـأ أن نُنهـي هـذا الكتـاب ببضـع سـطور مـن أغنيـة أخـرى لبـوب ديـلان، سـطور قـد تفيـد كنقـش عـلى ضريـح كاري:

أتمنـى لـو كان بمقـدوري كتابـة لحـنٍ بسـيطٍ جـدًا مـن أجلـك/ لحـن ينقـذك، يـا سـيدتي العزيـزة، مـن الجنون/ لحـن يُريحُـكِ ويهدِّئـك ويوقف الألم/ ألم معرفتـك التـي بـلا جـدوى ولا هـدف...

من "اسمي سوزان سنيل" (ص 98):

انتهى هذا الكتاب الصغير الآن. آمل أن يُحقِّق مبيعاتٍ جيِّدة حتى أتمكَّن من الذهاب إلى مكانٍ لا يعرفني فيه أحد. أريد أن أتأمَّل في الأمور، وأقرِّر ما سأفعله ما بين الآن والوقت الذي ستُحمل فيه شمعتي عبر ذلك النَّفق الطويل إلى الظلام...

من خاتمة تقرير مجلس تحقيقات ولاية مين حول أحداث 27-28 مايو في تشامبرلين، مين:

... وهكذا يجب أن نَخلُصَ إلى أنه بالرغم من أن تشريحًا أُجرِيَ على الفتاة موضوع التحقيق يشير إلى بعض التغيرات الخلويَّة التي **قد** تشير إلى وجود **بعض** القوة الخارقة للطبيعة، لا نجد سببًا في الاعتقاد بأن تكرارًا ما من الممكن أو حتى من المحتَمَل...

مقتطف من رسالة بتاريخ 3 مايو 1988 أرسلتها إيميليا چينكس، رويال نوب، تينيسي، إلى ساندرا چينكس، ميكون، چورچيا:

... وابنة أختك الصغيرة تكبر كعُشبَةٍ ضارَّة، كبيرة الحجم جدًّا بالنسبة لفتاة في الثانية فقط. لديها عينان زرقاوان مثل أبيها وشَعري الأشقر، لكنه ربما سيصبح أسود. لكنها جميلة جدًّا وأفكِّر أحيانًا عندما تكون نائِمةً كم هي شبيهة بأُمِّنا.

منذ بضعة أيام بينما كانت تلعب في التراب بجوار البيت التفتُّ ورأيتُ أغرب شيء. كانت آني تلعب بكريَّات أخيها الزجاجية، إلَّا أنها كانت تتحرَّك كُلُّها وحدها. كانت آني تُقَهقِهُ وتضحك لكنني ارتعبتُ قليلًا. بعض هذه الكُرَيَّات كانت تصعد وتنزل. ذكَّرني هذا بجدَّتي، هل تتذكرين عندما جاءت الشرطة تلك المرة وراء بيتر وتطايَرَت أسلحتهم من أياديهم وكانت جدَّتي تضحك وتضحك. وكانت قادِرةً على أن تجعل مقعدها الهزَّاز يتحرَّك حتى وهي لا تجلس فيه. لقد مرَرتُ بوقتٍ سيِّئ فعلًا وأنا أفكِّر في هذا. أتمنى بالطبع ألَّا تهاجمها نوبات قلبية مثلما كانت تعاني جدَّتي، أتتذكرين؟

طيِّب لا بُدَّ أن أمضي وأغتسل لأقدِّم أفضل ما لديَّ لريتش، واهتَمِّي بأن ترسلي لنا بعض الصور عندما تستطيعين. رغم كل شيء ابنتنا آني جميلة جدًّا وعيناها لامعتان كالأزرار. أراهن أنها يومًا ما ستكسر الدنيا.

كل حبِّي

ميليا



نبذة عن المؤلف

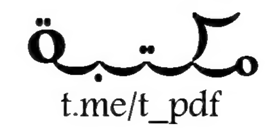
ستيفن كِينج Stephen King

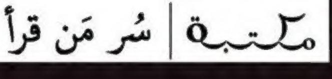
"ملك الرعب" كاتب ومؤلف أمريكي ومعيار من معايير أدب الرعب في العالم. تم بيع أكثر من 350 مليون نسخة من كتبه حول العالم. تم تحويل الكثير منها إلى أفلام سينمائية ومسلسلات وكتب مصورة. نشر كينج أكثر من 58 رواية، وما يقرب من 200 قصة قصيرة. حصل كينج على جوائز Bram Stoker، وWorld Fantasy، وBritish Fantasy Society. في عام 2003، منحته المؤسسة الوطنية للكتاب ميدالية المساهمة المتميزة في الرسائل الأمريكية. وحصل أيضًا على جوائز لمساهمته في الأدب لمجمل أعماله، مثل جائزة World Fantasy Award for Life Achievement، وجائزة Grand Master، وحصل على الميدالية الوطنية للفنون من الوقف الوطني الأمريكي للفنون.

نبذة عن المترجم

عبد الرحيم يوسف

شاعر ومترجم مصري من مواليد 1975. صدر له سبعة دواوين بالعامية المصرية، واثنان وعشرون كتابا مترجما، نشر عددًا من الترجمات الأدبية في جريدة أخبار الأدب المصرية وشارك كمحرر مساعد في مجلة (مينا) الثقافية التي صدر منها ثلاثة أعداد في الفترة من 2005 إلى 2009.. ترجم عددا من التقارير لمنظمة هيومان رايتس ووتش، ومكتب اليونسكو بألمانيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان وموقع مدى مصر. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية عام 2017 عن ترجمته لكتاب (ثلاث دراسات حول الأخلاق والفضيلة) لبرنارد ماندفيل.







ستيفن كينج
كاري

"تلك القادرة على إشعال الحرائق، وإسقاط كابلات الكهرباء، القادرة على القتل بواسطة الأفكار فقط؛ راقدة هنا غير قادرة على أن تنقلب على ظهرها".

"تعرفون؟ لست آسفة حيال الأمر كله كما يبدو أن الناس يعتقدون أنه ينبغي لي أن أكون... لكني آسفة من أجل كاري. لقد نسوها، لعلمكم. لقد جعلوا منها رمزًا من نوعٍ ما، ونسوا أنها كانت إنسانة، حقيقية مثلما تقرأ هذا، لديها آمال وأحلام، وكذا... كذا... كذا. أظن أنه لا جدوى من إخباركم بهذا. لا شيء يمكنه أن يعيدها الآن من شيء صنعته أوراق الصحف إلى شخص عادي. لكنها كانت، وتألمت. تألمت ربما أكثر مما يعرف أي واحد منا".

"رواية مضمون أن تثير قشعريرتك". نيويورك تايمز.

"رواية مرعبة وتجمد الدماء في العروق. لا يمكنكم أن تضعوها جانبًا بعد البدء فيها". شيكاغو تريبيون.

الرواية الأولى لملك الرعب، الروائي الأمريكي "ستيفن كينج"، صدرت عام ١٩٧٤، وسرعان ما تحولت إلى واحدة من كلاسيكيات أدب الرعب الحديث، وظهرت على شاشة السينما والمسرح والتليفزيون. رواية عن التنمر والقدرات الخارقة، عن التعصب الديني والقسوة البشرية، عن الأحلام البسيطة والتسامح، عن المشاعر المغدورة والانتقام الرهيب.

الغلاف:
عبد الرحمن الصواف





